

اليهودى الغامض فى القاهرة

البحث عن السلام بالجنس

رشاد كامل



البحث عن السلام
بالجنس

البحث عن السلام بالجنس

الطبعة الأولى: يوليو ١٩٩٦

رقم الإيداع: ٩٦/٥٨٣٣

الترقيم الدولى: 6- 9917 - 19 - 977

دار الخيّال

تصميم الغلاف: محمد الصباغ

جرافيك: محمد كامل مطاوع

خطوط الغلاف: لمعى فهيم

كمبيوتر: دار جهاد

رشـــــاد كـــامـــل

اليهـــودى الغامـــض فى القاهرة

البحث عن السلام بالجـــنـــس

مطبوعات دار الخيّال

بدلا من المقدمة

هذا اليهودى الغامض!

انتهى زمن الكتابة الإنشائية تحت ظلال الزيزفون!!!

فى السياسة كما فى الحب لا وقت للعبارات الطويلة الطنانة، والكلمات الضخمة الفخمة التى لا تحمل للقارئ جديداً!! سواء كان هذا الجديد «معلومة» أو «إضافة»!

انتهى عصر البلاغة والمجاز و«الاستعارة المكنية» و «التشبيه»!

هذا عصر المعلومات التى تتدفق بسرعة الصوت والضوء، وليس عصر «العنتريات التى ما قتلت ذبابة»!

مازلنا أسرى حروف «الجر» و «النصب» و «العطف»!!

تخلينا عن دور «الفاعل» ورضينا بدور «المفعول به»!!

كانت شمس العرب تسطع على الغرب فتضئ سماء العالم علماً.. وعدلاً ونوراً.. ومعرفة، وحضارة لا حدود لها!!

ما تسرب اليهود من حدودنا ـ والتعبير لنزار قبانى ـ لكنهم تسربوا كالنمل فى عيوبنا!!

بل و«غرورنا» و «وعنجهيتنا» و !!

تتغير الدنيا، ونبقى نحن فى أماكننا ، نلعن الأيام، ونتحسر على ما فات، ونتشاجر مع ذباب الهواء!!!

أنفقنا «عمرنا» ـ أغلب عمرنا ـ فى الكـلام، وكلام الكلام، حتى انطبق علينا وبحق أننا نحن العرب «ظاهرة صوتية»!

و.. ورغم قسوة العبارة وحدتها فلسنا أكثر من «ظاهرة صوتية»

كلام.. كلام.. كلام.. كلام!!

وكلام يخلو من المعلومة مرة، ومن الوثيقة مرة، ومن الحقائق عشرات المرات!!

عندما تتلفت حولـك، يمينـك ويسارك وتجد أكـثر من مـائة مليـون عربي: نـاقداً ومحلـلاً وفيلسوفاً، لا يـصبح لأى اجتهـاد معنى، ولا يصـبح لأى تحليل مغـزى، لقد اختلط الحابل بالنابل، وصارت الكتابة حرفة من لا حرفة له!!

انظـر حولك ـ أقولـها للـقارئ الكريـم ـ عـبر المشرق والمغرب، عبـر النظم الـتى مازالت تحـترف «الحنجوري» أو الـنظم التى تـعيش بعـقلها عصـور ما قبل الجاهـلية ستجد مليون رأي، ومليون حزب، ومليون وجهة نظر.. (تصور؟!).

.. وكلـها.. كلهـا تفتـقد المعلـومة.. والرقم .. والـوثيقـة.. والإحصاءات، وكلـها أدوات لا يعتـرف العصر بـغيرها أداة لـلحوار والتـحاور، الفهـم والمناقشـة، الإقناع والاقتناع!!

كلهـا بغير استـثناء حروف ضائـعة فى الهـواء، وكلمات هائـمة على وجهـها فى السماء!!

ويحضرنى هنا رأى ومقولة «آرثر سالزبورجر» مؤسس جريدة «نيويورك تيمس».

«إن رأى أى إنسان فى أية قضية لا يمكن أن يكون أفضل من نوع (المعلومات) التى تقدم إليه فى شأنها..

اعط أى إنسان معـلومة صحيحة ثم اتركه وشـأنه، سيظل معرضا للـخطأ فى رأيه ربما لبعض الوقت، ولكن فرصة الصواب سوف تظل فى يده إلى الأبد.

احجب المعـلومات الصحيـحة عن أى إنسان. أو قدمـها إليه مشوهـة أو ناقصة أو

محشوة بالدعاية والزيف ـ إذن فقد دمرت كل جهاز تفكيره، ونزلت به إلى ما دون مستوى الإنسان».

وهذا بالضبط ما حاولته ـ ساعياً وصادقاً ـ عبر محاولات كتب سابقة. وأحاوله متعمداً وقاصداً فى هذا المشروع أيضاً.

المعلومات، ثم المعلومات، ثم المعلومات.. وبعدها يصبح من حق القارئ أن يصل بعقله ومنطقه وحساباته إلى الرأى الذى يعتقد أنه الصواب!!

.. وإلا فإن لسان حال القارئ سيكون هو نفسه حال المفكر والفيلسوف الإنجليزى الكبير «برتراند راسل» عندما قال ـ ومعه كل الحق فيما قال.

إنهم يكتبون. ماذا يكتبون؟.. دعهم يكتبون!!

■ ■

نصف قرن ـ إلا قليلا ـ وآلاف المقالات والدراسات والكتب والبحوث صدرت عن «إسرائيل».

القليل منها يضئ العقل بالمعلومة الموثقة، التى تساعد قارئها على تكوين وجهة نظر عاقلة، بصرف النظر عن الاتفاق أو الاختلاف معها!!

والكثير منها كان بمثابة مظاهرات كلام، وشوشرة حروف، وضجيج عبارات!!

والكتابة عن إسرائيل «الأمس» هى بالضبط كتابة عن إسرائيل اليوم وغداً والسنوات القادمة!!

ما لم نفهم إسرائيل الأمس، فلن نفهم إسرائيل اليوم أو مابعدها!!

والصفحات القادمة هى محاولة متواضعة لقراءة إسرائيل أمس، بالمعلومة والواقعة والحقيقة، وكلها منشورة ومدفونة هنا وهناك تنتظر من ينفض عنها تراب الإهمال والنسيان لإعادة اكتشافها وقراءتها وتأملها!!

إسرائيل الأمس هى نفسها إسرائيل اليوم . سيناريو متكامل، ومحاولة مدروسة ودءوبة لا تعرف الملل لاختراق واحتواء العرب، بالمفاوضات مرة، وبالمال مرة وبالجنس مرة.

السيناريو الإسرائيلى لاختراقنا وسيلته الهمس واللمس!!!

ومنذ حوالى نصف قرن عرفت مصر يهودياً غامضاً اسمه «إلياهو ساسون». زار مصر، وجلس مع كبار الأسماء اللامعة فيها من رؤساء وزراء ووزراء ومثقفين وأصحاب أقلام، ولم يكن لديه إلا هدف واحد فقط. وهو محاولة إقامة سلام وصلح بين مصر وإسرائيل!!

ولم تكن مصر ورجالها محطته الوحيدة. بل كانت له جولاته وزياراته إلى الأردن ولبنان. حيث كان يتصرف ويتجول هناك كواحد من أصحاب البيت!! عارفاً وفاهماً ودارساً مداخل ومخارج هذه البيوت وأمزجة أصحابها!!

سنوات طويلة وهذا «اليهودى الغامض» «إلياس أو إلياهو ساسون» يتجول بيننا، يقابل من يشاء، ويتحدث مع من يريد، حاملا أوراقه وأحلامه ومشاريعه فى الصلح مع مصر خاصة والعرب عامة!!

واستمر الرجل فى زياراته وجولاته حتى قامت ثورة يوليوة ١٩٥٢، ولم يكن صدفة أبداً أن يصبح ابنه «موشيه ساسون» ثانى سفير لإسرائيل فى مصر بعد إلياهو بن إليسار!!

هذا الرجل الغامض على خطورة اتصالاته ولقاءاته السرية والعلنية لا أحد يعرف عنها شيئاً متكاملاً وكاملاً!!

كل المتاح والمتوافر كلمة هنا، وسطر هناك، وصفحة تائهة فى كتاب!!

وهذا بالضبط ما حاولته فى هذا التحقيق الصحفى الطويل الذى يتخذ شكل الكتاب. استدعيت الكلمة والسطر والصفحة التى تخص «إلياهو ساسون» حتى أصبح المتاح من المعلومات والحقائق كافياً لرسم صورة هذا اليهودى الغامض ، الذى كان يتكلم «العربية» وكأنه لا يعرف من اللغات سواها!!

إنها محاولة متواضعة لفهم ما يجرى اليوم بالعودة لأحداث الأمس!!

وأظن أن «محاولة الفهم» لا تستدعى الإذن من أحد مهما كان هذا الأحد، كما أن «قراءة التاريخ» متعة وهواية لا تتطلب موافقة كهنة التاريخ!!

وكل الصفحات التالية هى محاولة للفهم وسيلتها القراءة لا أكثر ولا أقل!!

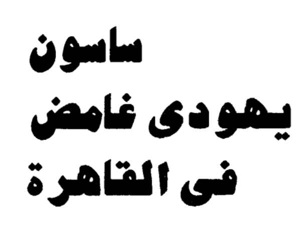
■ ■

وتبقى كلمة لابد من البوح بها، تخص هذه الدار الشابة الجريئة «دار الخيَّال» التى تحمست لهذا الموضوع حتى وصل إلى أيدى قارئه.

أما الصديق الفنان المبدع «محمد الصباغ» فلا أظن أن كلماتى مهما طالت توفيه حقه زميلاً وفناناً ومبدعاً. فله الاحترام والتقدير.

رشـــاد كامـــل

يوليو ١٩٩٦



١

ساسون
يهودى غامض
فى القاهرة

كانت مفاجـأة العمر تنتظر السفير الإسرائيلى فـى القاهرة «موشيه ساسـون» ليلة رأس السنـة لعام ١٩٨١.. فى تـلك الليـلة ذهب «ساسـون» وزوجته«طوفـا» لحضور حفل رأس السنة الميلادية الذى أقامه السفير الإيطالى فى القاهرة!

كان المكـان مزدحماً بـالمدعوين المصـريين والأجانب، وكـان كل شئ ليلـتها ملـفتًا للنـظر حسبـما لاحظ «موشـيه ساسون»!.. كل شـئ! الصور الأصلـية القديمـة التى ازدانت بها الحـوائط، المقاعد والأرائك الوثيـرة ، والطاولات القيشانى الـتى وضعت عليها صور مبروزة للشخصيات التى تعرف عليها السفير - الإيطالى - طوال عمله، وفى إحدى القاعات، قدمت موائد الطعام وعـليها المأكولات والمشهيات، وفى قاعات أخرى يتجول الجرسونات حاملين الصوانى وعليها كئوس من مختلف المشروبات.

المشروبات الكحولية للأقباط والأجانب وعصائر الفاكهة للمدعوين المسلمين!!

ووسط هذا الجو كله فوجـئ السفير الإسرائيلى بزوجته تخـبره بأن أحد المدعوين المصريين اقترب منها وأعرب لها عن رغبته فى التعرف عليه!!

تركت الـزوجة «طوفا» زوجـها السفيـر للحظـات ثم عادت به، وحـسب وصف «موشيه ساسون» نفسه فقد كان هذا المدعو المصرى يبدو لى كمن بلغ الثمانين وأكثر، يبدو مهـيباً، ملابسه تـنم على أنه محافـظ جداً، عليها الزركـشة المتعارف علـيها فى الأمد البـعيد جداً، سـلسلة ذهبـية مدلاة وطرفـها فى جيبـه فوق صدره -تشـهد عن وجود ساعة قديمة- دليل على أنه فضلها عن سـاعة اليد الأتوماتيكية لعصرنا هذا، ذو شارب خفيـف، ولكنه مهذب بـصورة جيدة، وفى فمه سـيجارة فى مبسـم من صنع فنان ماهر.

وتصافـحنا!! وقال لـى بالعربـية" سيدى الـسفيرعـندما سمـعت أن اسم السـفير الإسرائيلى هو «ساسـون» طلبت التعرف عليك كى أطرح عـليك سؤالاً واحداً: هل تربطك صلة عائلية أياً كان نوعها بإلياس ساسون؟!

أحس السفير بالمـفاجأة وحب الاستطلاع، وتغلب على إحـساسه الحذر فى داخله وقال:

سوف أرد عليك فوراً يا سـيدى، ولكن من فضلك. هل هناك سبـب خاص بسببه تهتم «بإلياس ساسون»؟!

لم يتردد الرجل، وبدأ يتكلم، وكان موشيه ساسون قد منحه إصغاءه الكامل، وألقى الرجل بالمفاجأة التى لم يكن «ساسون» ينتظرها أو يتوقعها، وقال له ما يلى وبالحرف الواحد:

إلياس ساسون رئيس شعبة الشرق الأوسط فى الإدارة السياسية بالوكالة اليهودية، فقبل حرب ١٩٤٨، كان إلياس يزور القاهرة فى أوقات متقاربة بهدف إقامة نظام روابط قوى لإقناع البلاط الملكى بتوقيع معاهدة سلام مع إسرائيل، - على أى حال قبل ثورة الضباط الأحرار بقيادة «جمال عبدالناصر» استأنف «إلياس ساسون» اتصالاته مع البلاط الملكى بهدف التوصل إلى اتفاقية سلام، وكنت أعمل فى تلك الحقبة فى البلاط الملكى، وفى مكتب رئيس الوزراء، وكنت رجل الاتصالات المصرى مع حكومة إسرائيل، ومن الجانب الإسرائيلى تولى هذه المهمة «إلياس ساسون» الذى كان يعمل آنذاك من قبل وزارة الخارجية الإسرائيلية، وكان مكتبه فى تلك الفترة فى باريس.

وقد بذل «إلياس ساسون» آنذاك جهوداً كبيرة جداً من أجل تحقيق اتفاقية سلام بين مصر الملكية وبين إسرائيل الجديدة!!

وحسب رواية السفير الإسرائيلى فقد اختتم المصرى كلامه قائلاً:

ونحن ـ المصريين ـ كنا نثق جداً بإلياس ساسون، وإننى عرفته واحترمته جداً لصراحته، كان جل اهتمامه منصباً من أجل تحقيق السلام، وقد نشأت بيننا صداقة عميقة، وعندما سمعت أن اسم السفير الإسرائيلى الجديد فى القاهرة هو «ساسون» انتظرت الفرصة المناسبة كى أسأل عن صحة صديقى إلياس، ألا يزال حياً؟!، وكيف حاله؟!، وهل توجد صلة قرابة تربط بينكما؟!

■ ■

ويعترف السفير الإسرائيلى «موشيه ساسون» بأنه تأثر وانفعل مما سمعه لدرجة أن الكلمات تاهت منه، وكانت زوجته «طوفا» تتابعه بنفس درجة الدهشة والانفعال!!

وأخذ موشيه ساسون يرتشف رشفة صغيرة من الكأس التى كانت بيده ، وقال وهو يغالب دهشته:

نعم، قرابة شديدة، شديدة جداً «إلياس ساسون هو والدى»!!

ويصف الإسرائيلى ما جرى عقب سماع الرجل لكلماته: «قام وأسكنى بكلتا يديه وأخذ يقبلنى مرة و مرة، وعندما هدأ انفعالنا من هذا اللقاء الحار والخاص من نوعه لاحظت أن الضيوف الكثيرين المحيطين بنا ينظرون إلينا ومندهشين من الأحضان العنيفة بين سفير إسرائيل وبين شخصية مصرية جاءت من الزمن البعيد».

وراح السفير الإسرائيلى يروى للرجل عن والده، وعن عمله حتى وفاته!!

وقال الرجل للسفير الإسرائيلى:

المثل المصرى يقول «اللى خلف ما متش» وإننى سعيد أن أراك هنا فى القاهرة ، وفى هذا المنصب. أتمنى لك التوفيق والنجاح، فإلياس لم يفز، وإننى سعيد بأن ابنه هو الذى فاز!!

وكان رد السفير «موشيه ساسون» على كلمات الرجل هو قوله:

المثل العبرى يقول «الخير أبقى وإن طال الزمن به».. والمثل المصرى المقابل له يقول: «اعمل الخير وارميه فى البحر» ، وهذا ما فعله والدى... و

وأكمل ساسون كلامه: «والدى لم يفز بشئ، ولكنه شاهد زيارة السادات للقدس فى التليفزيون، وهو قابع على كرسى متحرك. إن والدى كرس كل حياته لموضوع واحد ووحيد -للسلام بيننا وبين جيراننا -وفى أواخر أيامه كان والدى وزيراً فى حكومة إسرائيل، وأيضاً ورد اسمه كمرشح لمنصب الرئيس. وإننى لمقتنع لو أن والدى خُير بين الوظيفتين -وزير فى الحكومة أو كسفير فى مصر- لآثر أن يكون هنا فى القاهرة.».

وفى النهاية يقول «موشيه ساسون»:

«وعندما ابتعد عنى الرجل انتبهت أنه لم يذكر لى اسمه، ومن منطلق الأدب،

وربما نتيجة للانفعال الذى سيطر علىّ لم أسأله عن اسمه، وهكذا صرت لا أعلم شيئاً عن شخصية الرجل، وإن كنت قد استنتجت أنه على ما يبدو. «كمال رياض» الذى وصل فى سبتمبر ١٩٤٨ من القاهرة إلى باريس كمندوب للبلاط الملكى المصرى كى يقيم مع والدى اتصالات مسبقة وسرية لمفاوضات محتملة حول السلام بين مصر وإسرائيل، اتصالات جرى مثلها أيضاً فى تلك الأيام البعيدة مع سوريا والأردن، ولكنها لم تثمر عن شئ.».

انتهت كلمات «ساسون» الابن الذى أصبح سفيراً لإسرائيل فى مصر (١٩٨١ - ١٩٨٨) لكن ماذا عن «ساسون» الأب؟!

ماذا عن «إلياس ساسون» أو «إلياهو ساسون» بالضبط؟!

■ ■

ونقلب معاً فى بعض أوراق زمان!!

هنا وهناك ربما نعثر على بعض المعلومات عن اليهودى الغامض «ساسون».

فى مارس ١٩٧٦ صدرت مجلة الطليعة -كان يرأس تحريرها الأستاذ لطفى الخولى -وانفردت بنشر الرسائل المتبادلة بين ثلاثة من أبرز وأهم قادة إسرائيل وهم «بن جوريون» و«شاريت» و«ساسون».

كان مضمون هذه الرسائل المتبادلة فى فبراير ومارس ١٩٥٤ هو إنشاء دولة مارونية فى لبنان متحالفة مع إسرائيل، وقدمت الطليعة بسطور موجزة عن كل شخصية.

وقدمت إلياهو ساسون بقولها:

«ولد عام ١٩٠٢ فى دمشق، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٧. كان مسئولا عن القسم العربى بالوكالة اليهودية أثناء حكم الانتداب البريطانى على فلسطين، وعند قيام دولة إسرائيل عين وزيراً مفوضاً فى تركيا، وكان عضواً فى الوفد الإسرائيلى لمحادثات الهدنة مع الأردن ومصر!!»

ويعد مستشاراً للحكومة الإسرائيلية فى الشئون العربية.

وفى كتـاب «١٩٤٩ -الإسرائيليـون الأوائل» يقول المؤلـف والكاتب الإسرائـيلى «توم سيغف»:

«وإلياهو (إلـياس) ساسون، مدير دائـرة الشرق الأوسط فى وزارة الخارجـية وهو صحفـى ورجل سياسة من مـواليد دمشق، ومـن أوائل دبلوماسـيى الوكالة اليـهودية الذى كان يتصرف كأهل البيت فى العواصـم العربية، ويتردد إلى قصور الحكام، كما أنه رجل أحلام ومحب للسلام».

ويقـول «أمين هـويدى» (وزير الحـربيـة الأسبق)فـى كتـابه «كـيف يفـكر زعـماء الصهيونية»:

«كان إلياهو ساسون مديراً للشئون العـربية فى وزارة الخارجية الإسرائيلية، وكان صديقاً حميماً للملك عبدالله ملك الأردن، وكان يقوم بزيارة عمان بين وقت وآخر لينزل فى ضيافة الملك أياماً كثيرة».

وكتب «عـبدالله التل» قـائد معركة الـقدس فى مذكراتـه «كارثة فلسطـين» يقول عنه:

«إلياهو ساسون» هو مدير الشئون العربيةفى وزارة الخارجية اليهودية، وهو صديق الملك «عبدالله» الحميم، والواسطة القديمة للتفاهم بين الملك واليهود منذ أمد بعيد.

وكان «سـاسون» يـزور عمـان بين آونـة وأخرى، ويبـقى فـى ضيـافة المـلك أيـاماً عديدة.. ومـن زياراته المشهـورة لعمان الزيـارة التى أعقـبت تتويج المـلك عام ١٩٥٤ حيـنماجاء سـاسون يهنـئ الملك باسـم اليهـود فى فلسـطين، ويقدم لجـلالته الهـدية اليهوديـة، وكانت ستة آلاف جنـيه، وقد علم الأردن بهـذه الزيارة، وبهذه الهـدية فى حينها، وإلياهو ساسون يجيد اللغتين العربية والفرنسية.

■ ■

والآن إلى أحدث كتب الأستاذ «محمد حسنين هيكل»!!

الحفاوة بما يكتبه الكاتب الكبير «هيكل» لها ما يبررها دائماً.

أظن –ومعى كل الحق فى ظنى – أن الأستاذ «هيكل» ليس أى أحد،

وأظن –وليس كل الظن إثم– أن الأستاذ «هيكل» أتاحت له الظروف والأقدار أن يرى ما لا نراه فى كواليس ودهاليز الصحافة والسياسة، بحكم المكانة التى احتلها باقتداره وكفاءته وموهبته أيضاً!!

وليس ذنب الأستاذ «هيكل» أنه «شاهد شاف كل حاجة»، بينما الأغلبية من أبناء جيله اكتفت بدور «شاهد ما شافش حاجة»!!

ولأن هيكل كصحفى وشاهد «شاف كل حاجة» فلديه دائماً الجديد والمثير والطريف والمؤلم والموجع والمستفز الذى يضمنه صفحات وأوراق كتبه!!

وأحدث كتب الأستاذ هيكل تنطبق عليها تماماً هذه الأوصاف وأكثر، فهو عن «المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل» (٣١٠ صفحات –دار الشروق).

بطول الكتاب وعرضه تصادف عيناك عشرات من الأسماء السياسية. ومن وسط غابة الأسماء التى حفل بها كتاب الأستاذ «هيكل» يستوقفنى ما كتبه عن شخصية «إلياهو ساسون»!!

الرجل لم يتحدث عنه هيكل سوى بضعة سطور جاءت فى صفحة ٢١٦ من كتابه على النحو التالى وبالحرف:

«وطوال صيف ١٩٤٦ فإن إلياهو ساسون «مستشار الشئون العربية فى الوكالة اليهودية(ووالد موشيه ساسون الذى أصبح فيما بعد سفيراً لإسرائيل فى القاهرة) أقام إقامة شبه كاملة فى مصر. وتظهر تقارير القسم المخصوص (البوليس السياسى) الديوان الملكى أن إلياهو ساسون اجتمع برئيس الوزراء المصرى «إسماعيل صدقى» باشا، كما اجتمع بعدد من الساسة المصريين، وبينهم «محمود فهمى النقراشى» باشا الذى كان رئيساً للوزراء قبل «صدقى» وبعده، واجتمع أيضاً مع «مصطفى النحاس» باشا، وهو زعيم المعارضة فى ذلك الوقت، واجتمع أيضاً مع عدد من كبار موظفى الخارجية، كما أن «رينيه قطاوى » بك رتب له اجتماعاً فى بيته مع عدد من المثقفين وقادة الرأى العام فى مصر.

أما فى صفحة ٢١٧ فيكمل الأستاذ «هيكل» قائلاً:

«إن الياهو ساسون» عقد أيضاً ثلاثة اجتماعات أو أربعة مع «حسن يوسف» باشا وكيل الديوان الملكى، ونقل إليه رسائل موجهة إلى الملك فاروق من زعماء الحركة الصهيونية وبينهم وايزمان وبن جوريون، بل إن بن جوريون جاء بنفسه إلى القاهرة وكان هدفه أن يقدم للملك ولمن يهمه أن يسمعه من المصريين كل التأكيدات التى يريدون سماعها عن حسن نوايا الوكالة اليهودية فى فلسطين تجاه مصر وشعبها».

ثم يضيف هيكل ملاحظة فى غاية الذكاء والانصاف عندما يقول بعد ذلك مباشرة «كل هؤلاء السياسيين المصريين الذين قابلوا «إلياهو ساسون» وغيره لم يكونوا متورطين فى شئ ، ولا يمكن اتهام أحد منهم بالتعاون مع الصهيونية، ذلك أن هذه الحركة لم تكن ظاهرة بعد للوعى المصرى العام، سواء على مستوى الشعب أو على مستوى الحكومة.» إلخ

■ ■

لكن لم يكن هذا هو كل ما حدث، كانت هناك حكاية هيكل مع إلياهو ساسون، ورهانه معه – وكانت قيمة الرهان عشرة جنيهات(!!)

وهيكل بقلمه الذى كتب ذلك كله قبل عشرين عاماً تقريباً.

كانت البداية عندما قال للأستاذ فؤاد مطر (كتاب بصراحة عن عبدالناصر ص١٣٣ و ١٣٤).

«وعندما كنت فى الخامسة عشرة كان فى العباسية حيث أسكن عدد كبير من العائلات اليهودية، وكنت أعرف فتى يهودياً اسمه موريس بن زاكر، أعطانى مرة منشورات وكتباً، وذكر لى أنهم يتدربون فى معسكر قرب الهرم». (!!) وفى برج العرب خصص مكان لمرابطة الفيلق اليهودى!!

وقلت أيضاً يا أستاذ هيكل: «ولقد زرت راحابوت مرة مع محمد حسين هيكل باشا الذى كان وقتها رئيساً لمجلس الشيوخ، وذات يوم شاهدت بن جوريون وإيليا ساسون (إيليا أو إلياهو واحد) يدخلان القنصلية المصرية فى القطمون ومعهما مذكرة

لتسليمـها إلى القنصل المصرى، وكانـت البيانات والمذكرات التى تصـدرها الوكالة اليهودية ترسل منها نسخة إلى مصر».

كانت هذه أول مرة يأتى فيها ذكر اسم «ساسون» على لسان الأستاذ هيكل!!

إن إلياهو ساسون دون مبالغة كان أخطر رجل يهودى فى تاريخ الـدولة اليهودية والدور الذى لعبه -ولا أحد يعرفه حتى الآن- خطير ومثير!!.

■ ■

ولعل الأغرب والأكـثر إثارة ودهشة فى حكايـة «إلياهو ساسون» هو «حكـايته مع الأستاذ «محمد حسـنين هيكل» نفسه!! وهذا الرهان الذى جرى بيـنهما!!ولم يدفع «هيكل» قيمة الرهان وقدره عشرة جنيهات!!

فما الحكاية بالضبط؟!

فى مـايو ١٩٥٣ كان قد مـر خمس سنـوات كاملـة على حرب فـلسطين، وبـهذه المنـاسبة نـشر« محمـد حسنين هيكـل» على مـدى أسابيـع سلسلـة من التـحقيـقات الصحفية كان عنوانها «حرب فلسطين لأول مرة بلا رقابة».

«لقد عشت حرب فـلسطين قبل أن تبدأ هذه الحرب رسمـياً.. عشت هذه الحرب ذات يوم من أيام شهر مارس ١٩٤٨، وكنت قد حملـت حقائبى وذهبت إليها أبحث عن الحقيقة».

وكنت قـد سعيت عـن طريق بعـض المراسلين الأجـانب فى فلـسطين كى ألـتقى ببعـض قادة الوكالة اليـهودية، وكانوا وقتـها هم النواة لحكومة إسرائيل، وكـنت قد قابلت «بن جوريون» رئيس وزراء إسرائيل اليوم.

ثم عـاد هؤلاء المـراسلـون ورتبـوا لى مـوعداً مـع «سـاسـون» الذى كـان وقتـها سكرتيراً شرفياً للوكالة اليهودية.

وقال لى «ساسون»:

إن الجيش المصرى سوف يدخل حرباً رسمية.

وهززت رأسى وقلت له:

لا أعرف!

وقال «ساسون»:

سوف يضحك الإنجليز عليكم، وسوف يقدمون لكم كل إغراء لتدخلوا، ثم ينصبون لكم فخاً، إنهم لايريدون جيشكم هذا الذى تدعون به القدرة على ملء الفراغ فى قناة السويس.

ثم مضى ساسون:

هل تراهن بعشرة جنيهات؟!

قلت: قبلت الرهان!!

ويروى «هيكل» ما جرى بعد ذلك بينه وبين «ساسون» فيقول:

وقد التقيت بساسون بعد ذلك فى باريس فى شهر سبتمبر ١٩٤٨، وكانت الحرب قد بدأت فعلاً، والهدنةقد فرضت، وفى مجلس الأمن مناقشات حول الهدنة وظروف الاعتداء عليها.

ووجدت «ساسون» فجأة أمام قاعة اجتماع اللجنة السياسية فى قصر «شايو» يقول لى:

هل رأيت؟! .. ألا تريد أن تدفع الرهان؟!

وبعدها فى شهر فبراير ١٩٤٩ فى استانبول، وفى مطعم عبدالله المشهور، وكان «ساسون» قد عين سفيراً لإسرائيل فى تركيا، أقبل أحد خدم المطعم يحمل لى ورقة صغيرة كتب عليها:

ألا تريد أن تدفع رهانك؟!

وقال لى الخادم إن السيد الجالس هناك بعث إليك بها.

ورفعت رأسى فى الاتجاه الذى أشار إليه، ووجدت «ساسون» بنفسه ينظر إلىَّ ويبتسم!!.

انتهى ما كتبه «هيكل» على صفحات آخر ساعة حول مقابلته فى فبراير ١٩٤٩ «لساسون».

■ ■

وبعد سنوات طويلة عاد «هيكل» مرة ثانية إلى الاستشهاد بـ «إلياهو ساسون»!!

كان «هيكل» يروى فى كتابه «ملفات السويس» كيف كان العالم مهتماً بمعرفة حقيقة الانقلاب الذى وقع فى مصر ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكتب هيكل يقول:

«وكانت إسرائيل فى مقدمة المهتمين، ولم يكن لديها وسيلة إلى معرفة دخائل ما يجرى فى مصر، فقد كانت مخابراتها القوية واتصالاتها مقصورة على العهد القديم الذى أسقطه «الانقلاب».

كانت على صلة بعدد من العائلات اليهودية الكبيرة فى مصر «قطاوى، وموصيرى، وشيكوريل». وكانت لها صلاتها بعدد من البنوك الدولية العاملة فى مصر.

وكانت لها اتصالاتها بشركة قناة السويس.

وكانت لها اتصالاتها -فوق ذلك- بالقصر الملكى وبعض رجاله، وبعدد من الساسة المصريين التقليديين.

وكان وسيط هذه الاتصالات كلها هو «إلياهو ساسون» رئيس القسم الشرقى فى الوكالة اليهودية (ابنه موشيه ساسون هو السفير الإسرائيلى فى مصر حتى الآن) ص ١٥٨.

وبعد رحيل الرئيس السادات -وبالتحديد فى ٢٥ ديسمبر ١٩٨١ -كتب أنيس منصور مقالاً (فى مجلة أكتوبر) عنوانه «السادات شخصية أخرى» وقرب نهاية هذا المقال ألقى «أنيس» بقنبلة يقول فيها:

«شئ غريب حدث أخيراً، ولا أعرف لماذا جاء فى ذكرى ميلاد الزعيم الراحل بطل الحرب والسلام مع إسرائيل «أنور السادات».

لقد كشفت إسرائيل عن وثائق سرية تقول إن الملك فاروق هو أول من أراد عقد صلح مع إسرائيل، وإن كان من رأيه أن يكون الصلح منفرداً، ثم إن مشروع اتفاقية الصلح كان من ١٤ نقطة، وأن هذا المشروع قد قدمه السيد «إلياهو ساسون» (والد سفير إسرائيل الحالى) إلى السيد «حسن يوسف» من رجال الديوان الملكى فى باريس سنة ١٩٤٨.

وقد وافق الملك «فاروق» على المشروع، واشترط على إسرائيل ألا تكون لها صلة بالدول الشيوعية، وأن إسرائيل قد وعدت بأن تكون عضواً فى جامعة الدول العربية، بشرط أن يتغير اسمها إلى «جامعة الدول الشرقية» إلخ.

ولم يجد «أنيس منصور» سبباً لإذاعة هذه الوثائق إلا أنه يختتم ما كتبه بقوله:

«إلا إذا كان لإذاعة هذه الوثائق معنى آخر لا نعرفه!!».

■ ■

وبعد سنوات طويلة من إذاعة هذه الوثائق التى أشار إليها «أنيس منصور» صدرت يوميات «ديفيد بن جوريون» أشهر رئيس وزراء إسرائيلى، والتى أسماها «يوميات الحرب ١٩٤٧ - ١٩٤٨»، وفى هذه المذكرات أشار «بن جوريون» إلى حكاية «حسن يوسف»!!

فى يومياته بتاريخ الثامن من أكتوبر ١٩٤٨ كتب «بن جوريون» يقول:

«وصلت من «موشيه شاريت» (وزير الخارجية) أربع وثائق:

مشروع «أ. ساسون» بتاريخ ٢٢ سبتمبر (١٩٤٨) بشأن حلف صداقة مع مصر، مداولات وملاحظات «المساعد» المصرى (ولم يحدد بن جوريون المقصود بالمساعد

المصرى)، يريد المصريون ضم القسم الغربى من أرض إسرائيل إلى مصر لهدفين:

١ - فى حالة نشوب نزاع مسلح مع إسرائيل فإنهم يستطيعون الخوض فى المعارك على تراب أرض إسرائيل لا على ترابهم هم.

٢ - للحيلولة دون ضمه (أى القسم الغربى) إلى شرق الأردن وتحويله إلى قاعدة عسكرية بريطانية.

تلقى المساعد ـ بحسب كلامه ـ برقية من نائب رئيس البلاط «حسن يوسف» طلب منه فيها أن يعرض مشروع «إلياهو ساسون» على مستشارين عسكريين وسياسيين تابعين للوفد المصرى فى الأمم المتحدة. يستعين المساعد بثلاثة مستشارين: اثنان عسكريان وواحد سياسى ـ تريد مصر غزة لنفسها، ولذا فإنهم يطلبون للعالم العربى ممراً إلى ميناء «حيفا». تتخوف مصر من قيام دولة يهودية بسبب توسع إقليمى، سيطرة اقتصادية، تغلغل شيوعى.

■ ■

كان «إلياهو ساسون» هو الحاضر الغائب فى كل الروايات والشهادات السابقة، ولكن كان «لساسون» نشاط آخر خفى وغير معلن داخل الوكالة اليهودية فى تل أبيب!.

وفى عام ١٩٤٣ تم تنفيذ اقتراح هام لـ «إلياهو ساسون» ، ويقضى بدراسة الصحف العربية باعتبارها مصدراً هاماً للمعلومات!!

وفى عام ١٩٤٤ قرر رؤساء جهاز المخابرات فى «الهاجاناه» توسيع نطاق شبكتهم فى مصر!!

وبسبب زيادة الشعور المناهض للسامية فى مصر كان الأمر يستلزم الإسراع فى إخراج اليهود من البلاد، كما كانوا يريدون أيضاً الاستيلاء على المخزون الاحتياطى من الأسلحة التى كدسها الحلفاء فى مصر!.

وعموماً - وبحسب ما جاء فى كتاب الموساد- فقد كانوا يريدون الحصول على معلومات، لأن القاهرة كانت مقراً لقيادة الإنجليز فى الشرق الأوسط، ومن ثم فهى

أفضل مكان لمعرفة الخطط التى يضعها الإنجليز حيال المنطقة. كما كان لابد أيضاً التحقق من موقف الزعماء العرب:

ما هى وجهات نظرهم إزاء إنشاء دولة يهودية فى فلسطين؟!

ما الذى سيفعلونه فى حال قيام دولة يهودية؟!

وكان الرجل الذى وقع عليه اختيار «الهاجاناه»، وتنفيذ هذه العملية الموسعة واحداً من كبار العملاء، ويدعى «ليفى إفراهام» الفلسطينى المولد.

جاء «ليفى إفراهام» إلى مصر فى ربيع ١٩٤٤ متخفياً فى شخصية ضابط إنجليزى!!

كان أول مكان يقوم «ليفى إفراهام» بزيارته عندما وصل إلى مصر هو منزل إحدى عضوات المجتمع المصرى البارزات وتدعى «يولندا جابى».

كانت يولندا جابى تنحدر من أسرة موسرة من يهود الإسكندرية، وعاشت فترة فى باريس، واكتسبت بعض الصفات الغربية، ولم تكن صهيونية، ولكن عملية التجسس كانت تستهويها!!.

وكان أكثر ما يهم «ليفى إفراهام» هو أنها كانت لها اتصالات لاحصر لها بكبار الشخصيات العسكرية والسياسية فى مصر!! وكان هذا بالضبط هو ما ترميه الوكالة اليهودية!!

وبسرعة استأجر الاثنان فيللا خارج الإسكندرية كانا يستخدمانها كقاعدة لعمليات التهريب، ولكنها فى الظاهر كانت مكاناً لاستشفاء جنود الحلفاء.

لكن ما علاقة «إلياهو ساسون» بيولندا جابى؟!

الواقع وكما تكشف بعد سنوات طويلة، وبواسطة الشهادات الإسرائيلية نفسها، أن «يولندا جابى» كانت على اتصال دائم ومكثف« بإلياهو ساسون»!!

كان ما يجرى فى مصر وخاصة بالقرب من رموز السياسة المصرية هو ما يريد معرفته «إلياهو ساسون»، وكان هذا بالضبط ما فعلته «يولندا جابى»!.

كان ما يهم «ساسون» هو المعلومات!!

ولم يكن «إلياهو ساسون» بعيداً عن الجاسوسة اليهودية الحسناء «يولاند هارمر»!! أو «يولندا جابى»!!

كانت حكاية «يولاند هارمر» حكاية مثيرة وغريبة بكل المقاييس!

ولدت «يولاند هارمر» فى مصر من أم يهودية تركية، وكان اسمها قبل الزواج «يولاند غاباى»!!

كان أول زواج لها فى سن السابعة عشرة ، وأصبحت أرملة عندما قتل زوجها الثالث، وكان رجل أعمال ثرياً من جنوب أفريقيا على إثر تحطم طائرة.

كانت «يولاند» فتاة شقراء جذابة ترتدى أحدث أنواع الأزياء، وقامت بتحويل اسمها إلى اسم عبرى هو «هارمور» واعتبرت «ماتا هارى» اليهود فى القاهرة.

تزوجت «يولاند» ثلاث مرات قبل أن تكون عشيقة لسلسلة من العشاق ومنهم بعض أثرياء مصر، وبعض النافذين وأعضاء السلك الدبلوماسى.

وبقية تفاصيل حكاية «يولاند» جاءت فى كتاب «الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية ١٩٣٦ - ١٩٩٢» (لإيان بلاك وبنى موريس). وتقول التفاصيل المثيرة:

كانت «يولاند هارمر» أفضل من تجسس لصالح إسرائيل عام ١٩٤٨، ولم تكن تعمل لصالح «الشاى» (جهاز استخبارات الهاجاناه عام ١٩٤٧) ولا للجهاز الذى خلفه (أى شعبة الاستخبارات فى جيش الدفاع الإسرائيلى، ولا للقسم السياسى السرى فى وزارة الخارجية، وهو الهيئة النواة التى أصبحت فيما بعد «الموساد».

كانت «يولاند» ألمع العملاء وأكثرهم فعالية، وكانت ترتبط منذ أواسط الأربعينيات بفرقة الشئون العربية فى القسم السياسى فى الوكالة اليهودية، وبعد إعلان إسرائيل فى مايو ١٩٤٨ تابعت «يولاند» العمل بإشراف قسم الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية.

كان موشى شاريت رئيس القسم السياسى فى الوكالة اليهودية قد جندها للعمل لصالح القضية الصهيونية عندما التقاها فى حفل كوكتيل عامى ١٩٤٥

وتحت الغطاء «كصحفية» ساهمت فى إعداد بعض المقالات عن الشئون المصرية للصحف الباريسية، ودخلت بسرعة ودون جهد كبير فى مجتمع القاهرة الراقى.

قال تيدى كولـيك (عمدة القدس فيما بعـد): كانت كتابتها محـدودة جداً بشكل عام، وكانت باحثة اجتماعية.

وقام «إيلى بيليـغ» ، وهو المندوب السـرى لمنظمـة الشباب الصـهيونى فـى مصر بتلخيص نشاطاتها حتى شهر مايو ١٩٤٨ .

أفاد «بـيليـغ» شاريت (الـذى أصبح وزيـراً للـخارجيـة» أن اتصالات «يـولاند» تضـمنت تقـى الدين الـصلح، وهو المساعد الـرئيسى لـعزام باشـا أمين عام الجامـعة العربية، و«محمود مخلوف» ابن المفتى الأكبر فى القاهرة.

وأضاف: «بيليغ» قوله لشاريت – حسب ما جاء فى نفس الكتاب–:

تطوع مخلوف بإعطاء معلومات «تخدم مصـالحنا ولكنه كان يحتاج إلى ألف جنيه مصرى لتمويل حملته الانتخابية لعضوية البرلمان المصرى(!!).

وكان ليولاند أيضاً علاقات مع أكبر صحيفة فى القاهرة وهى الأهرام.(!!)

أما «تقى الدين الصلـح، والذى أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء فـى لبنان، فقد كان متيماً بها، وكذلك السفير السويدى فى مـصر «ويدار باغ» الذى استسلم لمفاتنها، لقد كان منذ أشهر لا مباليـاً تجاه قضيتنا، ولكنه اليوم صهيونى متـحمس، لقد ذودنا ببعض المعلومات عن الجيش المصرى.

ويؤكد «بيليغ» على أن «يولاند» كان بإمكانـها إقامة علاقات مماثلة مع دبلوماسيين آخرين وخصوصاً أمريكيين وفرنسيين لو تلقت تعليمات بذلك.

كانت يولاند تملك جهاز إرسال راديوى ولكن لم يـستعمله أحد لصالحها، لذلك كانت ترسل جميع تقاريرها بالبريد بوساطـة الولايات المتحدة مما يعنى أنها لم تستطع

أن تواكب التطورات، لكنها حققت نجاحاً مميزاً فى تلك الفترة عندما اخترقت السفارة الأمريكية فى القاهرة، وحصلت على نسخ من البرقيات السرية التى أرسلها «جفرسون باترسون» القائم بالأعمال إلى وزارة الخارجية فى واشنطن.

إحدى هذه البرقيات التى وصلت إلى وزارة الخارجية فى أغسطس (١٩٤٨) تضمنت معلومات عسكرية مفيدة حول عدد التونسيين والجزائريين الذين يقاتلون إلى جانب القوات العربية فى فلسطين.

أخيراً شك «عبدالرحمن عزام» بأنها تعمل لصالح الإسرائيليين، وبعد ذلك ألقى القبض عليها فى يوليو ١٩٤٨ ولم تنفعها الأسماء الرمزية التى كانت تحتفظ بها لعشاقها وأصدقائها وعملائها.

وفى السجن أصيبت «يولاند» بمرض شديد لكن أحداً لم يساعدها.

بعد شهر وفى أغسطس ١٩٤٨ أطلق سراحها وطردت من البلاد (مصر).

وهنا يقول مؤلفا الكتاب «إيان بلاك . وبنى موريس».

لم يكن «إلياهو ساسون» متأكداً من أن إطلاق سراحها كان بناء على مداخلاته مع كبار الرسميين المصريين أو لأنها «وافقت على اقتراح الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بأن يُطلق سراحها وتعمل لصالح العرب».

طلب «إلياهو ساسون» من يولاند أن تحضر الى باريس حيث بدأت اعتباراً من أكتوبر بلقاء ومراسلة عملاء مصر، وزودت تل أبيب بمعلومات كثيرة من الاستخبارات السياسية.

كان ليولاند عادة جيدة حيث كانت تضمن رسائلها إلى القاهرة أفكاراً ووجهات نظر تقترحها وزارة الخارجية فى تل أبيب.

اقترح «عزرا دانين» وهو أحد قدامى جهاز الاستخبارات، وأحد الذين رافقوا جولدا مائير فى زيارتها للملك عبدالله، بأن تضمن «يولاند» الرسائل المقبلة شرحاً للحاجة إلى إعادة توطين اللاجئين فى مكان ما خارج إسرائيل.

وفى أوائل عام ١٩٤٩ أصبحت يولاند «إحدى أكبر العاملين الرئيسيين فى قسم الشرق الأوسط جناح باريس، والذى تضمن أيضاً إلياهو ساسون، حدد جناح باريس مهمته بإقامة اتصالات مع الدول العربية من أجل متابعة التطورات.. واقتراح مفاوضات للسلام، والاتصال مع جماعات المعارضة من أجل إحباط الجهد الحربى العربي».

لم يكن وضع «يولاند» جيداً، وأفاد بعض زملائها بأنها كانت غير فعالة.!!

ولكن «إلياهو ساسون» كان يعتقد بأنها يمكن أن تكون مفيدة، وخصوصاً بعد توقيع اتفاقية الهدنة المصرية الإسرائيلية فى فبراير ١٩٤٩، وأوقف «ساسون» قراراً بنقلها إلى الولايات المتحدة حيث كانت ستتسلم وظيفة دبلوماسية، ومن أجل «المحافظة عليها للعمل فى مصر فى المستقبل وإبعادها عن الشبهة».

فيما بعد وفى الخمسينيات عملت يولاند لصالح الإسرائيليين فى مدريد (أسبانيا) وتوفيت عام ١٩٥٩.

ويؤكد الكتاب على أن وزارة الخارجية الإسرائيلية استطاعت بواسطة «يولاند هارمر» أن تحصل على معلومات سياسية من بلاط الملك فاروق.

ويكتفى الكتاب بهذا السطر المثير، ولا يضيف له أية كلمة أخرى!!

ويلفت النظر ما جاء فى يوميات «ديفيد بن جوريون» التى صدرت فى كتاب «يوميات الحرب» قول بن جوريون مايلى وبالحرف الواحد:

«يولندا» تبلغ أن رجل فاروق ملك مصر يريد الاجتماع إلى «إلياس ساسون» بمعرفة الملك.

ولم يكشف «بن جوريون» فى يومياته عن اسم رجل فاروق الذى يريد الاجتماع بساسون!

من كان يقصد؟! ولماذا أخفى الاسم؟!

لا إجابة.. ولا تعليق!!

لم يذكر كتاب «الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية «السابق الإشارة إليه أية تفاصيل عن علاقة «يولاند» بـ «محمود مخلوف» ابن المفتى الأكبر فى القاهرة.

لكن فى وثائق الخارجية الأمريكية التى تم الإفراج عنها مؤخراً سنجد ما هو أخطر وأهم وأكثر إثارة!!

يوجد فى ثنايا السطور إجابة إلا قليلاً!!

كان ذلك فى مارس ١٩٥٣ بعد مرور شهور على قيام ثورة ٢٣ يوليو، وكان السفير الأمريكى فى القاهرة «كافرى» قد أرسل بتقرير عن القنوات المحتملة لإجراء اتصالات بين مصر وإسرائيل فى حالة عقد مباحثات سلام فى المستقبل!

وتضمن تقرير كافرى مذكرة أعدها «محمود مخلوف» من المصادر الإخوانية للسفارة اقترح فيها اثنين من المصادر الإسرائيلية التى قد تكون فى خدمة الحكومة المصرية إذا فكرت جدياً فى عقد صلح مع إسرائيل.

وحسب ما جاء فى كتاب «تطور السياسة الأمريكية نحو مصر بين حربين» للدكتور «رضا أحمد شحاتة» فى تفسير مبادرة «محمود مخلوف» قوله:

كان «محمود مخلوف» قد نقل إلى «ماكلنتوك» المستشار السياسى للسفارة الأمريكية أنه فى أعقاب اغتيال «الكونت برنادوت»، فقد استطاع إنقاذ حياة إحدى اليهوديات فى مصر وهى مدام «يولاند نيل» وهى صديقة حميمة لوزير خارجية إسرائيل «موشى شاريت»، وأنها موجودة حاليا فى باريس، وأنه يمكن من خلالها الاتصال بشاريت فى أى وقت(!!).

وقال مخلوف «إن مصدره الإسرائيلى الثانى هو أحد أثرياء اليهود يقيم فى لندن ويدعى «بنيت».

ثم يشير الباحث د.رضا شحاتة إلى أن محمود مخلوف دعا لتأكيد هذه المعلومات المتصلة بالقنوات المحتملة للاتصال بين مصر وإسرائيل – مرة ثانية– فى مقابلاته مع المسئولين فى الخارجية الأمريكية فى واشنطن فى ٤ يونيو ١٩٥٣ بعد زيارة دالاس لمصر، حيث نقل «مخلوف» للخارجية الأمريكية أنه على اتصال بأعضاء الجالية

اليهودية فى مصر، وأصدقاء يهود فى لندن، وأنه يريد مساعدة الولايات المتحدة فى تحقيق التسوية مع إسرائيل.

وعن نفس هذه السيدة «يولاند هارمر» يقول هيكل أيضاً إنها هى التى أوقعت فى نفس الفترة سياسياً عربياً بارزاً فى غرامها، وهو السيد «تقى الدين الصلح» وكان يومها مساعداً للأمين العام لجامعة الدول العربية، ولم يكن قد تزوج بعد!!

■ ■

ولم يكن «كريم ثابت» المستشار الصحفى للملك فاروق بعيداً عن «إلياهو ساسون»!!

كان ساسون - وغيره من اليهود يعرفون -أن كريم ثابت كان قد أصبح فرخة بكشك عند الملك فاروق على حد تعبير «إلياس أندراوس» المستشار الاقتصادى للملك.

وذات يوم تقابل «إلياس أندراوس» مع «فؤاد سراج الدين» وقال له إنه قادم إليه فى مسألة هامة، واستوضح فؤاد سراج الدين، عن تلك المسألة الهامة، فقال له إلياس أندراوس ببساطة:

إذا كنتم عاوزين تقعدوا عشرين سنة فى الحكم تاخدوا كريم ثابت وزيراً!!

ورد فؤاد باشا سراج الدين من وسط دهشته وذهوله:

أنت يا باشا مجنون؟!

وكان رد إلياس أندراوس عليه هو قوله:

«كريم ثابت مصرى وصحفى درجة أولى»، والمهم أنه عند الملك فرخة بكشك!!

كان مصدر الرواية السابقة هو «صلاح الشاهد» فى مذكراته «ذكرياتى بين عهدين» ويضيف:

كان كريم ثابت شخصية غامضة تحوط بها الأساطير، ولا مراء أنه لعب دوراً

خلال الفترة من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٢ فى تاريخ مصر، وكانت دسائس القصر تحدق «بكريم ثابت» ،وكان يتغلب عليها فيعود منتصراً.

وفى نفس الوقت كانت زوجته قد دخلت إلى القصر عام ١٩٤٩ لتصبح وصيفة للبلاط الملكى خلفاً لمدام قطاوى (اليهودية)!!

وفى اعترافات الملكة فريدة قولها عن كريم ثابت: «بلغ تأثيره على الملك لدرجة أنه أصبح يلازمه ويجالسه فى سهراته وجولاته، وأصبح له نفوذ كبير على الملك، وأصبح فاروق كقطعة الشطرنج فى يد كريم ثابت.. وشارك فى نسج شباكه حول الملك عن طريق تقديم النساء. مما جعل له حظوة ونفوذاً وتأثيراً، لذلك أنعم عليه فاروق برتبة البكوية ثم الباشوية ثم وزيراً للدولة فى آخر عهد (وزارة حسين سرى)».

ولم يجد الكاتب الكبير «أحمد بهاء الدين» إلا هذه الواقعة للتدليل على المكانة التى احتلها «كريم ثابت» فى عقل وقلب الملك فاروق فيقول ما يلى:

كان إبراهيم عبدالهادى بعد خروجه من رياسة الديوان يروى كثيراً من الصغائر التى كانت تسئ إليه، والتى تدل على نوع حياة الملك ومدى اهتمامه بمستشاريه، من ذلك أنه دخل على الملك مرة ليعرض عليه بعض الأوراق، فوجده جالساً مع «كريم ثابت» يتبادلان رواية النكت البذيئة باللغة الفرنسية ويضحكان فى عربدة، ولما رأى الملك رئيس الديوان قال لكريم «قول النكتة تانى بالعربى علشان الباشا ما يعرفش فرنساوى .

فرد كريم ثابت: «ولا عربى كمان»(!!).

وضج الاثنان بالضحك الشديد ورئيس الديوان واقف والأوراق فى يده.. لا يدرى ماذا يصنع؟!

وتشير د. لطيفة سالم فى كتابها «فاروق وسقوط الملكية فى مصر» إلى وقائع هامة لها دلالتها البالغة ولم ينتبه لها أحد فتقول:

«واستغل فاروق اليهود أثناء حرب فلسطين جيداً، وسلك أكثر من طريق، الطريق الأول التفنن فى القبض على بعض الأغنياء منهم، وتجرى المساومة، ثم يكون الإفراج عنهم فى مقابل مبالغ كبيرة.

وأثار ذلك «النقراشى»، وذهب للملك وطلب منه ترك مسألة القبض له، وأنه لا يقدم على ذلك إلا بناء على مستندات بأن المشتبه فيهم على علاقة بالصهيونية.

أما الطريق الثانى فكان مباشراً بمعنى أن كريم ثابت يقوم بالتفاوض مع أثرياء اليهود على المقابل ليفرج عن اليهود المقبوض عليهم.

ويأتى الطريق الأخير وهو الدفع لترفع الحراسة عن شركاتهم!!

وتشير د. لطيفة سالم إلى حكاية أخرى أكثر إثارة ومؤداها: «أنه فى حرب فلسطين كان بعض المتهمين فى قضية الأسلحة الفاسدة يخسرون كل ليلة على مائدة الملك مبالغ كبيرة.

كذلك لوحظ أنه يلعب البكاراه مع اليهود فى تلك الفترة ولم يعبأ بأيه نصيحة..

وفى مرة ذهب إلى بيت جورج صيدناوى (وهو من أثرياء اليهود) واستمر يلعب البوكر إلى اليوم التالى.

وإلى جانب الطريق الجوى والطريق البحرى الذى سلكه فاروق فى تهريب ثروته الضخمة خارج مصر، استخدم «فاروق» أيضاً اليهود!! وكان الإفراج عن البعض منهم يكون مقابل تهريب الأموال معهم، فعندما تم القبض على أحدهم بتهمة التجسس لحساب إسرائيل -وهو مدير لإحدى شركات الملاحة فى بورسعيد- أقنعه بوللى بأن فك اعتقاله مرتبط بما يحمله من ذهب أثناء صعوده على ظهر السفينة.

وأيضاً حدث أن اتفق الملك مع تاجر يهودى كان على صلة به على شراء قطن الخاصة الملكية لحساب إسرائيل نظير تهريب مبلغ عشرة ملايين جنيه إلى سويسرا.

وحسب ما جاء فى مذكرات د . حسين هيكل باشا اعتراف خطير كان قد أخبره به «رئيس الوزراء إسماعيل صدقى» باشا ، كتب هيكل باشا يقول:

«أخبرنى المرحوم إسماعيل صدقى باشا قبل سفره الأخير إلى أوروبا ، وكان قد جاء إلى رياسة المجلس (مجلس الشيوخ) يحدثنى فى أمر استقالته من عضوية الشيوخ، أن كريم باشا استولى على خمسة وسبعين ألفاً من الجنيهات من اليهود الذين اعتقلوا أو وضعت أموالهم تحت الحراسة فى أثناء حرب فلسطين للإفراج عنهم أو رفع الحراسة عن أموالهم».

وفيما بعد تكشفت بعض الحقائق الخافية حول علاقة «كريم ثابت» الخفية باليهود!

كانت المناسبة هى «محاكمة كريم ثابت» أمام محكمة الثورة، وفى جلسة ١٦ سبتمبر ١٩٥٣ تم سماع شهادة «حافظ عفيفى» باشا رئيس الديوان الملكى، وكانت أسئلة رئيس المحكمة «عبداللطيف البغدادى»، وإجابة «حافظ عفيفى» كما يلى:

س : ألم تسمع أنه أيام حرب فلسطين كان (كريم ثابت) يتوسط للإفراج عن اليهود؟ !

حافظ عفيفى: أيوه سمعت كثيراً ولكن برضه ما عنديش دليل قاطع!

س : سمعته من مصريين واللايهود؟!

حافظ عفيفى: سمعت من يهود(!!).

س: اشرح ما سمعته؟!

حافظ عفيفى: ما قالوش مبالغ، ولكن قالوا إنهم دفعوا.. وأرجو إعفائى من ذكر الأسماء وهو كان بيتدخل لرفع الحراسة عن شركات اليهود والإفراج عنهم.

س: الفلوس دى كانت لكريم واللا للملك السابق؟!

حافظ عفيفى: ده سر ما أعرفوش، واللى أعتقده من أخلاق الاثنين أنهم بيتقاسموا.. بس واحد له نصيب الأسد، وواحد له نصيب القط.»

■ ■

وبلغ من خطورة المكانة التى احتلها كريم ثابت فى القصر أن الملك فاروق أصدر قراراً فى عام ١٩٤٦ -قبل مؤتمر أنشاص -قراراً بتعيينه مستشاراً صحفياً للديوان،

واقترح «حسن باشا يوسف» إرجاء تنفيذ ذلك القرار، وغضب الملك فاروق غضباً شديداً على «حسن يوسف» وقال له حسب ما جاء فى مذكراته:

أليس لى الحق فى أن أعين مستشارين يضطلعون بمهام خاصة .. كما يفعل رئيس الولايات المتحدة؟!

ويشير «حسن يوسف» أيضاً إلى أن على ماهر باشا عندما تم تكليفه بتشكيل الوزارة فى يناير ١٩٥٢ اتصل به إلياس أندراوس قائلاً إن الملك يسره أن يعين كريم ثابت وزيراً فى وزارته!!

واعتذر على ماهر عن تنفيذ طلب الملك، ولكن حسين سرى باشا وافق على نفس المطلب الخاص بتعيين كريم ثابت وزيراً عند تشكيل وزارته فى ٢ يوليو ١٩٥٢.

وصباح ٢٢ يوليو ١٩٥٢ عندما كلف الملك «أحمد نجيب الهلالى» بتشكيل الوزارة كان أول شرط للهلالى للموافقة على ذلك هو إخراج «كريم ثابت» من الإذاعة وألا يدخل الوزارة!

وهكذا كان كريم ثابت «أحد مراكز القوى» المسيطرين على مجريات الأمور داخل وخارج القصر، ولم يكن أحد وقتها يدرى بحقيقة الدور الذى يلعبه فى الخفاء مع اليهود وخاصة مع «إلياهو ساسون»!!

وجرت وقائع هذا الدور أثناء انعقاد مؤتمر لوزان فى سويسرا، والذى حضره ممثلون عن العرب واليهود، ومن لوزان كتب «إلياهو ساسون» إلى وزير خارجيته «شاريت» يقول:

٣١ يوليو ١٩٤٩

موسى العزيز

تحيات..

فور وصوله إلى أوروبا منذ عشرة أيام طلب سلفاتور شيكوريل (رجل أعمال يهودى مصرى) من إميل نجار (كان رئيساً لاتحاد صهيونى مصر من سنة ١٩٤٣ إلى

١٩٤٧، ثم هاجر إلى إسرائيل، وأصبح، فيما بعد سفيراً لإسرائيل لدى إيطاليا) أن يبحث عنى ويصلنى به فى أقرب وقت ممكن. وأكد أنه يحمل لى رسالة من القاهرة.

«يوم الأربعاء الماضى، جاء إميل نجار إلى لوزان، واصطحبنى إلى شيكوريل فى إيفان .لقد ذكر شيكوريل أنه غادر مصر فى طريقه إلى الولايات المتحدة لأغراض تجارية، ولكنه دعى قبل سفره ببضعة أيام إلى لقاء عاجل مع كريم ثابت مستشار الملك لشئون الإعلام، وكان (المستشار) أيام حرب فلسطين، وسيطا بين القصر والحكومة، وبين الجالية اليهودية فى مصر. ساعد على مسائل كإخلاء سبيل، وغير ذلك ، وحصل على أجر سخى: مرة ٣٠ ألف جنيه مصرى ، ومرة أخرى ٤٠ ألف جنيه مصرى.. إلخ.. قال المستشارلشيكوريل إن الملك سمح بسفره إلى الغرب، ويزيد الاستعانة به على نقل رسالة إلى أحد اليهود الصهيونيين ويدعى إلياس (إلياهو) ساسون، الموجود اليوم على حد علمه فى باريس أو لوزان. وأضاف (المستشار) أن ساسون هذا معروف فى مصر والعالم العربى كصديق للعرب، وكباحث عن طرق لإحلال السلام بين شعبه والشعوب العربية، وأجاب شيكوريل أنه لا يعرف ساسون، وأنه لم يمارس السياسة على الإطلاق، لا المصرية ولا العربية ولا الصهيونية، ولكنه مستعد لأن ينفذ، بطيب خاطر وبأمانة، أية مهمة يكلف بها، خصوصاً إذا كانت هذه هى رغبة الملك، الذى لولا عطفه وحمايته لكان جميع يهود مصر اليوم فى عالم الفناء».

«قال المستشار (كريم ثابت) إن الرسالة قصيرة وتساعد على: أولاً : تحسين وضع يهود مصر. ثانياً: التمهيد للتفاهم بين مصر وإسرائيل. ويرغب الملك فى أن ينقل إلى ساسون قرار حكومته بأن تفعل كل ما تستطيع لتحسين وضع يهود مصر، ومنحهم من جديد الحرية التى كانوا يتمتعون بها سابقاً، والإفراج تدريجياً عن المعتقلين وعن أملاكهم. كذلك قررت حكومة مصر النظر بجد إلى الوضع الذى قام فى فلسطين . مقابل ذلك، يطلب الملك أن تتوقف الإذاعة والصحافة الاسرائيليتان عن مهاجمته ومهاجمة حكومته وشعبه، وأن تستخدم إسرائيل كل قوتها ونفوذها لوقف الحملات على مصرفى الصحافة الغربية، وخصوصاً فى الصحافة الأمريكية».

«واختتم المستشار قائلاً: هذه هى الرسالة التى يطلب منك الملك أن تنقلها إلى ساسون، وإذا لم تجده فى أوروبا لسبب ما، حاول أن تجد شخصية صهيونية مسئولة أخرى تنقل بواسطتها هذه الرسالة إلى حكومة إسرائيل».

«وفى نهاية حديثه صافح (المستشار) شيكوريل، وتمنى له باسم الملك وباسمه رحلة طيبة وموفقة».

«سأل شيكوريل، بعد أن أنهى حديثه، ما إذا كان بإمكانه اعتبار مهمته منتهية، وأضاف أن «المستشار» لم يطلب منه أن يكتب له عن نتائج اجتماعاته بساسون أو بشخصية صهيونية أخرى، وهو يفضل، بعد أن يكون سلم الرسالة، أن ينفض يده من المهمة كلها».

«وفى ردى، حدثته عن الفائدة التى ستعود على يهود مصر نتيجة أى تقارب بين بلدهم وإسرائيل، وأوضحت له أنه لا يجوز إضاعة مثل هذه الفرصة، بل على العكس ، ينبغى استغلالها قدر المستطاع. ومن حقه أن أذكر أنه وافق على كل كلامى، وقال إنه مستعد للقيام بأية خدمة أكلفه بها، وقال إنه عطف دائماً على مشروعنا، ولم يوافق أبداً على إصدار أى تصريح ضد الصهيونية. وتحدث أيضاً عن علاقاته الحسنة برجال القصر والسياسيين ورؤساء الأحزاب. وأكد أنه سيكون سعيداً بتقديم أية مساعدات».

«وبعدما تشاورنا نحن الثلاثة -شيكوريل ، ونجار، وأنا - تم الاتفاق على:

١ - أن يؤخر شيكوريل سفره إلى الولايات المتحدة بضعة أيام.

٢ - أن يكون مستعداً للعودة إلى مصر لبضعة أيام إذا طلب منه ذلك.

٣ - أن يرسل برقية إلى «المستشار كريم ثابت» يطلعه فيها على اجتماعه بى، وعن تسليمى الرسالة، وعن المعاملة الإيجابية والودية التى لقيته بها، وأن يبلغه أيضاً، أن ردى يحتم رداً من جانبهم، وأن يطلب السماح له بالعودة لبضعة أيام إلى مصر من أجل ذلك، وقد تم وضع نص البرقية فى الحال، وأرسلت. وإذا حصلنا على رد إيجابى، فسأزوده بكل ما هو مطلوب بناء على تعليماتك. والواقع أن هذا الأمر، بحد ذاته، هام جداً».

تحية وسلاماً

إلياس (إلياهو) ساسون

■ ■

كانت رسالة «ساسون» تكشف باختصار شديد عن طلب شديد الخطورة لكريم ثابت، وهو «تحسين وضع يهود مصر» والتمهيد للتفاهم بين مصر وإسرائيل، بشرط أن تتوقف الإذاعة والصحافة فى إسرائيل عن مهاجمة الملك(!!).

وبعد ثلاثة أيام أرسل «ساسون» إلى «شاريت» برسالة أخرى وتفصيلات جديدة!

٣ آب (أغسطس) ١٩٤٩

موشيه العزيز

وافر التحية..

مرت ثمانية أيام منذ أرسل سلفاتور شيكوريل البرقية إلى (المستشار) ولم يصل حتى الآن أى رد، ولا يعرف شيكوريل معنى هذا الأمر، ولعل (المستشار) حذر إلى درجة لا يريد أن يورط نفسه بأشياء مكتوبة، ويحتمل أن يكون التغيير الذى حدث فى تركيب الحكومة المصرية قد أدى إلى التأخر فى الرد بعض الوقت.

ومع أن شيكوريل لا يستطيع، كرجل أعمال، أن يبقى وقتاً أطول فى أوروبا، ويرغب فى مواصلة سفره إلى الولايات المتحدة، إلا أنه وافق على البقاء بضعة أيام أخرى، بناء على طلبى وتقديراً للأمر، وفى تلك الأثناء أعددت له، بعد استشارة رؤوبين رداً خطياً، وطلبت منه أن يرسله فوراً إلى «المستشار» بالبريد المضمون، ففعل ذلك بطيب خاطر، والرد مكتوب بالفرنسية ويتطرق إلى عدة مبادئ. وفيما يلى نصه:

«استلم الرجل الرسالة بسرور وبكل الجد الذى تستحقه، ووعد بأن يعمل كل ما فى وسعه لينفذ طلباتكم، وهو واثق من أن حكومته ستنظر إلى رسالتكم بجد مماثل، وستعتبرها دليلاً على رغبتكم الصادقة فى العمل من أجل إحلال السلام فى الشرق بأسره».

«والرجل يقرأ الصحف المصرية باستمرار، وهو يأسف أن يقول إنها تهاجم حكومته بأقصى لهجة، وتنسب إليها مؤامرات ودسائس لا أساس لها، وينطبق هذا على الإذاعة المصرية أيضاً، وهو يلفت انتباهكم إلى هذا الأمر، ويعتقد أنه يجب وقف هذه الحملات من مختلف النواحى».

«وأعرب الرجل عن ارتياحه إلى بوادر الموقف الجديد للوفد المصرى إلى محادثات لوزان، وهو يعتقد أن لكم دوراً فى هذا الموقف ويشكركم كثيراً على ذلك، ويرجو أن توعزوا، إذا أمكن، إلى رئيس الوفد المصرى فى لوزان ليتعاون معه على إنجاح المحادثات، الأمر الذى يعود بالخير على الطرفين».

«ويعتقد الرجل أنه من المستحسن كثيراً أن ترسلوا تعليمات إلى جميع ممثليكم فى المؤسسات الدولية والعربية، لوقف تهجمهم على حكومته وبلده، فيتمكن إذ ذاك من اقناع أبناء شعبه حيثما وجدوا ـ خصوصاً من كان منهم فى أمريكا، ليس فقط بوقف تهجمهم على بلدكم. وإنما أيضاً الإشادة به والعمل على مساعدتكم فى جميع اتصالاتكم بالدول الغربية».

«إن الرجل مستعد للاجتماع بسرية بالغة، بأى شخص توفدونه إلى سويسرا أو فرنسا أو أى بلد محايد آخر، وذلك للبحث بصورة مجدية وودية تماماً، فى أى أمر من شأنه أن يحسن تدريجياً العلاقات بين بلده وبلدكم، ويحافظ على المصلحة المشتركة سواء فى الشرق أو الغرب، ويساعد على إحلال سلام حقيقى دائم فى الشرق الأدنى، وهو يعتقد أن مثل هذه اللقاءات مهمة ومفيدة جداً».

«لا يساورنى شك فى أن «المستشار» سيطلع الملك فاروق على الرد. ويحتمل أن يعرضه بعد ذلك على حكومته للمناقشة، وأن يوفد شخصاً مسئولاً للقائى».

ومن رسالة «ساسون» يتضح مدى ذكاء وخبث وحرص كريم ثابت فى رده المكتوب، فهو «مستعد حسب كلام ساسون للاجتماع بسرية بالغة بأى يهودى يوفده شاريت إلى سويسرا أو فرنسا أو أى بلد محايد!! للبحث فى تحسين تدريجى للعلاقات بين بلده وإسرائيل، وإحلال سلام حقيقى دائم»!!

وعند هذا الحد تتوقف المعلومات!!

لكن الإثارة لا تتوقف بل تتزايد أكثر!!

■ ■

فى كل تلك الاتصالات السابقة التى أجراها وقام بها «إلياهو ساسون» كان الغائب الحاضر هو «الوكالة اليهودية» والتى كان يتابع كل أعمالها وخطواتها «ساسون» نفسه.

وفى الوقت الذى كان يختفى فيه ساسون عن مجرى الأحداث فى مصر كانت الوكالة اليهودية فى القاهرة تمارس نفس الدور!!

تسللت الوكالة اليهودية إلى كواليس ودهاليز الحياة الثقافية والفكرية والصحفية المصرية!!

استخدمت الوكالة اليهودية فى تسللها كل ما يخطر على البال من أساليب.. بدءاً من سلاح الإعلانات والمال إلى سلاح الرشوة المباشرة!!

وفى ذاكرة ومذكرات شيخ الصحفيين «حافظ محمود» سر خطير عن دور الوكالة اليهودية فى مصر قبل نشوب حرب فلسطين!

كتب «حافظ محمود» يقول :

الذى لم يكن يعلمه الكثيرون أن الوكالة اليهودية العالمية كانت لها مكاتب فرعية فى العواصم العربية الكبرى كالقاهرة وبغداد إلى ما قبل دخول الدول العربية معركة فلسطين ١٩٤٨.

كانت هذه المكاتب تحمل فى ظاهرها الطابع الصحفى، أما باطنها فكان يتسع للكثير، وكان فى مقدمة هذا الكثير تقديم المعلومات المزيفة عن طريق نساء يوهمن الساسة العرب أنهن يعملن لحسابهم، أما أخطر مهمة لهذه المكاتب فقد كانت مراقبة التحركات العربية وعرقلة ما يكون فيها من يقظة مضادة للتحركات الصهيونية التى سبقت قيام إسرائيل!

أذكر أننى كتبت فى هذه الأثناء مقالاً يوضح هذه التحركات فى جريدة (السياسة

الأسبوعية) التى كنت أتولى إذ ذاك رياسة تحريرها، وعلى أثر ظهور هذا المقال زارنى متعهد إعلانات (يهودى) وبعبارة لطيفة جداً رجانى أن أكتب مقالاً فى نفس الموضوع لكن بعبارة لا تجرح اليهود!!

قلت له: وما شأنك أنت؟!

فأجاب بنعومة: إن عدداً من عملائه يقرأون هذه الجريدة أو يفيدون منها والأسلوب الذى كتبت به المقال يعرض الجريدة للخطر!!

ويعترف حافظ محمود بأنه ضحك من كلام متعهد الإعلانات اليهودى وصرفه من مكتبه، ولكن وقبل مضى ٢٤ ساعة كانت أمامى شكوى من الإداريين فى الجريدة بأنهم عجزوا عن الحصول على الورق، ثم عجزوا عن الحصول على الحبر، فقد كانت كل هذه السلع فى أيدى اليهود!

وعالجنا هذه المشكلة ، لكننا فوجئنا باختفاء قطعة صغيرة من أجزاء آلة الطبع، وبالبحث اكتشفنا أن للوكالة اليهودية دخلاً فى هذا كله!!!

وقام حافظ محمود بإبلاغ السلطات المصرية بما علم« وكان هذا التبليغ بداية فتح العيون على ما تفعله هذه الوكالة»!!

«وفجأة اختفى جواسيس الوكالة اليهودية ،لكنهم دخلوا فى جيوب عملاء الاستعلامات الذين كانت تستخدمهم السفارة البريطانية فى مصر ، وكادوا يقومون بدور أخطر من الأدوار السابقة، لولا أن مجلة روز اليوسف استطاعت أن تكشف هذا السر فى تحقيق صحفى من التحقيقات الصحفية التى طورت دور الصفحة العربية فى الصحف المصرية».

■ ■

وجرت محاولات مماثلة أيضاً مع حزب مصر الفتاة!

كان زعيم حزب مصر الفتاة هو «أحمد حسين»!

فى ذلك الوقت من عام ١٩٣٨ كان الاضطهاد النازى لليهود -حسب رواية أحمد

حسين نفسه- على أشده، وكانت مجلة الحزب واسمها أيضاً «مصر الفتاة» تطفح بالمقالات النارية ضد الصهيونية وما يرتكبه الإنجليز لحسابهم فى فلسطين.

وذات يوم ذهب محام من أكبر المحامين فى مصر لمقابلة أحمد حسين وسأله:

هل عندك مانع من مقابلة صديق يهودى لى كان يصدر مجلة للشئون المالية فى الإسكندرية.

ولم يكن هناك ما يمنع «أحمد حسين» من مقابلة ذلك اليهودى «حيث لم تكن مشكلة اليهود قد أخذت كل هذه الحدة».

وتمت المقابلة فى مكتب المحامى الكبير، وفوجئ «أحمد حسين» باليهودى يسأله:

هل أنت ضد اليهود كيهود؟!

وقال أحمد حسين له:

إننى باعتبارى مسلماً لا يمكن أن أكون كذلك! وباعتبارى سامياً فلا يمكن أن أخاصم اليهود باعتبارهم من الجنس السامى.

ولم يفت أحمد حسين أن يلفت نظر اليهودى إلى أحد مبادئ مصر الفتاة العشرة حيث كان ينص على ما يأتى:

«تطهر وصل لربك، وأم المسجد يوم الجمعة إن كنت مسلماً، ويوم الأحد إن كنت مسيحياً، ويوم السبت إن كنت يهودياً».

وعاد اليهودى يتساءل:

علام إذن هذه الحملة الشعواء على يهود فلسطين؟!

وقال «أحمد حسين» له:

إننا لا نهاجم هؤلاء اليهود الذين جاءوا إلى فلسطين مستعمرين، فإننا ليس فقط نعاديهم، بل سنحاربهم إذا لزم الأمر!!

وهنا أسرع الرجل اليهودى قائلاً:

لا علاقة لنا بالصهيونية ! !

وكان رد أحمد حسين فى الحال هو قوله:

إذن لا خلاف بيننا واليهودى المصرى هو كأى مواطن له ما لنا وعليه ما علينا !

وعاد اليهودى ليسأل أحمد حسين ببساطة قائلاً له:

هل مجلتك على استعداد أن تنشر لنا إعلانات ؟ !

وأجاب أحمد حسين عن سؤال اليهودى قائلاً:

إن مجلتنا ملتزمة بأنه لا تنشر أية إعلانات إلا لتاجر مصرى، أو عن بضائع مصرية، وفى هذه الحدود ننشر إعلانات اليهود المصريين ! !

ورد اليهودى على كلام أحمد حسين السابق بقوله:

سأعقد عقداً بألف جنيه فى السنة ! !

وحسب ما جاء فى كتاب «نصف قرن مع العروبة وقضية فلسطين» لأحمد حسين قوله بالحرف الواحد:

«أعترف أننى ذهلت من ضخامة المبلغ، وخفت فى نفس الوقت، فقد كان هذا المبلغ فوق مستوى إدراكنا، لقد كانت مجلتنا تطبع فى كل أسبوع بخمسة عشر أو عشرين جنيهاً، وقد جعلنى الخوف من ضخامة المبلغ وأنه سيدفع مقدماً إلىَّ ألا أمس المبلغ، وطلبت من صاحبى المحامى أن يحتفظ به عنده حتى يتم تنفيذ العقد ونتبين كيف تسير الأمور».

ثم يضيف أحمد حسين ما جرى بعد ذلك فيقول:

وفوجئت فى اليوم التالى لعقد الاتفاق بتليفون المجلة يدق بصورة متوالية، وكلها من كبريات المتاجر اليهودية فى مصر، شيكوريل ، شملا، بنزايون، داود عدس،

وكلها تـطلب منا أن نرسـل مندوبنا ليـأخذ إعلاناً وكأن كلـمة السر قد أعطـيت لهم فراحوا يتنافسون فى نشر الإعلانات!

ولما سألنا إذا كان نشر هذه الاعلانات جزءاً من العقد الذى أبرمناه قالوا أن لا علم لهم بهذا العقد، ولكنهم يريدون نشر إعلاناتهم ودفع الأجرة التى نقدرها.

وجاءنـى رجل لابد أنه كـان هو الصـهيونى المختص بالـسيطـرة على الصـحف المصريـة وقال لى: إنه يدير مـكتب صحافـة، ويريد منا أن يـشترك فى الجريدة بـعشر نسخ،ويريد أن يبعث لنا من حين لآخر ببعض بيانات لننشرها، وذلك فى مقابل عشرة جنيهات يدفعها كل شهر.

فقلت له:

ولكنك تعرف سياسة المجلة والحزب، نحن أعداء للصهيونية وحرب عليها، ولن نغير حرفاً واحداً مما نكتبه أو نقوله!

فقال الرجل: مالـنا يا سيدى وللصهيونـية نحن أعداء لها كما أنتـم أعداء ، فنحن يهود مصريون نريد أن نعيش فى أمن وسلام كما عشنا حتى الآن!!

ويقول« أحمد حسين» معلقاً على كلام الرجل اليهودى:

أدركت على الفور الخطة التى تحاك لى، وهـو أسلوب اليهود فى كل عصر وزمان وهو أن يـشتروا - أعـتى خصومـهم بالمـال، وتعمـدت أن أضاعف فى الحـملة عـلى الصهيونية،وأن أحذر من خطرها على مصر بالذات!!

وجاء «إلياس شقال» وهـو اسم الرجل - ومعه نسخة من آخر أعـداد مصر الفتاة وقد خط بالأحمر، تحت كل سطر له عليه ملاحظة.

ولما كنت قد تعمدت أن أتـصاعد بالحملة على الصهيونية، فقـد كانت المجلة كلها مخططـة بالأحمر، وحاول الرجـل -إلياس شقال- أن يتكـلم . ولكننى سـددت عليه الطريق وقلت له:

إننى لا أسـمح له أن يقول أية مـلحوظة، فقـد اتفقنا مـنذ البداية أن لا علاقـة لهم بالصهيونية!

واستدرك الرجل قائلاً : إنه يعرف حدوده، وليست له أية ملاحظات!

ويعلق أحمد حسين على ما حدث بعد ذلك فيقول:

وكان من العجب أن تضاعفت الإعلانات فى العدد التالى، وبدأت خطتهم تتكشف لى. فهم يريدون أولاً أن أبدأ فى إدخال أموالهم التى ستتدفق على المجلة فى حسابى ، فأسرع فى رفع مستوى حياتى، ورفع مستوى المجلة، بحيث أصبح معتمداً اعتماداً كلياً، وكذلك حياة المجلة.

وعند هذا الحد وبعد أن يتأكدوا منه، يشرعون فى إملاء أوامرهم وتوجيهاتهم وهذا هو أسلوبهم مع كل الصحف الكبرى، فهذه الصحف لا تعيش إلا على الإعلانات وهم ملوك الإعلان فى كل مكان!!

وتعمدت فى العدد الثالث بعدالاتفاق وبعد تدفق الإعلانات أن تكون الحملة أشد وأشد، وجاء من جديد «إلياس شقال» وهو يحمل المجلة المخططة بالأحمر.

وفى هذه المرة لم يستطع أن يحبس الكلام فقال: إننا اتفقنا على أن تكتب ما تريد، ولكننى لاحظت أننى منذ اتصلت بك تضاعفت الحملة، وأصبحت أشد عنفاً. فهلا تخشى أن هذه الحملة من الإثارة بحيث تنعكس على يهود مصر؟!!

وعلى ما يبدو فقد كان هذا هو بالضبط ما يتوقعه وينتظره أحمد حسين فقد بادر الرجل قائلاً له:

من حسن الحظ أننى اكتشفت خطتكم قبل فوات الأوان، ومن حسن الحظ أننى لم ألمس هذه الألف من الجنيهات التى حاولتم أن ترشونى بها!

أتظن أنه من الطبيعى وبمحض الصدفة أن تتهافت المتاجر اليهودية على الإعلان فى جريدتنا، وأن تشترك أنت بعشرة جنيهات فى الشهر؟! وأن تبرموا معى عقداً بألف جنيه لنشر إعلانات لم أر منها حتى إعلاناً واحداً، فكل الإعلانات التى تجئ للمجلة يدفع أصحابها قيمتها!!

إننى أعلنك أن العقد الذى أبرمته مفسوخ، ،وعليكم أن تستردوا الألف جنيه من

صاحبكم المحامى، فهى لا تزال عنده، ومنذ العدد القادم لن أقبل نشر إعلان ليهودى غير مصرى أو مصرى!!

وسأعتبر منذ اليوم أى يهودى صهيونياً!!

وتظاهر الرجل -حسب ما جاء فى كلام أحمد حسين - بعد هذا الانفجار بشئ من الانكسار أو بالأحرى تظاهر به، وأسرع يعرب عن أسفه وإننى لن أراه مرة ثانية، وسترد الإعلانات كما كانت ترد، ولأكتب ما أشاء أن أكتب!

وانصرف الرجل وهو يشعر بالندم!

وفى العدد التالى نفذت ما قلته «لإلياس شقال» فكتبت القصة السابقة على صفحات المجلة وأعلنت أننا نرفض نشر أى إعلان ليهودى حتى لو كان مصرياً فكلهم صهاينة.

ولم تنته القصة عند هذا الحد، فبعد حوالى أسبوع فوجئ أحمد حسين بزيارة الأستاذ «رفيق الحسينى» الذى كان يعمل سكرتيراً للحاج «أمين الحسينى» مفتى فلسطين وهو يحمل خطاب شكر وتحية لمصر الفتاة، وكان الخطاب مصحوباً بخمسين جنيهاً!!

ويعلق أحمد حسين على هذه الواقعة بقوله:

«ولست أظن أننى فرحت فى حياتى كلها بأى مبلغ من المال فرحى بهذه الخمسين جنيهاً، وقد اعتبرتها بمثابة رسالة من الله عز وجل، فقد كانت المجلة فى حالة شديدة من العوز حتى كنا مهددين بالتوقف، خاصة بعد أن وقفت من اليهود هذا الموقف، وكان كل تجار الورق الذى نتعامل معهم من اليهود، فجاءت هذه النجدة الإلهية فى وقتها ومضينا فى سياستنا فى محاربة الصهيونية أشد عزماً وإصراراً».

■ ■

ولم يكن د. محمد حسين هيكل «باشا» والذى كان يرأس تحرير جريدة السياسة فى ذلك الوقت غائباً عن الصورة:

قال د. هيكل فى مذكراته (الجزء ٣ ص ١٣):

«جاءنا فى جريدة «السياسة» يهودى بدأ يكتب عندنا مقالات فى شئون شتى لا علاقة لها بفلسطين، ولا بالهجرة اليهودية، ثم حدثنى فى تأييد «السياسة» للحركة الصهيونية بحجة أن العرب واليهود من الجنس السامى الذى يقاومه الأوروبيون بكل قوتهم. وزاد على ذلك أن «السياسة» تفيد من هذا التأييد فائدة مادية جسيمة، فاعتذرت له عن عدم إجابة مطلبه «فالسياسة» جريدة حزبية طابعها إسلامى. وتأييدها للحركة الصهيونية لا يتفق مع مبادئنا. وعرض الرجل أن نجعل من السياسة منبراً حراً فى هذا الاتجاه، فاعتذرت مرة أخرى بأن مصر تؤازر البلاد العربية جميعاً فى المطالبة بالاستقلال وتقرير المصير، وأن «السياسة» على أية حال تفقد الشئ الكثير من نفوذها إذا أيدت حركة ضد العرب فى فلسطين أو فى غير فلسطين».

■ ■

وفى كل اتصالات وأنشطة الوكالة اليهودية فى القاهرة، لم يكن «إلياهو ساسون» غائباً عن تلك المحاولات!!

كان «ساسون» يظهر ويختفى فى مصر طبقاً لمقتضيات المهمة!..

وهكذا طوال سنوات ما بعد منتصف الأربعينيات، كان «ساسون» يتجول فى مصر ساعياً وطالباً وراجياً لمقابلة رموزها فى دنيا السياسة وقمتها حاملاً أحلامه ورؤاه.

وكان إسماعيل صدقى باشا رئيس وزراء مصر على رأس من قابلهم ساسون!!

وتلك حكاية أخرى!.

٢

صدقي باشا اليهودي والنمر

ووجد «ساسون» طريقه إلى رئيس الوزراء «إسماعيل صدقى باشا»!!.

لم يتمتع« سياسى مصرى» بكراهية الناس والمثقفين والصحافة مثل «إسماعيل صدقى باشا»!!.كان الكل يكرهه ويلعنه، ويسبه، ويسير فى المظاهرات التى تهتف بسقوط «صدقى باشا»!.

اكتسب «عداوة» الجميع لا حبهم!! واكتسب «احترامهم» لاثقتهم!!.

كانت آراؤه السياسية صدمات لاتنتهى، وقنابل موقوتة، ورصاصاً يتطاير!!.

أطلق عليه أعداؤه لقب «عدو الشعب»، أما أنصاره فكانوا يسمونه «رب الكفاءات»! الأصدقاء أسموه «نمر السياسة» !! والخصوم أسموه «ذئب النساء »!!.

كان أحد نجوم ثورة ١٩١٩ الذين نفوا مع «سعد زغلول»، لكنه سرعان مايصبح أبرز معارضى سعد زغلول!!.

كان يكره الأحزاب والحياة الحزبية، لكنه ألف «حزب الشعب»!.

كان رئيس «حزب الشعب»، وكان يؤمن بأن الشعب طفل سيكبر مع الوقت، وبشرط أن يجد من يضربه على أصابعه كلما أراد أن يضع هذه الأصابع فى النار!!.

وكان المصرى الوحيد الذى اعترض على دخول مصر حرب فلسطين ١٩٤٨، ولم يكن ذلك الاعتراض سرياً بل عبر حديث صحفى مثير أجراه معه «مصطفى أمين»، ونشر فى «أخبار اليوم» صبيحة بدء الحرب فى ١٥ مايو ١٩٤٨، وقامت القيامة وسط الرأى العام!!.

تماما مثلما حدث قبل ١٨ عاماً عندما ألغى «صدقى» باشا دستور ١٩٢٣، وأصدر دستوراً جديداً بمرسوم ملكى هو دستور ١٩٣٠ (!!).

وما أكثر المتناقضات والألغاز فى سيرة «إسماعيل صدقى باشا»!!.

كان الكاتب الصحفى الكبير «محمد زكى عبدالقادر» أحد الذين اقتربوا بشدة من صدقى باشا عندما كلفه برئاسة تحرير جريدة «الشعب» لفترة طويلة.

كتب «زكى عبدالقادر» يصف صدقى باشا على هذا النحو:

«صدقى باشا مكير، حويط، ذكى، بارع الذكاء، تحس وأنت معه بشعاع قوى من الخوف والرهبة والحب والكراهية والحيرة، لاتعرف هل هذا الرجل إنسان كريم عطوف شفيق يتفجر قلبه رحمة، أم أنه إنسان قاسٍ عنيف، كان فى عينيه مايشبه السر والطلسم، ولكنك لم تكن تستطيع إلا أن تسمع له وتنبهر به».

وكان صدقى باشا قد أصيب فى هذه الأثناء - ١٩٣٣ - بشلل فى ذراعه اليسرى مما اقتضى تخفيف الأعباء عنه، ومما أشاع الفرح والسرور فى قلوب خصومه، وتمنوا أن يضعفه المرض، وهو الذى لم تضعفه الحوادث ولا المعارضة الشاملة الكاملة، روى لى «دسوقى باشا أباظة» أنه دخل عليه وهو رئيس للوزارة، ووزير الداخلية وجنوده وضباطه يشتبكون فى بولاق مع عمال العنابر والورش الأميرية فى معركة سالت فيها الدماء، وقتل العشرات، فإذا به هادىء الأعصاب يقرأ فى شعر «لامارتين» ويتحدث إليه عنه، لم يسأله عن معركة العنابر، ولم يرو له شيئا من أخبارها.. وكان يتلقاها فى هذا الوقت أولا فأول.

■ ■

ويكشف «مصطفى أمين» عن جانب مثير فى حياة «صدقى باشا» فيقول (فى مذكراته من عشرة لعشرين) ما يلى:

- كانت أعصاب صدقى قوية جبارة، يتلقى كل يوم طعنات الشعب ولايترنح، ويسمع لعنات الجماهير فلا يخاف، يرد على الهجوم بالهجوم، وعلى الاتهام بالاتهام، فإذا هاجمه «النحاس» فى الصباح رد عليه فى نفس اليوم، وإذا انتقدته جريدة بمقال رد عليها بثلاثة مقالات.!

وحدث فى أحد الأيام أن دعا «صدقى» باشا مندوبى الصحف المسائية فى مجلس الوزراء لمقابلته فى مكتبه بديوان الرياسة، وقال لهم صدقى باشا: عندى حديث هام يهمنى أن ينشر فى الصحف التى ستصدر بعد ظهر اليوم.

ونظر الصحفيون إلى ساعاتهم وقالوا له مستحيل يادولة الباشا. الساعة الآن الثانية إلا عشر دقائق، ومطابع الصحف المسائية تدور الساعة الثانية وعشر دقائق على أكثر تقدير!!.

قال صدقى: لابد من نشر الحديث اليوم!.

قال الصحفيون: إن الصحف لابد أن تلحق قطار الإسكندرية الذى يغادر القاهرة الساعة الثالثة والنصف، وإذا فاتها هذا الموعد، فلن تباع الصحف فى الإسكندرية أو الوجه البحرى، وطبعا يهم دولتك أن ينشر حديثك فى البلد كله؟!.

وسألهم صدقى: هل إذا تأخر قطار الإسكندرية يحل تأخيره الإشكال الفنى؟!.

قال الصحفيون : طبعا!!.

وبهدوء أمسك صدقى سماعة التليفون، وطلب «توفيق دوس باشا» وزير المواصلات وقال له:

أرجوك يا أخى تتكلم مع محطة مصر، وتأمرهم بتأخير قيام الإكسبريس الذى يسافر الساعة الثالثة والنصف لحين وصول أعداد الصحف المسائية إلى المحطة مهما تأخرت، لأنه يهمنى أن تسافر الصحف المسائية بهذا القطار!!.

وأملى صدقى باشا بعد ذلك حديثه على الصحفيين!!.

ولم يتحرك القطار بالفعل إلا فى حوالى الساعة الرابعة، وبعد وصول صحف المساء حاملة حديث رئيس الوزراء صدقى باشا.

كان «مصطفى أمين» يعرف «إسماعيل صدقى» باشا معرفة عائلية، ومنذ زمن بعيد فقد كان يراه يتردد كثيراً على بيت الأمة للاجتماع بالزعيم، «سعد زغلول» ويضيف مصطفى أمين: كما أنى كنت أتردد على داره فكان موضع احترامى ، لأنه رجل عبقرى، وكنت أحاربه بوصفه خصماً من خصوم الوفد الألداء، وكنت أنا وفدياً متطرفاً، وكان صدقى يعلم ذلك فيداعبنى ويناقشنى والابتسامة لاتفارق شفتيه. ثم يضيف مصطفى أمين قائلاً:

وفى يوم الأربعاء ١٣ فبراير ١٩٤٦ استدعانى أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى فى داره بالدقى، وكان موعد المقابلة الساعة الثالثة صباحاً وقال لى:

- أنت مكلف بمهمة خطيرة وهى أن تذهب فى الصباح إلى صدقى باشا، وتبلغه أن جلالة الملك سيدعو «شريف صبرى» يوم الخميس إلى تأليف الوزارة ، وأنه سيعتذر عن تأليفها فيدعو جلالته صدقى باشا فى يوم الجمعة إلى تأليفها فعليه أن يكون مستعداً.

وطلب حسنين باشا من «مصطفى أمين» أن يبقى فى منزله فلا يغادره إلا إلى بيت «صدقى باشا»، واتصل مصطفى بصدقى باشا يخبره أنه يريده فوراً لأمر هام!!.

وذهب مصطفى أمين إلى صدقى باشا فى مكتبه باتحاد الصناعات بعمارة الإيموبيليا، وكان يجلس على مكتب صغير، وبدا متهدماً فانيا، متعباً مريضا، وكان يمسك بقلمه وبادر قائلا:

أنا أعرف لماذا حضرت، جئت تطلب منى حديثاً فى الموقف الحاضر!.

قال مصطفى: لا، بل جئت لأبلغك أن جلالة الملك سيدعوك إلى تأليف الوزارة غداً!!.

وروى مصطفى أمين لصدقى باشا رسالة حسنين باشا كاملة ولاحظ مصطفى بعدها أن الرجل العجوز يعود فجأة شباباً، فقد اختفت التجاعيد والخطوط السوداء من حول عينيه، وتحول وجهه إلى نور عجيب، كأن عصا سحرية حولت الخريف إلى ربيع ، والضعف إلى قوة، والموت إلى حياة!!.

وابتسم صدقى باشا وقال لمصطفى أمين:

هذه مفاجأة لم أكن أنتظرها، وإننى سعيد!! لأننى لا أدعى لتأليف الوزارة إلا فى الظروف الخطيرة. إن هذه الدعوة تذكرنى بدعوة الملك فؤاد لى فى سنة ١٩٣٠ لتأليف الوزارة!.

وفى نصف ساعة قام «صدقى» باشا بتأليف الوزارة، وأعطاها لمصطفى أمين، الذى قال له وهو يودعه:

- لاشك أن مهمتك ستكون شاقة فى صيانة الأمن العام!.

وابتسم صدقى باشا وقال: الأمن العام ما أسهل صيانته: إن المهمة الشاقة هى فى تحقيق الأهداف الوطنية!!.

■ ■

لكن أخطر ما يكشف عنه «مصطفى أمين» هو الزواج السرى لصدقى باشا من فتاة فى العشرين! وتفاصيل هذا الزواج يرويه مصطفى أمين على هذا النحو المثير:

مرة واحدة فقد فيها هذا الرجل القوى أعصابه، فلقد حدث إننى علمت بحكم المصادفة أن صدقى باشا تزوج سراً من فتاة فى العشرين هى الآنسة «سونيا» كريمة «خليل شاهين» بك. ذلك أن مراسلنا فى القدس - الذى أثق به- أرسل إلىَّ خبر وصول حرم «صدقى» باشا إلى فلسطين ونشرت النبأ، وبحثت فعلمت أن السيدة الموجودة فى فلسطين هى حرم صدقى باشا الأخرى، وقد تزوجها سراً، وأنه لم يشأ إعلان هذا الزواج حرصاً على عواطف زوجته الأولى التى كان يحترمها احتراماً عظيماً! ولم أرد أن أخبر أولاد صدقى باشا بما علمت، واعتذرت لهم أسفاً عن جهل مراسلنا فى القدس (!!).

وعندما تولى صدقى باشا الوزارة سنة ١٩٤٦ تنبه أصدقاؤه إلى خطورة وجود زوجته الثانية فى مصر! وأنه ممكن أن يستغل خصومه هذا الزواج لمهاجمته، واقتنع صدقى باشا وطلب إلى زوجته الجديدة أن تسافر إلى أوروبا، وبقيت فى الخارج أكثر المدة التى ظل فيها رئيساً للوزراء، ثم توفيت زوجته الأولى.!

وعلمت أن صدقى قرر أن يعلن زواجه بزوجته الجديدة، وأن يدعوها للإقامة معه فى بيته بالزيتون، وكان «صدقى » مريضا .. وعلمت باعتزامه هذا فذهبت إليه وقلت له إننى أبيح لنفسى أن أتدخل فى شئونه الخاصة، وأقول له إن أصدقاءه لايوافقون على أن يعلن مثل هذا الزواج، ولم يمض على وفاة زوجته الأولى سوى أيام.

وقال صدقى لمصطفى أمين بهدوء فى أول الأمر:

- أفهم أن نعترض إذا كنت قد تزوجت هذه السيدة اليوم أو بعد وفاة زوجتى، ولكننى تزوجتها قبل الآن بأعوام، وقد ضحت بأن قبلت أن تعيش فى الخفاء كل هذه السنوات احتراماً لزوجتى الأولى، ولكن الآن من واجبى أن أمنحها الحق الذى سلبته منها، حقها الذى يعطيه لها الدين والقانون.

وقال مصطفى أمين لصدقى باشا:

- إننى أفهم جيداً هذا، ولكن الرأى العام لايفهم مطلقاً أن رجلاً فى «السبعين» يتزوج فتاة فى العشرين !! تذكر إنك أحد الذين اعترضوا على زواج« توفيق نسيم» باشا رئيس الوزراء الأسبق من «مارى هوبنر» وأنك أحد الذين طالبوا بالحجر عليه!! وتذكر أنك اعترضت على زواج زعيم آخر بسيدة تصغره سناً، وأنك قلت لى إن من حق مجلس إدارة حزبه أن يجتمع ويرفض الموافقة على هذا الزواج (!!).

وتضايق «صدقى» باشا وقال: وهل تريد أن تضعنى مع هؤلاء؟!.

قال مصطفى : أنت الذى وضعت نفسك فى هذا الصف!!.

قال بالفرنسية غاضبا: كلا.. لا.. هذا قياس مع الفارق:

رد مصطفى: لافارق هناك، بل إننى بصراحة أبرر تصرف هؤلاء أكثر مما أبرر تصرفك!! فإن عقلك أكبر من عقولهم، ولهذا فإن خطأك سيكون أكبر من أخطائهم!

وتحرك صدقى من كرسيه وكأنه يريد إنهاء المقابلة، لكن مصطفى أمين، حسبما يقول- بقى جالساً فى مقعده وقال له:

- مازلت أرى أن من واجبك المضى فى التضحية، فإذا كنت قد أبقيت زواجك سراً حرصاً على عواطف زوجتك الأولى التى تحبك، فإن واجبك أن تحرص أيضا على عواطف أولادك ، بل عواطف الذين يحبونك!!.

قال صدقى وهو يلف البطانية التى يغطى بها جسمه:

- إننى لم أتمتع بحياتى ! أليس من حقى أن أتمتع بها (؟!!).

قال مصطفى : لا أظن أن سياسياً تمتع بحياته كما تمتعت!.

فضحك صدقى وقال: أتظن ذلك؟ أنك تبالغ كثيراً!

ويروى مصطفى أمين، أنه انتهز فرصة تحسن الجو المضطرب وقال لصدقى باشا:

- إن لدى حلاً وسطاً وهو أن تؤجل إعلان هذا الزواج وانتقال الزوجة الجديدة إلى بيتك سنتين من اليوم!!.

- وقاطعه صدقى باشا وقال:

- ياسلام: سنتين!! كم بقى من حياتى حتى أؤجل هذا القرار مدة عامين!! هذا كثير!!.

قال مصطفى مداعباً:

إنك ستعيش كثيراً، وإنك رجل تعودت أن تأخذ الأمور بتؤدة عجيبة، وأظن أن السنتين تكفيان لأن تقلب الأمور فى هدوء، وأنا آسف أن تضعنى الظروف السيئة موضع الناصح لك، وقد كنت دائماً أحب أن أجلس جلسة التلميذ، ولكنى الآن أشعر بأنك التلميذ!.

فضحك صدقى باشا وقال:

- هذه تحية لشبابى الجديد أقبلها مع السرور! إن الشباب يابنى هو العيب الوحيد الذى يتمناه الجميع!!.

وعاد «مصطفى أمين» ليقول: إننى أعود فأكرر رأيي هذا، وأتوسل إليك أن تقبل. إن إعلان هذا الزواج سيقضى على مستقبلك السياسى!

قال : أنا ليس لى مستقبل ..إن لى ماضياً فقط!.

رد مصطفى: ولكن الشعب لن يقابل هذا الزواج برضا!!.

قال: إننى لا أفهم شعبك هذا!! هل يسكت الشعب على رجل إذا كانت بينه وبين سيدة علاقة غير شريفة، ويغضب إذا تزوج الرجل!! أيهما أفضل : أن يحب سياسى عجوز فتاة صغيرة أم يتزوجها؟!.

ورد مصطفى أمين: لاهذه.. ولاتلك!!.

وقال صدقى باشا: إننى على أى حال عودت هذا الشعب أن أواجهه بالحقيقة المرة، وقد يجئ يوم يفهم فيه وجهة نظرى، إننى رجل مريض، وفى حاجة إلى هذه الفتاة لتعنى بصحتى فى شيخوختى!!.

ويقول مصطفى أمين إنه فى تلك اللحظة رأى دموعاً فى عينى صدقى باشا وعجب لهذا الرجل الجبار كيف يبكى، وسكت وانصرف من عنده!!.

وشاء القدر - ومازال الكلام لمصطفى أمين- أن تجئ العروسة الجديدة إلى بيت صدقى، وأن تمرض هى بدلا منه، وأن يكون صدقى باشا هو الذى يعنى بها ويشرف على علاجها، ويمضى وقته فى مقابلة الأطباء الذين حاروا فى مرضها وفى دوائها. وتحول صدقى السعيد فى أيامه الأخيرة إلى صدقى التعس، ومع ذلك بقى إلى آخر يوم رأيته فيه مصمماً على أنه كان محقاً فى القرار الذى اتخذه، وأنه لم يخطئ فى تصرفه، وأن حياته الشخصية ملك له، وليس من حق الشعب أن يعترض على زواج سياسى من أية امرأة ولكن حق الشعب يجئ إذا رأى هذه المرأة تتدخل فى شئون الدولة، أو تستغل نفوذها، أو تحول زوجها من طريق إلى طريق!.

■ ■

ورغم خطورة السر الذى كشفه مصطفى أمين. عن سر الزوجة الشابة التى تزوجها «صدقى باشا»، فقد كان هناك ماهو أخطر وأكثر إثارة فى حياة إسماعيل صدقى !

تفاصيل ذلك السر الذى لم يشأ .. مصطفى أمين كشفه أزاح عنه الستار الزعيم «مصطفى النحاس» فى مذكراته التى أملاها على سكرتيره الخاص «محمد كامل البنا»، ونشرت مؤخراً.

كتب «مصطفى النحاس» بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٣٢ (وكان صدقى باشا وقتها رئيساً للوزراء) يقول ما يلى:

« أخذت الأوساط التجارية والمالية تتحدث عن فضيحة مالية كبيرة، فقد نقل عن «يوسف أصلان قطاوى» (اليهودى) وزير الزراعة فى وزارة صدقى أنه أقام مأدبة فى داره بالإسكندرية، وجاء ذكر كورنيش الإسكندرية الذى انتهى منه المقاول الإيطالى «دانتمارو» وأن أحد الحاضرين قال: إن المقاول قدم لصدقى باشا مبلغاً ضخماً من المال هدية بمناسبة الفراغ من الكورنيش زاد على ربع مليون جنيه، وإن النقاش كان حاداً فى تلك الحفلة، وقال أحد رجال الأعمال الكبار (فرغلى بك) إن الهدايا لاتكون بهذا المقدار الباهظ، وأن المسألة أكثر من هدايا، وهى بصراحة رشوة سافرة، وأن هذا هو السر فى أن صدقى باشا رفض عطاء «عبدالرازق نصير»، وهو من أكبر المقاولين وفضل عليه صديقه الإيطالى.

ولما علمت تفاصيل هذا الحادث المؤسف لم أزد على أن قلت ليس هناك غريب فى هذا العهد الممتلئ بالغش والتزوير والرشوة، وليس بجديد على صدقى ما يقال الآن فإن تاريخه القديم والحديث مملوء بالمآسى والمخازى والحوادث المالية والأخلاقية وإن التاريخ يعيد نفسه، فإن «سعد» فصل «صدقي» من عضوية الوفد المصرى لفضيحة أخلاقية ارتكبها فى باريس، وكلفت «سعد» مبلغاً من المال الذى أعد للجهاد، اضطر سعد (زغلول) أن يدفعه حتى يتحاشى فضيحة لو نشرت على الملأ لأصابت الوفد الناشئ للدفاع عن قضية مصر بعد الحرب العالمية الأولى فى الصميم(!!).

وإذا عدنا إلى التاريخ البعيد إلى قبل الحرب العالمية، وفى عهد الخديوية إبان حكم الخديو «عباس الثانى» لرأينا أن «صدقى فصل من الوزارة لجريمة أخلاقية تسببت فى حادث انتحار لسيدة من بنات مصر لاتزال قصتها تزكم الأنوف وتؤذى الأسماع إلى الآن.

انتهى ما كتبه «مصطفى النحاس» وكان تعليق سكرتيره الخاص «محمد كامل البنا» على تلك الوقائع كما يلى وبالحرف الواحد:

يوسف أصلان قطاوى أحد اليهود المصريين والأغنياء البارزين اختاره صدقى وزيراً للزراعة فى وزارته، وكان كثيراً ما يقيم الحفلات فى داره بالإسكندرية والقاهرة ، وكانت الأوساط العليمة تتحدث عن علاقة بين زوجته اليهودية الحسناء وصدقى باشا وأنه لهذا كان موضع سر رئيس الوزراء(!!)

أما الواقعة الثانية فمؤداها أن"صدقى باشا" كان ناظراً للأوقاف قبل الحرب العالمية الأولى، وسرت شائعة أن له علاقة بسيدة متزوجة هى بنت "يحيى إبراهيم" باشا المستشار بمحكمة استئناف مصر، وأن تلك السيدة لما ضبطت معه متلبسة أقدمت على الانتحار، وأن "الخديو عباس" قرر فصل صدقى من الوزارة لهذا السبب.

■ ■

وبالقطع لم يكن ذلك كله أو بعضه خافياً على "الملك فاروق" حين أصدر الأمر الملكى رقم ١٠ لسنة ١٩٤٦ لإسماعيل صدقى باشا بتأليف الوزارة قائلا: "فقد حملناكم أمانة الحكم، ثقة منا بما نعهده فيكم من ولاء وإخلاص.»

كانت المهمة الأساسية أمام "صدقى باشا" هى إنجاح المفاوضات مع الإنجليز وتحقيق الجلاء!!

ومضت المفاوضات المصرية تسير حيناً، وتتعثر أحيانا حتى شهر سبتمبر ١٩٤٦.

وهنا بالضبط تبدأ حكاية "صدقى باشا" واليهودي"إلياهو ساسون"..

كانت مفاوضات "صدقى ـ بيفن" تستهدف تعديل بنود معاهدة ١٩٣٦، أوأن تستبدل بها معاهدة جديدة تتمشى مع مطالب مصر القومية الخاصة بالجلاء ووحدة وادى النيل!

وعلى هامش المفاوضات الصعبة بدأت أغرب مهمة سياسية فى القاهرة بطلها الأول "إلياهو ساسون"!! وكان بطلها الثانى "صدقى باشا".

وحسب دراسة تاريخية جادة للدكتور"أحمد عبد الرحيم مصطفى" قال فيها:

فى تلك الأثناء سعت الدوائر الصهيونية إلى استغلال الموقف للاصطياد فى الماء العكر، فأوفدت الوكالة اليهودية إلى مصر "إلياهو ساسون" رئيس القسم الشرقى بها على أمل أن يعرض على "صدقي" [رئيس الوزراء] مساعدة الدوائر الصهيونية لمصر فيما يتعلق بالجلاء فى مقابل أن يسعى "صدقي" إلى إقناع الجامعة العربية بقبول تقسيم فلسطين، وهو التقسيم الذى كان صدقى ذاته من أنصاره، فقد أبدى استعداده لمساندة بريطانيا بصدد فلسطين فى مقابل أن تقدم له تنازلات فى مفاوضات المعاهدة.

ورغم أن "صدقي" كان موقناً من رفض عرب فلسطين للتقسيم، فإنه كان يرى أن عدم التوصل إلى حل من شأنه أن يجعل من فلسطين بؤرة لانتشار الشيوعية، وهو ما يمكن تلافيه فى حالة إقرار السلام.

على أن "صدقي" لم يكن يتمتع فى الدوائر العربية بالنفوذ الذى يؤهله لإقناع الدول العربية بالموافقة على التقسيم فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا لا تعرض عليه من التنازلات ما يجعله يساند موقفها من المشكلة الفلسطينية.

ويتضح من الوثائق أن "ساسون" قد التقى «بإسماعيل صدقي» وبعض المسئولين المصريين، وحاول إقناعهم بأفضلية التقسيم على الحلول الأخرى، فقد ذهب إلى أنه فى حالة قبول الجامعة العربية لأى الحلول، ويفضل التقسيم يتعهد اليهود بأن يقدموا للعرب ما يشاءون من الضمانات التى تقنعهم بأنهم ليسوا توسعيين(!!)

كما وعد (ساسون) صدقى بأن تسعى الدوائر اليهودية إلى أن تلقى بثقلها داخل حزب العمال وخارجه لصالح مصر، ملوحين لبريطانيا بقاعدة فى فلسطين من شأنها أن تعوضها عن أية تنازلات تقدمها بصدد المعاهدة المرجوة مع مصر.

وفى الوقت الذى كان فيه ساسون يتقدم بعروضه للمسئولين المصريين نجده يتقدم بعروض مماثلة إلى مسئولين عرب آخرين. إلا أن مساعيه أخفقت نتيجة للتضخم القومى العام فى البلدان العربية، فى حين أن وزير الخارجية البريطاني "أرنست بيفن" رفض أن يجعل كلا من المسألتين المصرية والفلسطينية مجالا للمساومة، وتمسك بموقفه المبدئى الذى أدى إلى فشل مفاوضات صدقى بيفن.

وحرص السفير الإنجليزي"رونالد كامبل" على إحاطة وزارة الخارجية البريطانية بتفاصيل ما كان يجري!

وكان على رأس اهتمامات السفير البريطاني معرفة حقيقة ما جرى بين رئيس الوزراء"إسماعيل صدقي" باشا و"إلياهو ساسون" رئيس القسم الشرقي!!

وعن طريق "مصدر بوليسى مصري" كان السفير على علم كامل بما جرى، وبتاريخ ١٣ أغسطس ١٩٤٦ خرجت من السفارة البريطانية بالقاهرة إلى وزارة الخارجية بلندن مذكرة مؤشر عليها بعبارة سرى جداً جرت سطورها على النحو التالي:

صرح لى مصدر بوليسى على اتصال بالوكالة اليهودية بأن اليهود أوضحوا له أنهم يعتقدون أن المشكلتين المصرية والفلسطينية شديدتا الارتباط، وبالتالى فإذا ما كان المصريون جادين فى محاولة إخراجنا من مصر فعليهم أن يسعوا إلى أن يسود السلام فلسطين مما يتيح لنا الانتقال إليها.

وقد التقى المصدر البوليسى بصدقى وطلب منه الادلاء بوجهات نظره، ويدرك "صدقى" الصلة بين المسألتين الفلسطينية والمصرية، ولو أنه غير مستعد لاتخاذ أية خطوة قبل التأكد من اتجاهنا ومدى اعترافنا بالارتباط بين المسألتين، وبمعنى آخر فإنه لا يرغب فى التدخل فى شئون فلسطين إلا إذا حصل على مقابل فيما يتعلق بالمعاهدة."

ولعل أخطر وأهم ما فى المذكرة السرية هو إشارتها الواضحة إلى مجيء "وسيط" بين المصدر البوليسي(الذى تتعامل معه السفارة) وبين الوكالة اليهودية، وأن هذا الوسيط يحمل مكتوباً بدون توقيع، ويحظى بمساندة "شرتوك" [يقصد شاريت وزير الخارجية].

وتمضى سطور مذكرة السفارة البريطانية فتقول:

وسيصل المصدر وممثل الوكالة اليهودية إلى الإسكندرية غداً، وهناك سيتصلان من جديد" بصدقي" كما سيتصل بى المصدر. وقد أقابل ممثل اليهود الذى أعرفه بالفعل.

والمصدر (البوليسى المصري) حريص على ألا يعلم "صدقي" أنه قد تم إبلاغنا فعلا، وذلك باستثناء إمكاننا الحصول على الخبر من اليهود.

وبتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٤٦ مكاتبة عليها تأشيرة من السفير البريطانى فى القاهرة "سير رونالد كامبل" جاء فيها ما يلي:

"حاول"شرتوك" (شاريت) باستمرار أن يغرى دوائر مصرية بالعمل بالشكل الذى يعود بالفائدة على الصهيونية، وإننى ـ أى السفير ـ أشك فى كون هذه المقترحات قد صيغت نهائياً بالشكل الذى سبقت الإشارة إليه، ولهذا فعلينا انتظار وصول مزيد من المعلومات!

ويضيف السفير: «ويصعب اعتقاد أن العرب سيكونون على استعداد لبذل مثل هذه التضحية من أجل مساعدة المصريين.»

■ ■

ثم نأتى إلى الرسالة رقم ٩٧٥ المؤرخة فى ٢٩ أغسطس ١٩٤٦ والمرسلة من"رونالد كامبل" إلى وزارة الخارجية بلندن.

قدم المصدر البوليسى المصرى المتصل بالوكالة اليهودية التقرير التالى إلى البريجادير "كلايتون".

أفهمه اليهود أن المشكلتين المصرية والفلسطينية مرتبطتان تماماً، وأن المصريين إذا ما سعوا حقيقة إلى إخراجنا من مصر فعليهم التأكد من إحلال السلام فى فلسطين لكى تنتقل إليها.

وقد أشار المصدر البوليسى إلى أنه قابل "صدقي" باشا، وطلب منه الإدلاء بوجهات نظره، وطبقا لما ذكره المصدر البوليسى كان"صدقي" يدرك الارتباط بين المسألتين المصرية والفلسطينية، وإن لم يبد استعداده لاتخاذ أية خطوات قبل التعرف على اتجاهنا، والتأكد من إقرارنا الارتباط بين المسألتين. وبمعنى آخر فإنه لم يبد رغبته فى التدخل فى شئون فلسطين قبل الحصول على مقابل خلال مفاوضات المعاهدة الإنجليزية المصرية.

وتفيد نفس رسالة السفير الإنجليزى أن المصدر البوليسى المصرى قدم"لصدقي"

فى ١٣ أغسطس مذكرة يقال إنها صدرت عن مندوب الوكالة اليهودية فى القدس، وكانت ملاحظة"صدقي"باشا عليها، "أن المذكرة تتضمن قبول اليهود للتقسيم، ولكن ربما مع تحفظات تتعلق بتوفير حل نهائي».

كما تتضمن نفس المذكرة عرضاً محدداً للمصريين بمساعدتهم فى قضيتهم إذا ما ساندوا القضية اليهودية فى الدوائر العربية.

وفى ١٩ أغسطس صرح المصدر البوليسى للبريجادير "كلايتون" بأنه قابل صدقى باشا مرة أخرى، وبأن«صدقي» قد تناقش مع وزير الخارجية المصرية «أحمد لطفى السيد» باشا ،ومع"كامل عبد الرحيم" بك وكيل وزارة الخارجية حول احتمال مباشرة الضغط فى الجامعة العربية بصدد فلسطين فى مقابل أن تقدم تنازلا بصدد مصر(!!)

وقرب نهاية الرسالة نفسها كتب السفير الإنجليزى يقول:

"وعلى أية حال فيبدو أن الوكالة اليهودية كانت تسعى إلى حملنا على الاعتقاد بأنها على اتصال مباشر بالشخصيات المصرية فى الوقت الذى كانت فيه الاتصالات فى الواقع غير مباشرة وعن طريق وسيط مصري."

وتتوالى المفاجآت المثيرة فى وثائق أرشيف الخارجية البريطانية!

والمؤكد أن بطل ونجم هذه الوثائق هو" ضابط البوليس المصري" الذى كان على صلة بالوكالة اليهودية فيما يتعلق بمسائل الأمن المتصلة باليهود المقيمين فى مصر.

وفى برقية رقم ١٣٩٩ مؤرخة فى ٢٩ أغسطس ١٩٤٦ من سفير بريطانيا فى مصر "كامبل" إلى لندن وعليها تأشيرة تقول"سرى جداً وهام" جاء فيها ما يلى بالنص:

"صرح المصدر البوليسى بأنه قابل "صدقي" (رئيس الوزراء) مرتين، ورغم إدراك صدقى للعلاقة بين المسألتين المصرية والفلسطينية فإنه لا يود التدخل فى شئون فلسطين إلا إذا أمكنه الحصول على مقابل بصدد مفاوضات المعاهدة الإنجليزية المصرية، وعلى حين أن"صدقي" أراد أن يتبين ما إذا كانت هذه المساومة تهمنا فإنه لا يرغب فى اتخاذ المبادرة."

وفى نفس البرقية أيضا حرص السفير الإنجليزى على أن يخطر حكومته بأن

"ضابط البوليس المصرى تحدث مع "عزام" (أمين الجامعة العربية) الذى صرح له بعدم إمكان التوصل إلى حل إلا إذا تمت إزاحة المتطرفين من كلا الجانبين وعزام"على استعداد للمطالبة بوفاق بين الدول العربية الأخرى بصدد الوطن القومي، وإن لم يبد استعداداً لقبول قيام دولة يهودية. على أن وضعه صعب إزاء الدول العربية الأخرى بحكم أنه لا يمكنه أن يضغط فى سبيل حل لمصلحة مصر وحدها. ولكن إذا ما اتخذ مندوب عربى آخر الخطوة العملية فسيبذل (أى عزام) أقصى ما فى وسعه من مساعدة."

■ ■

ووصل "إلياهو ساسون" إلى مصر!!

وليس معروفاً على وجه الدقة كيف كان شكل اللقاء بين ساسون وبين"صدقى باشا"!!!

أين تم اللقاء.. غير معروف!! كم استغرق من الوقت؟ لا إجابة محددة.

المثير واللافت للنظر بقوة أن ما جرى ودار فى لقاء" ساسون وصدقي" وجد طريقه إلى لندن بعد ٤٨ ساعة فقط، وأيضا عن طريق المصدر البوليسى المصري.

إن المفاجأة التى نكتشفها عبر قراءة مسودة البرقية رقم ١٤٠٨ المؤرخة فى ٣١ أغسطس ١٩٤٦، ومؤشر عليها"سرى جداً" هى حضور أطراف أخرى وأسماء لامعة وبارزة نفس اجتماع صدقى وساسون، ومن هذه الأسماء أحمد لطفى السيد، وحافظ باشا عفيفي، وعزام باشا.

وحسب ما جاء فى دراسة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، فقد مضت سطور البرقية السابقة المرسلة إلى لندن على هذا النحو بغير زيادة أو نقصان.

"قابل المصدر البوليسى وساسون" صدقى فى ٢٦ أغسطس ، وقد أشار"ساسون" إلى أربعة مشروعات للتسوية المحتملة :

١ ـ الاتحاد الفيدرالي.

٢ ـ وحدة فيدرالية تضم دولتين إحداهما يهودية والأخرى عربية، مع قيام حكومة مركزية فى القدس.

٣ ـ دولة ذات قوميتين على أساس تساوى السكان.

٤ ـ التقسيم.

وقد أشار ساسون إلى أن اليهود يفضلون التقسيم. على اعتبار أنه يوفر احتمالا أكبر للتوصل إلى حل نهائي، وذلك على أساس أن أياً من الحلول الأخرى لابد أن يؤدى إلى تجدد المتاعب فى المستقبل القريب.

وقد استفسر "صدقي" عما إذا كان "ساسون" قد اتصل بعرب فلسطين؟! وكان رد"ساسون" هو أن اليهود قد حاولوا ذلك دون أن يتوصلوا إلى أية نتيجة، بحكم أن الزعماء الفلسطينيين يتمسكون بأفكار عنيفة ولأن مراكزهم تستلزم تصلبهم(!!)

على أن "ساسون" ذهب إلى أن اليهود سيقدمون أى ضمان يطالب به العرب لمواجهة التوسع اليهودي، وذلك فى حالة قبول الجامعة العربية لأى الحلول التى سبقت الإشارة إليها(!!)

واستطرد "صدقي" مصرحاً بأنه كان يعتقد طيلة السنوات العشر الماضية بأن التقسيم هو الحل الوحيد، وإن لم يكن قد تساءل عما يمكن أن يقوم به اليهود لمساعدة مصر(!!!).

فرد "ساسون" بأن اليهود سيحشدون كل من هم على صلة بهم داخل حزب العمال وخارجه، وبأنهم سيتصلون بالحكومة البريطانية، ويلفتون نظرها إلى أهمية وجود قاعدة فى فلسطين تعويضاً عن أية تنازلات تتقدم بها بصدد المعاهدة الإنجليزية المصرية، وبأن اليهود على استعداد لتقديم أية تسهيلات لحكومة صاحبة الجلالة فى فلسطين(!!!) وذلك على اعتبار أن الوجود المستمر للقوات البريطانية فى فلسطين أمر لازم لها.

وفى النهاية صرح «صدقى» بأنه لن يتخذ أية خطوة إلا إذا اتصلت به حكومة صاحبة الجلالة، ثم طلب - أى صدقى باشا - من المصدر البوليسى وساسون أن يقابل «لطفى السيد» وأكد على ضرورة بقاء هذه المحادثات فى حيز السرية التامة.

واستجاب "إلياهو ساسون" لاقتراح"إسماعيل صدقي" باشا وذهب للقاء"أحمد لطفى السيد" الذى كان يشغل وقتها منصب" وزير دولة ويتولى وزارة الخارجية"، وقابل"ساسون" أيضا"حافظ عفيفي" باشا.

وحسب ما جاء فى نفس البرقية السابقة فقد جرت مقابلة ساسون ولطفى السيد وحافظ عفيفى كما يلي:

ولم يبد"لطفي" صراحة آراء شبيهة بما أبداه صدقي، وأشار إلى صعوبة التوفيق بين هذه الآراء ومقررات بلودان (التى نتجت عن اجتماع الدورة الطارئة للجامعة العربية بشأن فلسطين فى ٨ يونيو ١٩٤٦ بسوريا).

وصرح "عزام" الذى حضر المقابلة مع"لطفي" بأنه لا يعترض على نوع ما من الوطن القومي" وأعاد إلى الأذهان الرأى الذى طُرح على شرتوك (شاريت) عام ١٩٣٩ بصدد إقامة مدينة فاتيكان لليهود فى فلسطين تساعد اليهود على مواصلة الهجرة إلى دولة فلسطينية بشرط ألا يشكلوا أغلبية.

وأبدى حافظ (عفيفي) الذى أتى بعد بدء المحادثة استعداده للموافقة على استمرار الهجرة اليهودية إلى دولة فلسطينية.

وأدلى عزام بتصريح خاص بعد المقابلة فحواه أنه فى حالة استطاعة حكومة صاحبة الجلالة حل المشكلة الليبية على أساس الاستقلال والوصاية المصرية، وحسم المسألة المصرية وفق شروط تقبل بها مصر فإنه سيوافق حتى على التقسيم!!

■ ■

وكان"إلياهو ساسون" حريصاً على إبلاغ قادته فى إسرائيل بتفاصيل ما دار بينه وبين إسماعيل صدقى باشا فى القاهرة.

وفى رسالة طويلة ومثيرة أرسل بها"إلياهو ساسون" من الإسكندرية إلى"موشى شرتوك" روى فيها كل ما دار وجرى.

كانت الرسالة مؤرخة فى ١٦ سبتمبر ١٩٤٦، وبدأها "ساسون" كما يلي:

فى مكتب إسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء، أجريت معه مقابلة قد استمرت خمساً وأربعين دقيقة، وكان حديثنا ودياً ومريحاً للغاية، حتى أنه خيل لى بأننى جالس فى مكتبى بالوزارة مع أحد أصدقائى نتجاذب أطراف الحديث معاً.

وقد بادرنى رئيس الوزراء المصرى بتوجيه شكر على المساعدة الكبيرة التى قدمتها له سواء فى انجلترا أو الولايات المتحدة، وكان مقتنعاً بأننا نفى بوعدنا.

وعندما حاولت أن أشرح له بأن طريق كل منا غير منفصلين فى لندن، وأن الخلاف الوقتى مع بريطانيا لن يقحم فى مساعينا لصالح القضية المشتركة قاطعنى بقوله:

ـ لا تكن متواضعا لهذه الدرجة، وإننا إذا نظرنا إلى المذكرات الدبلوماسية والأنباء التى توافرت لديَّ خلال الأسبوعين الماضيين لوجدنا أنكم فعلتم الكثير، وكان هناك مقابل لأعمالكم، فلقد قرر الإنجليز تجديد المحادثات وإيانا مع الاستجابة لعدد من مطالبنا.

عندئذ انتقل (صدقي) فى حديثه معي، فعرض اختلاف وجهات النظر بينهم وبين الإنجليز فى مسألة الجلاء البريطانى عن مصر والدفاع المشترك والسودان، هذا وقد أكد مراراً فى حديثه معى على أن هذه الأمور سرية، لكنه رغب فى اطلاعى عليها حتى أتمكن من عرضها جيداً فى لندن.

وإسماعيل صدقى يأمل أن أقدم القضية المصرية فى زيارتى للندن، وفى أحاديثى مع رجال مكتب"بورين" وأمام الصحافة فى العاصمة البريطانية بالصورة التى يرغبها وترغبها حكومته، مثلما سأفعل بالنسبة لقضية اليهود.

ثم سألته عن التغيير فى تأليف حكومته، وهل سيكون هذا التغيير سبباً فى منعه من الوفاء بالتزامه نحونا، فأجاب بالسلب ثم أضاف قائلاً:

ـ فى الواقع أنا أحدد السياسة الخارجية لبلدي.(!!)

وسألته عن موقف رجاله فى لندن، وهل فى استطاعتهم إبلاغ "بورين" وزملائه أنه

أي رئيس وزراء مصر يقصد الرأى فيما يتعلق بحل مسألة أرض إسرائيل على أسأس التقسيم أجاب بقوله:

ـ لا يجب أن يفسر الأمر على أنه إضرار بالعالم العربي، أو يفسر على أنه محاولة للحصول على تنازلات لصالح مصر على حساب مصالح عرب أرض إسرائيل، وكان من رأيه إبلاغ "بورين" بأنهم لم يقوموا بتهيئة العالم العربى من أجل إنجاح مؤتمر لندن، وكان أيضا يرى أنه على بريطانيا أن تقوم أولا بإجراء محادثات منفردة مع كل دولة عربية على حدة، ثم بعد ذلك تقوم بعقد مؤتمر لندن.

ومن الواضح ـ والكلام على لسان ساسون" ـ أنهم لا يدركون أنه لا يوجد مندوب واحد فى أية بعثة عربية يغامر أو يجرؤ على أن يوافق على أقل مما يطلبه عرب أرض إسرائيل. وعليه أيضاً إبلاغهم بأن هذا التقدير للموقف هو تقدير دولته ودول العالم العربى كله.

وبريطانيا تعلم أن العلاقات بين الدول العربية ليست على ما يرام على الرغم من إقامة الجامعة العربية، فالمستشارون السياسيون البريطانيون فى الشرق العربى هرموا فى العمر، وفى وجهات نظرهم أيضا. فلديهم أفكار عتيقة عن كل شيء، ومنهم من يسير على خط سياسى تقليدي، ولا يرغبون فى التزحزح عنه، كما قال (أى صدقى باشا) أنه من الواضح إنهم لا يدركون الخطر الشيوعى المتربص بالعالم العربي.

وفى مجرى الحديث، أشار "إسماعيل صدقي" باشا بعصبية إلى الضيف الموقر الذى وجد ملجأ فى بلده بعد فراره من باريس (مفتى القدس الحاج أمين الحسيني) وقد وصفه بأنه شخص يسعى إلى مصالحه الشخصية فقط، ولا يكترث بدماء العالم العربى كله فى سبيل تحقيق ما يريده، لذا فقد اقترح علىّ أن نقوم بالعمل معاً على كشف مخططات مفتى القدس ودعواه فى مصر والدول العربية الأخرى.

كما كان محدثى من المؤيدين بحماس لضم الضيف الموقر(أمين الحسيني) للبعثة المدعوة إلى لندن، ويأمل بهذا اصطياد عصفورين بحجر واحد، وهو أن يبدو أمام الآخرين بأنه صديق لمفتى القدس وفى نفس الوقت التخلص منه.

وقد استجبنا لطلبه بالعمل على الحصول على معلومات وأخبار عن نشاطه "العنيف" ورجاله فى مصر وإسرائيل والدول المجاورة الأخرى.

ومضى "إلياهو ساسون" بقوله فى رسالته إلى "موشى شارتوك" ما يلي:

وفى سياق استعراض "إسماعيل صدقي" لزيارتى إلى لندن، طلبت منه أن يصلنى برسوله فى المحادثات أو بمندوبه فى العاصمة البريطانية، ولكنه قال:

ـ إن ما أطلبه غير مرغوب فيه من جانبه، لأن رجاله لن يتفهموا الهدف من التعاون بيننا وسيفسرون هدفه ووجهات نظره تفسيراً مشوهاً.

وقد أعرب (صدقي) عن أسفه الشديد لأن مندوبه الرئيسى فى العاصمة البريطانية، وهو موضع ثقته التامة يتواجد حاليا فى القاهرة، ومنشغل تماما فى المحادثات المصرية البريطانية، لكن إذا أمكننى زيارة سفير مصر فى باريس أستطيع أن أتبادل معه وجهات النظر وأطراف الحديث، فقد سمع عنى وعلى علم بالتعاون القائم بيننا (!!).

وقد قال رئيس الوزراء المصري، إنه من الواضح أن المحادثات فى لندن لم تتقدم، فكلا الطرفين سواء الجانب العربى أو البريطاني، لأن كلا منهما متمسك بموقفه بالإضافة إلى اقتناع الجانب العربى بأنه متفق تماماً مع بريطانيا بعرض "المشروع الفيدرالي" على اليهود والعرب، وأن كل المحادثات ما هى إلا خداع وتلاعب فقط.

وختم "ساسون" رسالته إلى "شارتوك" بوصف ختام مباحثاته مع "صدقى باشا" بقوله "وفى الختام كان الوداع.. وداعاً حاراً".

■ ■

وبعيداً عن الوثائق البريطانية ومحتوياتها عن تلك اللقاءات التى تمت بين "صدقي" باشا و"ساسون"، نصل إلى شهادة أخرى أكثر أهمية وإثارة!

صاحب الشهادة هو "شحادة الغصين" قنصل لبنان العام فى القدس عام ١٩٤٧.

اتخذت شهادة "شحادة الغصين" شكل رسالة طويلة أرسل بها إلى "فؤاد عمون" أمين عام وزارة الخارجية اللبنانية.

كتب "شحادة الـغصين" رسالته لوزارة الخارجـية اللبنانية لـكى يحيطها علـماً بأنه "أتانى إلى دار القنصلية بعد موعد صباح الخميس الواقـع فى ٦/ ٣/ ١٩٤٧ الخواجا إلياس ساسون السكرتير الشرقى للشعبة السياسية فى الوكالة اليهودية، ومساعده الدكتور «لانس» بصفتهما ممثلين للوكالة، وطلب منى أولهما أن أتصل بمعاليكم لتسمحوا له ولمساعده بالسفر إلى بيروت ولو يوما واحدًا ليعرضا على دولة رئيس مجلس الوزراء، وعلى معاليكم، مشروع اتفاق على مبدأ يمهد لحل جديد للقضية الفلسطينية، وقال الخواجا "ساسون" وقد تولى الحديث دون رفيقه أنه عرض هذا المشروع على بعض من المصريين المسئولين عن السياسة العربية!

ويضيف "شحادة الغصين": وقد لمست من محدثى رغبة فى ألا يبوح بشيء، لا عن أساس الموضوع ولا عن تفاصيله، وفى أنه يشاء أن يبسطه مباشرة على دولة رئيس الوزراء وعلى معاليكم، لأن الكتمان من جهة والنقاش من جهة أخرى قد يأتيان بنتيجة طيبة.

ولما رأيت ـ أى شحادة الغصين ـ أن لا مانع ظاهر يقضى برد الطلب، وأن القضية الفلسطينية تحتاج فى مرحلتها الخطيرة الحاضرة إلى كثير من المرونة السياسية، وعدت محدثى بالاتصال بمعاليكم، وبالجواب فى الوقت المناسب، فانصرف هو وزميله.»

وفى نفس اليوم قام"شحادة الغصين" بالاتصال بالمدير العام لوزارة الخارجية وشرح له الموضوع، ووعده المدير بالجواب بعد حين.

وفى مساء يوم الجمعة ٧/ ٣/ ١٩٤٧ اتصل المدير وقال لشحادة" إنه من الأوفق أن يعرض مندوب الوكالة "ساسون" مشروعه الجديد عليه، ثم يقوم بنقل تفاصيل المشروع إليه.

وهكذا اتصل القنصل العام اللبنانى فى القدس"شحادة الغصين" بالخواجا"ساسون" تليفونيا صباح السبت ٨ مارس ١٩٤٧، وطلب منه أن يقابله فى دار القنصلية، وبعد وقت قصير حضر ساسون ومساعده ثم بدأ الحوار!!

هذا الحوار بكل ما فيه من أسرار ومفاجآت كان بطله الأول "إسماعيل صدقى باشا"!!

قال "ساسون" لشحادة الغصين" ما يلي:

فى شهر أيلـول(سبتمبر) من عام ١٩٤٦ حينـما كنت مسافراً إلى لنـدن، اجتمعت فى مصر برئيس الوزارة دولة "صدقي" باشا، وبحثت معه فى قضية فلسطين، فأجابنى أنه شخـصياً لا يرى غير الـتقسيم حلا لـها وهو يؤيده، لكـنه لا يريد أن يعرضـه على الدول العربية إلا إذا كلفه الإنجليز بذلك.

فقلت (أى ساسون) له: إن اليهود يرضـون بالحل الذى تراه، ولو أن فيه تنازلا عن أمانى كثير منهم، لأنهم راغبون فى وضع حد لنزاع طال أمده، والتقسيم لا يخيب فى الواقع آمال العرب. فهـو يعطيهم دولة ولا شك على جزء كاف من فـلسطين تعترف لهم الدول الكبـرى فيها بالاستقلال وتقبـلهم فى هيئة الأمم المتحدة، ومـن ثم يقضى على فكرة سوريا الكبرى التى تقض مضاجع بعض الدول العربية.

واليهـود من جانبـهم مستـعدون لأن يعتـرفوا باستـقلال الدولة الـعربية الجـديدة اعترافاً لا رجعة فيه، ولأن يوافقوا بين مرامى صـناعاتهم ـ إذا كان العرب يخشونها ـ وصناعات الشرق العربـى حتى لا تقع المنافسات والمزاحمات بينـها، وأن يقوموا بكل مساعدة ممكنة لتدعيم الصناعة العربية فى مختلف الأنحاء القائمة فيها.

ومضى"سـاسون" يقول للـقنصل الـعام اللبنـاني، والذى قام بكـتابة ذلك كـله فى رسالته:

"وكنـت فى هذه الأثـناء على اتـصال دائم بمـعالى وزيـر الخارجية" أحـمد لطـفى السيـد" باشا، وكان مـن رأي"صدقي" باشا، و"كـلايتون" ولم يـبد رأياً محـدداً، أبسط لهما سير اتصالى بصدقى باشا وتفصيل مباحثاتى معه!!

ثم سـافرت (سـاسون) إلـى لنـدن وعرضـت حديـثى مـع"صدقـي" باشـا ووزير خارجيته على المتنـفذين من اليهود، فاتصلوا بالمستر "بيفن" وطـلبوا منه أن يكلف دولة رئيس وزراء مصر بمفاوضة الدول العربية فى مشـروع التقسيم. فأجاب المستر "بيفن" أنه لا يرى من مصـلحة بريطانيا أن يكـلف الآن "صدقي" باشا بشيء من هـذا القبيل. والمفاوضات الدائـرة الآن حول تعديل المعاهدة المصرية تصطدم بعقـبات وبمصاعب

شتى، حتى لا يتمسك "صـدقي" باشا بذلك ويـساوم فى قضيته على حساب قـضية فلسطين.

وكان من رأى "صدقي" باشا، إذا لم يرض الإنجليز بتفويضه لغرض فى أنفسهم، أن يضغط الأمريكان على الإنجليز ويحملوهم على الرجوع عن رأيهم، فاتصل اليهود بالمستر "بيرنز"، الذى طـلب من المستر بيفن أن يكلـف دولة"صدقي" باشا بمـفاوضة الدول الـعربية فى مـشروع التقسيم، فأجاب المسـتر بيفن أنـه سأل صدقى باشـا عند زيارته الأخيرة للندن عـن هذا الموضوع، فأنكر صدقى باشا حديثا مـن هذا النوع بينه وبين اليهود.

واستمر الخواجا"ساسون" فى حديثه فقال(لشحادة الغصين):

عنـدما رجـعت مـن لندن قـابلـت "صدقـي" باشـا وأخبرتـه الروايـة التـى رواها المستر"بيفـن" عن إنكاره ـ أى صدقى باشا ـ مسألـة التفويض من الحكومة البـريطانية، فأجابـنى أن الرواية تتـلخص فى أنى عـندما ذهبـت إلى لندن للـمفاوضة فى تـعديل المعاهدة المصرية سألنى المستر مرة أمام جمع كبير عن رأيي فى تقسيم فلسطين، فقلت له إننا قادمون إلى لندن اليوم لبحث قضية مصر لا قضية فلسطين!!

ثم قال صدقى باشا إذا كان الأمريكان يشكون فى الرواية التى نقلها اليهود للمستر "بيرنز" فما على الأمريكان إلا أن يكلفوا سفيرهم فى مصر بسؤالي!!

وقد حدث بـعد ذلك أن كلفـت الحكومة الأمريـكية سفيـرها فى القاهـرة بسؤال صدقى باشـا فاتصل به، ولكن بـعد استقالتـه وبعد إبلاله من مرضـه ـ وقد كان ذلك منذ شهر تقريبا ـ فـقال صدقى باشا إن رأيه الشخصى فى حل القضية الـفلسطينية هو تقسيم فلسطـين، وعلى ذوى النية الحسنة أن يعملوا على الجـمع بين العرب واليهود، ويحاولوا أن يصلوا ما انقطع بينهم حتى يكون لأى حل قيمة.

واستقال إسماعيل صدقى باشا من رئاسة الوزراء!!

كان للاستقالة دواعيها ومسبباتها، وليس هنا مجال الخوض فيها!!

ولم يكن "إلياهو ساسون" غائبا عن ردود الفعل التى أحدثتها استقالة وزارة "إسماعيل صدقي" باشا بكل تداعياتها وملابساتها.

فى ذلك الوقت كان "ساسون" موجوداً فى لندن، ومن هناك بعث إلى القدس بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٤٦ ـ أى بعد أسبوعين فقط ـ من رسالته الأولى برسالة أخرى كانت فى مجملها رأيه ورؤيته لدلالة استقالة صدقى باشا.

"إن «إسماعيل صدقي" رئيس وزراء مصر والذى حددت معه ونظمت ما تم الاتفاق عليه بيننا قدم استقالته فى أعقاب فشل محادثاته مع بريطانيا، وكل محادثاته ووعوده أصبحت بالنسبة لنا ماضيا سيسطره التاريخ فقط، ولم يعد لها أية قيمة فعلية الآن.

ويفسر البعض فى إسرائيل أن فشله مع بريطانيا جاء نتيجة أن إنجلترا قد تسرب إليها أن له علاقة مع الإسرائيليين من خلال علاقاته التجارية مع رجال الأعمال اليهود فى مصر، مما أثار عليه غضب الإنجليز حيث قرروا أن موقفه من تأييد مشروع التقسيم كان بسبب هذه العلاقات، وكذلك الاتصالات السرية. مما أفشلوا محادثاتهم معه، وبالتالى اضطراره إلى الاستقالة."

■ ■

ومن الطبيعى أن استقالة "صدقى باشا" فى هذا التوقيت بالذات، كان مما ضايق وأزعج "ساسون"، فقد كان أول ما ترتب على ذلك هو توقف الاتصالات بين الرجلين!!

■ ■

وبعد حوالى عامين.. فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ـ بدأت حرب فلسطين!!

كان «إسماعيل صدقى باشا" معارضا تماما لدخول مصر هذه الحرب، ولم يهتم "صدقي" باشا بالرأى العام الذى كان سعيداً ومبتهجاً وراضياً أيضاً!

وفى الجلسة السرية التى عقدها مجلس الشيوخ فى مايو ١٩٤٨ لمناقشة الموقف فى فلسطين، ويروي "محمد حسين هيكل" باشا ما جرى فى تلك الجسلة فيقول:

"وكان «إسماعيل صدقى باشا عضو المجلس معارضاً فى دخول الجيش المصرى أرض فلسطين، وكانت حجته أنه يعلم وقد كان رئيس وزارة إلى أواخر سنة ١٩٤٦- أن الجيش المصرى تنقصه أسلحة كثيرة، وينقصه العتاد اللازم والكثير من الأسلحة إذا خاض الحرب، وكان يخشى فضلا عن ذلك أن تعتبر الأمم المتحدة دخول الجيوش العربية فلسطين تحدياً لقرار التقسيم فتفرض على الأمم العربية ومنها مصر عقوبات لا طاقة لها بها، أو تمد اليهود بالأسلحة والعتاد، وتمنعها عن مصر والأمم العربية فتدور الدائرة عليها، وأن مصر لا مصلحة لها على أية حال فى خوض معركة لا شأن لها بها ولا ناقة لها فيها ولا جمل.."

حملت آراء "صدقى باشا" الكثيرين على التفكير فى الموقف، لكن الردود عليه أضعفت من تردد المترددين، فقد أكد رئيس الوزارة مرة أخرى أن لدى الجيش المصرى السلاح والعتاد لخوض الحرب شهوراً عدة، وأيد اللواء "أحمد عطية باشا" تصريح رئيس الوزراء، وكان عطية (باشا) إلى أشهر مضت وزيراً للحربية معه ،كما كان وزيراً للحربية مع "صدقي" باشا، كذلك تكلم فؤاد سراج الدين" باشا باسم المعارضة الوفدية فأيد الوزارة، ورد على "صدقى باشا" رداً عنيفاً وحبذ دخول القوات المصرية فلسطين.

وكان من أثر ذلك أن انسحب صدقى باشا من الجلسة.

وفى نفس يوم دخول القوات المصرية إلى فلسطين، نشرت جريدة "أخبار اليوم" حديثا مثيراً أجراه "مصطفى أمين" مع صدقى باشا، ونشر بتاريخ ١٥ مايو ١٩٤٨.

فى هذا الحديث قال، "صدقى باشا":

"كان فى الإمكان ألا تصل المسألة إلى هذا الحد، وسبيل التفاهم كان مفتوحاً بل ولايزال فى مقدورنا أن نوافق على الهدنة، وقد قلت لدولة النقراشى باشا(رئيس الوزراء) وكررت له الرجاء بقولى يا باشا قبل أن تطلب منا شن الغارة، وقبل أن تزج

بنا فى الحرب سافر إلى دمشق واسع للهـدنة، وبذلك تكسب ثلاثة أشهر ومن يدرى ماذا يتم خلالها."

وقال إسماعيل صدقي.. أيضا فى نفس الحوار ،وكان معه كل الحق فيما قال:

"ومن عـجب أن المسألـة يدور فيهـا البحـث منذ عام ونـصف العام ومـع ذلك لا نستدعى ولا يؤخذ رأينـا إلا قبل دخول جيوشنا فلسطين بأربع وعـشرين ساعة.. ففيم كان الإغـفال والإهمـال طوال الـوقت الماضـي، وفيم كـانت العـجلـة والحماسـة فى الساعات الأخيرة.

أنا متـشائم، ولا أجد غـضاضة فى إعـلان ذلك، وأخشى مـا أخشاه أن يفـقد هذه الحماسة تشاؤم.

هل أعددنا للأمـر الخطير عدته؟! وهل قدرنـا جميع العواقب؟! وهل اسـتعددنا لأسوأ الفـروض، وهل دار بخلد أولـئك المتحمـسين احتمـال إغارة قاذفات القـنابل اليهودية على بلادنا.؟

ألم يكن فى الإمكان والمسألة المطروحة للبحث منذ وقت طويل وليست طارئة ولا مفاجئة أن نستعد ونتأهب إذا كان لابد من خوض غمار الحرب؟!"

ومضى إسماعـيل صدقى باشا يقول بنفـس الصراحة والقسوة غير عـابىء بمشاعر الرأى العام فى مصر وخارجها أيضا فيقول:

"أنا أعلم أن هذا الكلام قد لا يعجب كثيريـن، ولكنى آليت على نفسى أن أقول ما أعتقد، وكم كان عجبى عندما جلست مـع حوالى ١٥ من شيوخنا فلم أر بينهـم واحدًا يحبذ الحـرب فلما انعقدت الجلـسة كانوا سباقين للـموافقة وفى ترديد كلـمة"نعم.. نعـم" مع أنـهم كـانوا قبـل ذلك بـنصـف ساعة يـقولـون: لا حول ولا قـوة إلا بالله.. ويعارضون فكرة الحرب»"

وكم كان عـجبى حيـنما تحدثـت مع أحد الوزراء الأجـلاء وعرضت فى كـلامى

للاقتصاديات فكان رده: اقتصاديات إيه يا باشا.. أنا راضٍ أمشى عريان فى سبيل التخلص من الصهيونيين!! وهكذا تناقش المسائل الكبرى!! وممن؟ من المسئولين الذين بيدهم مصاير الأمور.

انتهى حديث"صدقى باشا" ولكن!

كان رأى الناس فى ذلك الوقت، والأعصاب ملتهبة، والحماسة تأخذ الجميع أن صدقى باشا"الخائن" قد عاد إلى آلاعيبه القديمة، وأن اليهود"قد" اشتروه"!!

■ ■

وكان الملك "فاروق" على رأس الغاضبين من"إسماعيل صدقي" لموقفه المعارض من حرب فلسطين. حتى لقد أمر الملك فاروق حين مات" صدقى باشا" بألا يحتفل رسمياً بتشييعه، وألا يشترك فى هذا التشييع أحد من رجال القصر!!

■ ■

والآن جاء دور. محمد حسين هيكل" باشا"

٣

هيكل باشا
ساسون
ومشروع صلح

وكان إلياهو ساسون .. على موعد مع د. محمد حسين هيكل باشا !!.

ذهب ساسون لمقابلة «هيكل» باشا في بيته وفى مجلس الشيوخ !!.

جرت هذه اللقاءات قبل وبعد حرب فلسطين ١٩٤٨!!.

قبل حرب فلسطين جرت اللقاءات على أرض مصر!.

وبعد حرب فلسطين تمت اللقاءات خارج مصر، وبالتحديد في باريس !!

ولم يكن «ساسون» في لقاءاته وزياراته «لهيكل» باشا يلح عليه ويشغل باله وعقله سوى أمر واحد فقط حاول باستماتة أن يقنع به هيكل باشا!

كان ملخص هذا الأمر ومؤدى مضمونه بأنه من الخير تفاهم مصر مع اليهود!

باختصار شديد كان «ساسون» يحلم بأن يتحقق الصلح بين مصر وإسرائيل!! وما جري بين "ساسون" و«هيكل» باشا قصة طويلة مثيرة لم ينشرها «هيكل» باشا فى وقتها !! لكنه نشرها فى مذكراته والتى صدرت بعد سنوات طويلة من رحيله عن الدنيا!!.

فى هذه المذكرات روى هيكل باشا ماجرى بينه وبين «ساسون» بعد حرب ١٩٤٨، لكنه لم يذكر كلمة واحدة عن تفاصيل ومضمون لقاءاته مع ساسون قبل عامين من وقوع الحرب ، والتى كانت تتم فى بيته أو فى مجلس الشيوخ!!.

وقبل الدخول فى تفاصيل لقاءات «هيكل باشا وساسون» نتوقف قليلا أمام قصة لقاء آخر له دلالته وأهميته، كان طرفه «أبا إيبان» ألمع وزراء خارجية إسرائيل لسنوات طويلة !!

على صفحات مجلة «روز اليوسف» نقرأ تفاصيل وملابسات اللقاء بين «هيكل باشا» «وأبا أيبان» !!.

وصباح السابع من فبراير عام ١٩٥٥ صدرت روز اليوسف بخبر مثير للغاية!!.

كان عنوان الخبر يقول: إسرائيل تملك نسخة خطية من كتاب «حياة محمد» ثم

عنوان ثان تقول كلماته : الدكتور هيكل يلجأ إلى هيئة الأمم للمطالبة بالكتاب!!.

لم تكن عناوين الخبر وحدها هى المثيرة، بل كانت تفاصيل الخبر نفسه أكثر إثارة.

على صفحتها الرابعة كان الخبر يقول:

يقوم «المستر أبا إيبان» السفير الإسرائيلى فى واشنطن بترجمة كتاب «حياة محمد» الذى ألفه الدكتور محمد حسين هيكل ، والجديد فى هذا النبأ أن المستر «أبا إيبان» يترجم الكتاب من النسخة الخطية الأصلية التى كتبها الدكتور هيكل بخط يده، أما كيف وجدت هذه النسخة فى يد «أبا إيبان» فإن لها قصة ترجع إلى عام ١٩٤٦ أى قبل حرب فلسطين.

ثم مضت روز اليوسف فى سرد هذه القصة المثيرة قائلة:

فقد زار مصر فى هذه السنة المستر إيبان، وكان يقوم بتدريس اللغات الشرقية فى جامعة إنجليزية، وأثناء زيارته لمصر قابل الدكتور محمد حسين هيكل ليستأذنه فى ترجمة كتابه عن محمد إلى اللغة الإنجليزية، فوافق الدكتور هيكل على هذا العرض ووقع عقداً.. ولم يكتف الدكتور هيكل بذلك، بل أعطاه النسخة الخطية الأصلية من الكتاب حتى يقرأها «أبا إيبان» ويترجمها من الأصل. حدث هذا والدكتور هيكل لايعلم عن المستر إيبان إلا أنه أستاذ فى جامعة إنجليزية يقوم بتدريس اللغات الشرقية.

وقد حاول الدكتور هيكل كثيراً بعد ذلك استرجاع النسخة الخطية من الكتاب ولكنه لم يستطع، ففكر فى أن يعرض الأمر على هيئة الأمم المتحدة، وعرض هذه الفكرة على الدكتور فوزى [وزير الخارجية] حتى تتولاها الحكومة المصرية باعتبارها مشكلة دولية تدخل ضمن الحالة القائمة بين مصر وإسرائيل (!!).

ثم تختتم روز اليوسف الخبر بقولها: «ويقوم مساعد أبا إيبان» فى الوقت نفسه بترجمة الترجمة الإنجليزية التى وضعها إيبان إلى اللغة العبرية حتى يدرس الكتاب فى جامعة تل أبيب.

انتهى مانشرته «روز اليوسف » عام ١٩٥٥!.

ولكن بعد ٣٩ سنة عاد شيخ الصحفيين «حافظ محمود» ليروى فى جريدة الجمهورية بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٩٤ وتحت عنوان «ذكريات يهودية» تفاصيل جديدة فى حكاية «هيكل باشا» و«أبا إيبان» وكتب يقول:

حينما بدأت العمل الصحفى فى جريدة «السياسة الأسبوعية» فوجئت ذات صباح برجل أجنبى يقدم نفسه قائلا:

أنا الدكتور «أبا إيبان» المحاضر بجامعة كمبردج، وأرغب فى مقابلة الدكتور محمد حسين هيكل؟!.

وقبل أن نتبادل الأسئلة والأجوبة دخل غرفة مكتبى الدكتور هيكل فقدمت إليه الزائر «الإنجليزى»، ولكن الزائر نفسه صحح لى هذه المعلومة قائلا:

أنا أعمل فى بريطانيا لكننى يهودى ولست إنجليزياً، (وكانت إسرائيل لم تظهر بعد).

جلست أستمع إلى الحديث بين الرجلين - وعلى فكرة أبا إيبان يجيد اللغة العربية - وقد جاء يطلب من الدكتور هيكل نسخة خطية من كتابه «حياة محمد» ليترجمها إلى الإنجليزية . . إلخ.

ويضيف «حافظ محمود» ماجرى بعد ذلك فيقول:

ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت فى الوجود دولة إسرائيل، واختارت «أبا إيبان» وزيراً لخارجيتها.

وكان العرب قد شكوا إسرائيل إلى مجلس الأمن، وكان رئيس وفد مصر أمام هذا المجلس هو الدكتور هيكل، بينما كان ممثل إسرائيل هو «أبا إيبان» وشكا «هيكل» باشا، أبا إيبان إلى رئيس مجلس الأمن، لأنه لم يرد إليه كتابه، فكان رد رئيس المجلس:

يا بختك لأن كتابك سينشر بالإنجليزية فى جميع أنحاء العالم!!.

انتهى ماوراه «حافظ محمود» بكل الدلالات التى تحملها القصة:

والآن إلى حكاية هيكل باشا مع «ساسون» نفسه!!.

■ ■

فى عام ١٩٧٨ صدر الجزء الثالث من مذكرات هيكل باشا - وكان الجزء الأول قد صدر عام ١٩٥١، وصدر الجزء الثانى عام ١٩٥٣.

فى الجزء الثانى لاتحتل حرب فلسطين سوى صفحات قليلة، لكنه يشير فى صفحة ٢٨٥ إلى ملحوظة تقول «سيدى القارئ فى الجزء الثالث من هذه المذكرات تفصيلا وافياً لمشكلة فلسطين منذ بدايتها إلى أن عقدت الهدنة الدائمة».

وبعد ٢٥ سنة بالضبط صدر الجزء الثالث من مذكرات هيكل باشا!!.

فى ذلك العام كان قد مر عام على مبادرة الرئيس السادات التاريخية وسفره إلى إسرائيل.

كانت الدنيا كلها قد تغيرت، غابت أسماء ولمعت أسماء : غاب هيكل نفسه بطل القصة ورحل عن الدنيا.

وخرج من صفحات هذا الجزء من المذكرات لغم أصاب الجميع بالدهشة والذهول والحيرة والبلبلة أيضا!!.

كانت «القنبلة اللغم» هى قصة أول مفاوضات بين مصر وإسرائيل بهدف عقد سلام دائم بين مصر وإسرائيل!

كان هيكل باشا فى ذلك الوقت واحداً من ألمع رجال السياسة المصرية، فقد كان يرأس حزب الأحرار الدستوريين، وأيضا كان رئيساً لمجلس الشيوخ.. وكانت كل مصر والعرب يعرفونه كاتباً سياسياً ومفكراً بارزاً يتداولون ويقرأون فى اهتمام كتبه

الهامة، ومنها الفاروق «عمر» و«الصديق أبو بكر» و «حياة محمد» و«ثورة الأدب» و«تراجم» و«زينب» أول رواية مصرية.

وجرت وقائع القصة المثيرة فى خريف عام ١٩٤٨، وبالتحديد فى شهر سبتمبر. كان هيكل باشا قد سافر على رأس وفد برلمانى مصرى إلى العاصمة الإيطالية «روما» فى الأسبوع الأول من سبتمبر ١٩٤٨. لحضور جلسات المؤتمر البرلمانى الدولى، وأثناء إقامة هيكل باشا فى فندق «اكسلسيور» تحدث إليه تليفونياً شخص لايعرفه، وذكر له أنه يريد مقابلته من قبل السيد «إلياهو ساسون»!!.

ثم يروى هيكل باشا وقائع ماجرى على النحو التالى:

وساسون موظف كبير فى وزارة خارجية إسرائيل. قابلنى بالقاهرة غير مرة فى رياسة مجلس الشيوخ وفى منزلى (!!) وكان ذلك قبل قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وبعده، وحاول إقناعى بأن من الخير تفاهم (مصر مع اليهود) وساق لى من الحجج مثل ماكان يسوقه ذلك الشخص الذى تحدثت عنه فى أول هذا الفصل .

(كان هيكل باشا قد ذكر فى ص ١٣): "جاءنا فى جريدة «السياسة» يهودى بدأ يكتب عندنا مقالات فى شئون شتى لاعلاقة لها بفلسطين ولا بالهجرة اليهودية، ثم حدثنى فى تأييد «السياسة» للحركة الصهيونية بحجة أن العرب واليهود من الجنس السامى الذى يقاومه الأوروبيون بكل قوتهم. وزاد على ذلك أن «السياسة» تفيد من هذا التأييد فائدة مادية جسيمة فاعتذرت له عن عدم إجابة مطلبه. «فالسياسة» جريدة حزبية طابعها إسلامى. وتأييدها للحركة الصهيونية لايتفق مع مبادئنا. وعرض الرجل أن نجعل من «السياسة» منبراً حراً فى هذا الاتجاه، فاعتذرت مرة أخرى بأن مصر تؤازر البلاد العربية جميعا فى المطالبة بالاستقلال وتقرير المصير، وأن «السياسة» على أية حال تفقد الشئ الكثير من نفوذها إذا أيدت حركة ضد العرب فى فلسطين أو فى غير فلسطين».

ثم يضيف هيكل باشا فى روايته ما يلى:

«ولما كان الموقف قد تغير بعد قرار الأمم المتحدة، وبعد قيام الحرب بين اليهود

والعرب، حددت موعداً لهذا الشخص عليَّ أن أقف منه على اتجاه اليهود فى هذا الظرف الجديد، فلما جاء إليّ بالفندق سألنى عما إذا كنت أطيل مقامى بإيطاليا بعد المؤتمر البرلمانى، لأن المسيو ساسون يريد أن يقابلنى فى الأيام الأولى من أكتوبر (١٩٤٨) فذكرت له أننى مسافر إلى شمال إيطاليا أحضر المؤتمر التجارى ومؤتمر السياحة..».

المهم أن هيكل باشا يعترف فى مذكراته أنه حاول أن يعرف من هذا الشخص على ما يريده مسيو ساسون من مقابلته، فلم يقل له الرجل شيئا ذا بال، وما يلبث أن يسافر هيكل باشا إلى إيطاليا ثم إلى جنيف، وهناك قابله مسيو ساسون، ونترك سطور هيكل باشا واعترافاته تروى وقائع ماجرى فيقول هيكل باشا:

قابلنى مسيو ساسون وبدأ يحدثنى فى عقد الصلح بين مصر وإسرائيل (!!).

قال :«أصارحك بأننا لانعنى من الدول العربية بغير مصر، وأننا حريصون كل الحرص على إقامة العلاقات بيننا وبينها على أساس من المودة والصداقة».

فقلت: وعلى أى أساس تريدون أن يقوم هذا الصلح؟ أنا لا أعرف الخطة التى قررتها الحكومة المصرية، ولكن أريد أن أعرف عزمكم أنتم، فإذا اقتنعت بأن فيه مايصلح أن يكون أساس حديث فى أمر الصلح أفضيت به إلى الحكومة المصرية، وأود أن أذكر لك رأيا شخصياً لى لم أفاتح به أحداً من المسئولين فى مصر، ذلك أن تتنازلوا أنتم صراحة عن منطقة النقب لمصر، وأن تعلنوا استعدادكم لهذا التنازل قبل كل حديث.

وأجابنى الرجل فى لهجة لم أرضها: وماحاجتكم إلى النقب ولديكم «أنقاب» كثيرة لم تصلحوا منها شيئا؟ (يريد أن صحارى مصر الواسعة لم تنل منا عناية أو إصلاحاً. وكفتنى هذه العبارة لأكف عن المضى فى الحديث فقلت: أظن إذن أنه لافائدة من الحديث فيما قصدت إليه!!

ويشير هيكل باشا إلى أنه كان يقصد من وراء مواجهة ساسون بضرورة تنازل إسرائيل صراحة عن منطقة النقب إلى غرضين:

أولهما: تشديد عزائم الجنود المصريين إذا هى علمت أنها تحارب فى سبيل مصلحة قومية، وأن تضحياتها لن تذهب سدى.

والثانى: جس النبض لمعرفة مايريد اليهود من الحديث مع مصر، وهل هو يدل على أنهم سئموا القتال فهم يريدون الصلح مخلصين، أو أنهم يريدون بهذا العرض أن يفرقوا كلمة الأمم العربية بعد الذى كان من تخلى الجيش الأردنى فى اللد والرملة، وتعرض جناح الجيش المصرى بهذا التخلى لهجوم اليهود عليه.

ثم يقول هيكل باشا: «فلما رأيت «مسيو ساسون» يتحدث بلهجة لم ترضنى آثرت عدم المضى فى حديث لاجدوى من المضى فيه، وعدت إلى مصر فى منتصف أكتوبر (١٩٤٨) وليس فى نيتى أن أذكر لأحد شيئا عما دار بينى والمسيو ساسون، وصرفنى عن التفكير فى هذا الأمر أن أوسع الصحف الموالية للحكومة انتشاراً انتهزت فرصة غيابى عن مصر فحملت علىّ حملة غير كريمة. فأقنعنى ذلك بأن أى حديث أفضى به إلى الحكومة فى هذا الموضوع سيتخذ وسيلة لتغذية هذه الحملة.. من ثم لم يكن لهذا الحديث أية نتيجة، ولم أعره من جانبى أية عناية.».

■ ■

وقبل أن نسترسل مع باقى شهادة د. هيكل باشا حول اتصالاته مع ساسون، والذى أصبح ابنه «موشيه ساسون» سفيراً لإسرائيل فى مصر عام ١٩٨٢ يلفت النظر بعض الملاحظات الهامة يمكن إيجازها فيما يلى:

١- إن هيكل باشا سبق له مقابلة ساسون أكثر من مرة، وكانت مصر هى مكان المقابلة(!!).

٢- إن هيكل باشا سبق له استقبال ساسون أكثر من مرة سواء فى منزله أو فى مقر مجلس الشيوخ (!!).

٣- إن ساسون حاول اقناع هيكل باشا بأنه «من الخير تفاهم مصر مع اليهود!».

وكان ذلك قبل صدور قرار تقسيم فلسطين وبعده (!!).

٤- إن ساسون تحدث مع هيكل بشكل صريح ومباشر بشأن عقد الصلح بين مصر وإسرائيل، وكان ذلك العرض بعد قيام حرب فلسطين بشهور (!!).

٥- إن ساسون أفهم هيكل باشا أنهم حريصون على إقامة العلاقات بين مصر وإسرائيل على أساس من المودة والصداقة (!!).

٦- إن هيكل باشا تحدث مع ساسون بصفته الشخصية، وكان رأيه الشخصى الذى لم يفاتح به أحداً من المسئولين فى مصر هو ضرورة تنازل إسرائيل صراحة عن منطقة النقب لمصر!.

٧- كان جواب ساسون على الاقتراح السابق (وماحاجتكم إلى النقب) سبباً لكى يكف هيكل باشا عن المضى مع ساسون فى هذا الحديث.

٨- إن هيكل باشا بعد عودته إلى مصر - لم يخبر أحداً على الإطلاق بهذا الموضوع، وخشى أن تقوم الصحف الموالية للحكومة بتغذية الحملة المثارة ضده!!.

■ ■

ثم نعود لاستكمال باقى شهادة د. محمد حسين هيكل باشا فى هذا الصدد، وكان قد وصل إلى باريس مساء ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ وحجز لنفسه غرفة بفندق «لوتسيا»، وفى اليوم التالى يدق جرس التليفون بغرفته، وكان المتحدث هو نفسه الشاب الإسرائيلى الذى سبق لهيكل باشا أن التقاه فى روما، وعرف منه أن ساسون يرغب فى لقائه. المهم أن هذا الشاب أبلغ هيكل باشا أنه يريد أن يلقاه هو وأحد زملائه، وشرح هيكل باشا للشاب أنه مشغول طوال ثلاثة أيام باجتماعات اللجنة التنفيذية للاتحاد البرلمانى الدولى. وبعدها سيذهب إلى باريس لمدة أسبوع، ولكن الشاب أصر وألح على المقابلة مما جعل الدهشة تستولى على هيكل باشا فيقول:

كنت أحسب أن مادار بينى وبين المسيو ساسون بجنيف قد قضى على كل رجاء يدعو إلى استئناف الحديث فى موقف إسرائيل من مصر؟ أو موقف مصر من إسرائيل، والحوادث التى توالت بعد ذلك أمعن فى تقرير هذا المعنى. وأى جديد يريد أن يحدثنى هذا الشاب أو أن يحدثنى زميله فيه ؟!

وفجأة جرى فى مصر حادث اهتز له الرأى العام كله. فقد جرى اغتيال رئيس الوزراء المصرى محمود فهمى النقراشى. يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨. وذهب هيكل باشا إلى مقر السفارة المصرية ليستطلع حقيقة ماجرى، وبعد الظهر عاد ليشارك فى اجتماعات اللجنة التنفيذية، وصباح اليوم التالى يخاطبه تليفونيا ذلك الشاب الإسرائيلى ويبلغه استياءه لمقتل النقراشى باشا، وبأن إبراهيم باشا عبدالهادى كلف بتشكيل الوزارة الجديدة، وبأنه – أى الشاب الإسرائيلى وصاحبه– سيحضران للقائه فى الموعد الذى سبق تحديده.

وفى الموعد المحدد ذهب الشاب الإسرائيلى وصاحبه للقاء هيكل باشا بغرفته، وكان أول سؤال يوجهه لهما هو: عما جد من الحوادث مما نستطيع الحديث فيه.

ثم يمضى هيكل باشا فيروى تفاصيل المقابلة المثيرة على هذا النحو:

عادا يخبراننى أن إسرائيل حريصة أشد الحرص على صداقة مصر، وأن مصر ترغب عن هذه الصداقة لأمر لايفهمانه، وأن إسرائيل قدمت لمصر ما نعتقده الأساس الصالح لعلاقاتهما فى المستقبل. وسألتهما. فعلمت أن إسرائيل بعثت بمشروع لمعاهدة «مودة وصداقة» تعقدها مع مصر، وأن هذا المشروع أبلغ إلى إبراهيم عبدالهادى باشا وهو فى رياسة الديوان، وأنهم لم يتلقوا منه رداً. وسألتهما إن كانت لديهما صورة من هذا المشروع أستطيع الاطلاع عليها، فوعدا بإرسالها لى صبح الغد، وبأن نلتقى مرة أخرى بعد يومين لأبلغهما رأيى فى هذا المشروع. وصدق الرجلان. فقد تلقيت صبح الغد من ذلك اليوم مظروفاً فضضته فإذا به هذا المشروع الذى حدثانى عنه(!!).

ويضيف محمد حسين هيكل باشا معلقاً على المشروع:

«وتلوت مقدمة المشروع ومواده فتولانى العجب أشد العجب. لقد صيغ على غرار المعاهدة المصرية البريطانية التى عقدت فى سنة ١٩٣٦. لكن إسرائيل تملى فيه على مصر ماهو أقسى مما ورد فى معاهدة ١٩٣٦. فالدولتان الساميتان المتعاقدتان يجب ألا تتخذ أيهما سياسة فى البلاد الأخرى تناقض سياسة الدولة الأخرى، ويجب

أن تخف أيهما لنجـدة الدولة الثانية إذا تعرضت للاعتداء، ويجب أن تـعامل كلتاهما بشـروط الدولة الأكثر رعاية فى أراضـى الدولة الأخرى، إلـى غير ذلك مـن شروط أثارت دهشتى، حتى لقـد ظننت أن المشـروع لم يجرؤ أحـد على إرساله إلـى مصر، وأنهمـا [الشاب الإسرائيـلى وصديقه] أخـبرانى بذلك لـيقفا علـى رأيي فيما تـعتزم بلادهما التقدم به إلى الدولة العربية الكبرى».

وبعد أن انتـهى هيكل باشـا من قراءة مشروع معـاهدة المودة والصداقة بـين مصر وإسرائيل، كانت الـدهشة والعجب قد استوليـا عليه، وصباح اليوم التالـى حضر إليه كل من الـشاب الإسرائيلى وصـديقه [لم يذكـر لنا هيكـل باشا عن اسم أى منـهما] سألهما:

أحقا أن هذا المـشروع أرسل إلى مصر؟! فأكـدا له أنه أرسل بالفعـل إلى الديوان الملكـى، وأنه تم تسليـمه إلى إبراهيم عـبدالهادى باشـا رئيس الديوان، وأن الحـكومة المصرية قامت بالاطلاع عليه!.

وهنا يبدى هيكل باشا دهشته واستغرابه قائلاً للشابين الإسرائيليين:

«ولكـنكما تـعلمان أن المـصريين جمـيعا يعـترضون اليـوم أشد الاعتراض عـلى معاهدة ١٩٣٦، فليس من بينهم حزب، وليس بـينهم رجل سياسى يستطيع أن يصرح اليوم بأنها مرضية (أى المعاهدة) لمطالب وطـنه، فكيف تطمعون أنتم فى أن ترضى أية حكومة مصرية عن هذا المشروع الذى أطلعـتمانى عليه، وهو أشد وطأة».. على مصر من معاهدة سنة ١٩٣٦..».

وهنا قال له الشابان: «ولـكن توقيع معاهدة بيننا وبين مصر سـيكون المقدمة لإلغاء معاهدة سنـة ١٩٣٦ فستعمل إسرائيـل بما لديها من مختـلف الوسائل لتعاونـكم على إلغائها».

قال هيكل باشا وقد استفزته الكلمات السابقة تماماً:

«إن مصر قادرة بمفردها على تحقيق أهدافها، وستبلغ ماتريد عما قريب».

ولم ييأس الشابان وعادا يسألان هيكل باشا:

«إذن فأشر علينا بما يجب أن نصنعه لنوطد بيننا وبين مصر علاقة مودة وصداقة».

ولم يجد هيكل باشا غير هذه الكلمات إجابة عن سؤالهما.

«لاتظنوا أن الموقف الحاضر يعاون على أى إجراء رسمى يحقق هذه الغاية، فلاتزال الخصومة بين مصر وإسرائيل على أشدها. ومصر إلى اليوم لم تعترف بإسرائيل، ولست أظن أنها تعتزم الاعتراف بها عما قريب. أما وقد سألتمانى أن أشير عليكما فالرأى عندى أن تتركا الأمور عاماً أو عامين أو ثلاثة، وألا تثيروا أنتم أية ثائرة من جانبكم، وكثيراً ماحل الزمن مشاكل عجز أقدر الساسة وأمهرهم عن حلها. فالزمن هو الذى يثبت من الأشياء ماهو قادر على الحياة ، ويمحو ماهو غير قادر عليها. أما إذا تعجلتم الأمور فلشد ما أخشى ألا تبلغوا من تعجلكم إلى غاية مع مصر أو غير مصر».

وما يلبث هيكل باشا أن يعترف قائلاً:

«فكرت بعد ذلك طويلاً فيما سمعت من رجال إسرائيل خلال هذه السنة الأخيرة»:

أصحيح أنهم لايعنون من الدول العربية بغير مصر؟! أم أن لهم اتصالات بسائر هذه الدول؟، وقد تكون اتصالاتهم هناك أسعد حظاً من اتصالاتهم بى أو بغيرى من المصريين (لم يحدد هيكل باشا من المقصود بغيره من المصريين) ثم يضيف قائلا:

وقد نشرت الأنباء منذ بدأت مفاوضات الهدنة بوساطة وسيط الأمم المتحدة الذي حل محل الكونت برنادوت السويدى المستر رالف بانش الأمريكى أن هناك اتصالات مباشرة بين إسرائيل وشرق الأردن، وأن العراق فوض شرق الأردن، ولم يفوض دولة عربية سواها فى التحدث باسمه (لم يقل لنا هيكل باشا لماذا) ترى أيكون الأمر قد بلغ إلى حيث استطاعت إسرائيل، واستطاعت السياسة الدولية أن تفرق بين الدول العربية، وأن تصل بين كل واحدة منها وبين إسرائيل لعقد صلح منفرد؟!!».

ويضيف هيكل باشا قائلاً فى مذكراته الهامة:

لم أقف طويلا عند هذه الأسئلة (!!!) ولم أحاول الإجابة عنها (!!!) ولم يكن لدى معلومات كافية عن سياسة الحكومة المصرية نفسها .برغم أننى رئيس الهيئة التشريعية فيها، وليس يجمل بى أن أحكم على موقف الدول العربية الأخرى استناداً إلى معلومات مبتورة أو مشوهة تنشرها الصحف، أو أتلقاها نتفاً من هنا ومن هناك من الرجال الرسميين ومن الرجال غير الرسميين (!!).

وعدت إلى مصر بعد أسبوع من انتهاء أعمال اللجنة التنفيذية، وبعد أن تألفت وزارة إبراهيم باشا عبدالهادى (تشكلت فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨)، وتشرفت بمقابلة جلالة الملك (فاروق) وأفضيت فى هذه المقابلة بموجز من أعمال اللجنة التنفيذية وبتفصيل مادار بينى وبين هذين الإسرائيليين، ومادار قبل ذلك بينى وبين «مسيو ساسون» حين كنت بجنيف. فابتسم جلالته بعد أن أتممت حديثى وقال:

«لقد بلغ من أمر هؤلاء القوم أن خاطبونى مباشرة بخطاب بعثوا به، وكان أمامهم طريق الحكومة أو طريق الديوان».

■ ■

وهكذا تنتهى أخطر وأغرب مفاجأة سياسية جاءت فى مذكرات هيكل باشا، وكما رواها بنفسه فى الجزء الثالث والذى نشر بعد رحيله بسنوات!!.

والملفت للنظر أن هذه القصة أو الوساطة على أهميتها البالغة لم يُلتفت إليها كثيراً، ولم تأخذ حظها من الدراسة العلمية أو البحث التاريخى الجاد!!.

ولكن الكاتب الصحفى «حسنين كروم» (الناصرى) توقف أمام هذه القصة أو الوساطة وأفرد لها مساحة من الصفحات ضمن كتابه الوثائقى "عروبة مصر قبل عبدالناصر» [الجزء الثانى صدر عام ١٩٨٤] عن دار المستقبل العربى التى هى أيضا ناصرية التوجه!!.

كان حسنين كروم يناقش القضايا التى أبرزتها حرب فلسطين ١٩٤٨، ثم ابتداء

من صفحة ٦٦ يروى حكاية الوساطة التى قام بها هيكل باشا تحت عنوان «سياسى مصرى يتفاوض سراً مع الإسرائيليين ويطالب بضم النقب لمصر»، ثم يقوم حسنين كروم بسؤال عدد من الأسماء السياسية الهامة ممن جرت أسماؤهم فى هذه الرواية، فيقول بالنص ما يلي:

هذه هى رواية الدكتور محمد حسين هيكل باشا، ولقد عرضتها على «إبراهيم عبدالهادى» باشا فى مقابلة معه بمنزله بالمعادى فى شهر مارس ١٩٨٠ وسألته عن مدى صحتها، فأبدى استغرابه الشديد منها، ونفى نفياً باتاً أنه تسلم مشروعاً إسرائيلياً بعقد معاهدة صلح منفرد مع مصر عندما كان رئيسا للديوان الملكى، كما لايعلم شيئا عن وصول هذا المشروع إلى الملك عن غير طريقه وقال : «إن الملك ذكر للدكتور هيكل باشا أن الإسرائيليين خاطبوه مباشرة عن غير طريق الديوان والحكومة».

وعاد الكاتب الصحفى حسنين كروم يسأل «إبراهيم باشا عبدالهادى» إذا كان الملك فاروق قد فاتحه فى هذا الموضوع بعد أن أصبح رئيسا للوزارة؟!

فأجاب: لم يحدث مطلقاً.

وعاد ليسأله: عما إذا كان الدكتور هيكل أخبره بالموضوع، أو علم هو به عن طريق آخر!!

فقال إبراهيم عبدالهادى إن الدكتور هيكل لم يخبره بأى شئ، وهذه هى المرة الأولى التى يعرف فيها بهذه الرواية بعد أن قرأها اليوم - يوم مقابلة حسنين كروم له- لأنه لم يقرأ الكتاب من قبل [!!!].

يضيف حسنين كروم قائلا: وفى أثناء هذه المقابلة حضر الدكتور «محمد صلاح الدين بك" وزير الخارجية فى وزارة الوفد ٥٠-١٩٥٢ لزيارة إبراهيم عبدالهادى باشا فسألته عن صحة الرواية فأبدى تعجبه منها، وقال إنه لم يعلم بها إلا اليوم (!!).

ويكمل كروم قوله: "كذلك سألت فؤاد سراج الدين باشا فى مقابلة معه بمنزله بجاردن سيتى خلال شهر سبتمبر ١٩٨٠ عن معلوماته عن هذه الرواية، فسألنى بدهشة شديدة: هيكل باشا قال كده!!».

فأعطيته الكتاب، وبعد أن قرأ مابه قال:

- إنها المرة الأولى التى يعرف فيها بحدوث شئ كهذا !!.

■ ■

وربما تصور الكاتب الصحفى «حسنين كروم» أن يجد تفاصيل أكثر ومعلومات أغزر لدى نجل هيكل باشا وهو «أحمد هيكل المحامى» فهو الذى تولى نشر الجزء الثالث من المذكرات الذى وردت به هذه الواقعة، وبالفعل فقد قابله وسأله:

- لماذا لم ينشر فى الكتاب النص الكامل لمشروع المعاهدة الذى تسلمه هيكل باشا من الإسرائيليين؟!.

وأجاب نجل هيكل باشا: "إنه نشر كل ماوجده، ولم يعثر فى أوراق والده على هذا النص..».

فسأله:بم تفسر موافقة الدكتور هيكل على الاجتماع بمندوبين إسرائيليين والتباحث معهما، رغم أن موقف الحكومة هو رفض إجراء أية محادثات مباشرة مع إسرائيل، ولماذا لم يخبر الحكومة بما حدث بعد عودته مع العلم بأن حزبه كان يشارك فى الحكم؟!.

فقال: إن هيكل باشا لم ينته إلي نتيجة، ولم تكن المسألة جادة إلى الحد الذى يدفعه لأن يخبر الحكومة، وقد وجد أن الأمر لا أهمية له. (ص٧١).

■ ■

فى الشهادة السابقة يحاول نجل هيكل باشا الدفاع عن والده بقوله إن المسألة لم تكن جادة!! «وليس معروفاً على وجه الدقة هل كان كلام أحمد هيكل» هو رأيه الشخصى أم أنه رأى والده الخاص؟!.

لكن اللافت للنظر أن كل الأطراف نفت معرفتها بهذا الموضوع من أساسه!!.

نفى ذلك إبراهيم باشا عبدالهادى.

ونفى ذلك أيضاً د. محمد صلاح الدين وزير الخارجية!.

ونفى فؤاد سراج الدين ذلك كله، وأضاف أنها المرة الأولى التى يعرف فيها بحدوث شئ كهذا.

ولم يتوقف أحد منهم أمام العبارة التى جاءت على لسان هيكل باشا فى مذكراته وفيها يقول إنه تقابل أكثر من مرة مع «ساسون» فى بيته، وفى مجلس الشيوخ قبل صدور قرار التقسيم. فى عام ١٩٤٧.

رغم خطورة الاعتراف السابق لا أحد يعرف السر الحقيقى وراء تجاهل «هيكل» باشا له فى مذكراته؟!.

ولماذا اكتفى «هيكل» باشا بسرد وقائع ماجرى بينه وبين ساسون بعد حرب ١٩٤٨ فى نفس الوقت الذى يتجاهل أو يتعمد تجاهل ماجرى مع «ساسون» قبل الحرب!!.

قبل صدور مذكرات هيكل باشا بأربع سنوات، صدر فى بيروت كتاب هام للكاتب الصحفى اللبنانى «عادل مالك» ، اسمه من «رودس إلى جنيف» ! (عن دار النهار).

فى هذا الكتاب الذى صدر عام ١٩٧٤ يكشف «عادل مالك» عن أسرار لقاء هيكل باشا مع «إلياهو ساسون» قبل حرب فلسطين!.

كان شحادة الغصين قنصل لبنان العام فى القدس قد التقى «ساسون» ودار بينهما حوار طويل سرعان ما أرسل به شحادة إلى «فؤاد عمون» أمين عام وزارة الخارجية اللبنانية. تضمن القسم الأول من الخطاب ماجرى بين «ساسون» وصدقى باشا (انظر الفصل الثانى) ثم تضمن القسم الثانى حوار ساسون مع هيكل باشا!.

قال ساسون لشحادة الغصين وحسب نص رسالة الغصين نفسه ما يلى:

قابلت الدكتور «محمد حسين هيكل باشا» فى أوائل كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٦ وأنا مسافر إلى سويسرا لحضور المؤتمر الصهيونى العالمى فى بال، ودار بيننا الحديث طويلا حول قضية فلسطين، فكان هيكل باشا يرى أن تعقيد القضية

الفلسطينية والنفور الشديد الواقع بين العرب واليهود راجع إلى رغبة الأجنبى فى السيطرة على البلاد ليتخذ منها موطناً يبسط فيه نفوذه وسلطانه على الشرق الأوسط بأكمله. فلاخير يرجى للمصلحة العامة إلا بأن يقع الاتصال بين العرب واليهود، وإذاكان لليهود مايشكون من موقف العرب منهم، فما على اليهود إلا أن يعرضوا شكواهم مباشرة على الجامعة العربية لتكون رأيها النهائى على ضوء ما تسمعه من الجانب اليهودى!.

واستمر الخواجا ساسون فى كلامه فقال (لشحادة الغصين):

وقد كلفنى هيكل باشا أن أعرض هذا الرأى على زعماء اليهود فى بال، وأن أطلب منهم ألا يكون فى قراراتهم ما يجرح شعور العرب ويثير نفوسهم (!!)».

ثم يعترف ساسون بأنه قام بالاجتماع فى «بال» بالزعماء «وايزمان» و «بن جوريون» و«شرتوك» وغيرهم، وعرض عليهم اقتراح «هيكل باشا» بشأن عرض القضية على الجامعة العربية، فقابلوه بارتياح تام، واستقر رأيهم على ألا يتخذوا فى هذا الشأن قراراً نهائياً حتى ينتهى مؤتمر لندن، وبعد انتهاء المؤتمر اجتمع «ساسون» بالزعماء اليهود وتحدث معهم عن موضوع عرض القضية على الجامعة العربية فوافقوا عليه، بل وفوضوه فى مباحثة الدكتور هيكل باشا من جديد.

ويمضى «ساسون» في حديثه مع القنصل العام اللبنانى «شحادة الغصين» ليصف ما حدث مع «هيكل» باشا فيقول:

وحينما رجعت أخيراً إلى مصر اتصلت بهيكل باشا وأبلغته القرار، فسر به وأظهر استعداده بل تصميمه بصفته عضواً فى الهيئة الرسمية لممثلى مصر فى الجامعة العربية على أن يعرض الاقتراح على المجلس فى الدورة القادمة (!!).

ولكننى (أى ساسون) أبديت له رأياً فى هذه المناسبة خلاصته أن عرض اليهود

قضيتهم مباشرة على الجامعة قبل التمهيد لها بشئ فيه خطر على الفكرة من أساسها، نظراً للنفور المستحكم منذ سنين بينهم وبين العرب، وللتوتر الناشئ عن المشادة على القضية نفسها، وقد يكون الأوفق أن تشكل هيئة من رجالات المصريين الكبرى النفوذ فتتخذ لها مهمة الاتصال مع اليهود والمسئولين العرب، والقيام بالأبحاث التمهيدية قبل عرض القضية على الجامعة.

ويضيف ساسون قوله: «فوافقني هيكل باشا على رأيي، ولكنه أضاف أن أعضاء اللجنة يجب أن يختاروا من أكثر من دولة عربية واحدة وطلب منى أن أقوم بمساعٍ فى غير مصر من الدول العربية، وأخبرنى أنه عازم من جهته على بذل جهده فى سبيل نجاح المشروع».

وقد أخبرت «هيكل» باشا أنى راغب فى عرض الفكرة على «عبدالرحمن عزام باشا» فقابلته وعرضتها عليه وسألته عن رأيه فقال: إن الفكرة فى مجملها حسنة ولاسيما من الناحية النظرية، ولكن أين هم رجالات العرب الذين يستطيعون أن يقوموا بمهمة اللجنة التمهيدية التى تقترحها دون أن يلاقوا من الهجوم الداخلى والتيارات الحزبية المحلية، ما يرميهم بتهمة الخذلان والخيانة، فالأحوال الداخلية فى جميع البلدان العربية غير مستقرة وأنا أعلم بها، وإذا تكلم هيكل باشا عن اقتراحه، فإنما يتكلم بالعقل والمنطق، وهو مصيب. أما أنا (أى عزام باشا) فإنى أحدثك والواقع أمام عينى!.

ثم التفت (هيكل باشا) إلى عزام باشا وقال:

إذا شئنا أن نبحث عن رجالات من العرب يكونون فى منجاة من الشبهة، فلا نجدهم حقيقة فى غير ملوكهم ورؤسائهم، ولولا الأزمة السياسية التى استحكمت حلقاتها بين مصر وإنجلترا، وانشغالنا فى عرض قضيتنا على هيئة الأمم المتحدة، لما ترددت لحظة فى بسط الاقتراح بأكمله لجلالة الملك «فاروق» وسألته أن يتبناه ويسعى

إلى تحقيقه، وعلى كل حال أنا لا أريد أن أحدّ من نشاطك أو أثبط من همتك، فاسع فى مصر وفى غير مصر فقد تجد من جلالة الملك عبدالعزيز (السعودية) أو من فخامة الرئيس بشارة الخورى (لبنان) أو غيرهما مايعين على الخروج من المأزق!!.

وحسب ماجاء فى خطاب القنصل العام اللبنانى «شحادة الغصين» فقد استمر «ساسون» فى حديثه قائلا:

«تركت مصر وأنا مقتنع بأن المسئولين من رجال مصر عن السياسة العربية راضون على الاقتراح وتواقون إلى تحقيقه، ولكنهم يطلبون دعامة من دولة عربية أو أكثر من دولة عربية، حتى تسهل المهمة التى يعنون بها، ونحن اليهود واثقون من أن لبنان يريد أن يرى حلا نهائياً للقضية، ويعلم أن الحل النهائى لايكون بغير اتفاق العرب واليهود، ونحن اليهود راغبون فى أن نعرض مشكلتنا أمام الجامعة العربية وأن نلتقى والعرب أمام هيئة الأمم المتحدة، فكل تدخل أجنبى ليس له ثمرة للطرفين».

أما اللجنة التمهيدية - وهى مشكلة من العرب فقط - فتكون مهمتها إزالة هوة الخلاف بين كل من العرب واليهود، والتوفيق بينهم على ماهم مختصمون عليه وتقريب المبادئ التى يتمسكون بها من بعضها البعض ،حتى إذا ما استطاعت اللجنة أن تصل إلى نتيجة، فتحيل الأمر برمته على الجامعة العربية لتناقشه وتبدى الرأى القاطع فيه.

■ ■

ولعل أخطر اعترافات إلياهو ساسون فى حديثه مع «شحادة الغصين» هو قوله:

«سيدعو هيكل باشا مندوبى الحكومة اللبنانية لمجلس الجامعة العربية لبسط الموضوع لهم، والوقوف على رأيهم فيه، ونحن شئنا أن تقف الحكومة اللبنانية اليوم على خطوات هذا المشروع حتى لاتفاجأ فيه ولأول مرة فى مصر.

وكان رجاء "ساسون" من "شحادة الغصين" : "وترجو الوكالة اليهودية من الحكومة اللبنانية أن تأخذ هذا الاقتراح بعين الاعتبار والعناية."

وكان آخر ما قاله ساسون لشحادة الغصين هو : «لقد اجتمعت أمس بين جوريون وشرتوك وغيرهما، فقر قرارنا على أن نتصل بمعالى «إبراهيم عبدالهادى" باشا رئيس الديوان الملكى المصرى لنبسط له الاقتراح السابق ذكره».

■ ■

ولم يكن هيكل باشا وحده الذى التقاه «ساسون»!!.

كان هناك «قنصل مصر» فى القدس لسنوات طويلة!!.

وتلك حكاية أخرى!.

٤

عبد المنعم مصطفى لساسون: للصبر وأيضا للصلح حدود!

وفـى «لوزان» بسويسرا كـان «إليـاهو سـاسـون» علـى موعـد مع «عـبدالمنعـم مصطفى»!!

كان «عـبدالمنعـم مصطـفى» يرأس الوفـد المصرى الـذى سافر إلى لـوزان، وكان «ساسون» عضو الوفد الإسرائيلى الذى يترأسه «إيتان»!!

كانت المناسبة انعقاد «مؤتمر عربـى – إسرائيلى– دولى» فى لوزان تحت رعاية لجنة التوفيق الدولية بإشراف الأمم المتحدة.

وتشكـلت لجنة التـوفيق الدوليـة من ممثلـين عن الولايات المتـحدة وفرنسا وتـركيا لمتابعة أعمال ومهام الوسيط الدولى الذى أغتيل «الكونت برنادوت»، ولوضع حلول لإنهاء الصراع العربى الإسرائيلى، وبالتوفيق بين وجهات النظر المتعارضة.

استمرت المـفاوضات خمسة شـهور، وشاركت فيهـا مصر، سوريا، لبـنان، شرق الأردن.

كانت المـرحلة الأولى مـن محادثات لـوزان تمهيديـة، وامتدت ما بـين ١٧ مارس ١٩٤٩ وحتـى ٢٧ أبريل ١٩٤٩، وقد بـدأت بالاجتمـاع الأول للجنـة فى جنيـف، ثم انتـقلت إلـى الشرق الأوسـط، وعقدت عدة اجـتماعـات مع الأطراف الـعربيـة فى بيروت وتل أبيب.

كانت المرحلة الثانية هى الأخطـر والأهم، وانعقدت من أبريل ١٩٤٩ إلـى يوليو ١٩٤٩ حيث انتقلت اللجنة إلى لوزان، وأرسـلت الأطراف العربية وإسرائيل وفودها إلى لوزان.

طوال تلك الفترة ومابعدها بقليل كان «إلـياهو ساسون» يبعث برسائل مطولة عما يجرى ويدور إلى رئيس الوزراء «موشى شاريت»!.

■ ■

ولم يكـن صدفة اختيار «عبدالمـنعم مصطـفى» ليرأس وفـد مصر فى مـحادثات لوزان!!.

كان «عبدالمنعم مصطفى» أحد خبراء الدبلوماسية المصرية فى شئون وتفاصيل المسألة الفلسطينية منذ سنوات!.

كان «عبدالمنعم مصطفى» قد شغل منصب قنصل عام مصر فى القدس فى أواخر أيام الانتداب البريطانى على فلسطين!!.

وعندما صدر قرر تقسيم فلسطين فى عام ١٩٤٧ وأثناء مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى اللجنة الخاصة بشئون فلسطين، كانت هذه المناقشات بكل جوانبها - حسب شهادة د. محمد حسين هيكل باشا - من اختصاص د. محمود فوزى بك وعبدالمنعم مصطفى بك.

وبعد ذلك كان أحد أعضاء الوفد المصرى فى محادثات رودس التى جرت بين مصر وإسرائيل، وأسفرت عن توقيع اتفاقية الهدنة فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩.

وفى ختام هذه المفاوضات تولى «عبدالمنعم مصطفى» كتابة التقرير الختامى تحت عنوان «تقرير عن نتيجة المفاوضات التى جرت فى رودس ابتداء من ١٢ يناير سنة ١٩٤٩ وحتى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ بين ممثلى السلطات المصرية واليهودية لعقد هدنة عسكرية فى فلسطين.

وهكذا لم يكن «عبدالمنعم مصطفى» غريباً عن المفاوض الإسرائيلى، ولا عن ألاعيبه ومناوراته وخبثه أيضاً!!.

■ ■

وبعيداً هناك فى لوزان جرت حوارات طويلة بين «عبدالمنعم مصطفى» و«إلياهو ساسون»!.

كانت حوارات بعيدة عن ضغوط الدبلوماسية والسياسة والياقات المنشاة .كانت أشبه بالفضفضة والحوار المفتوح، لكنها فى نهاية الأمر كانت «حوارات سياسية» من الألف إلى الياء!!.

ولا أحد يعرف على الوجه القطع ما إذا كان «عبدالمنعم مصطفى» قد سجل هذه الحوارات فى أوراق أو مذكرات أو تركها تتسرب من ذاكرته وعقله!!.

ولا أحد يعرف هل كان «عبدالمنعم مصطفى» يكتب بفحوى مايجرى فى لوزان ويرسل به إلى القاهرة أم لا!!.

كلها أسئلة لا أحد يدرى أية إجابات لها؟!.

وكان لابد أن تنقضى سنوات طويلة حتى يتاح لنا معرفة ماذا جرى فى لوزان بين عبدالمنعم مصطفى و«إلياهو ساسون»!.

كانت المرة الأولى التى تنشر فيها أسرار الحوارات بين «عبدالمنعم مصطفى» و«ساسون» ضمن فصول كتاب «من رودس إلى جنيف» للكاتب اللبنانى «عادل مالك» الذى صدر عن دار النهار عام ١٩٧٤.

كان أخطر فصول الكتاب إثارة ودهشة هو الرسائل التى كان يرسل بها «ساسون» من لوزان إلى «موشيه شاريت» وزير الخارجية الإسرائيلى!.

كان عدد هذه الرسائل ١٢ رسالة كاملة، لم تترك صغيرة ولاكبيرة جرت بين «ساسون» و«عبدالمنعم مصطفى» أو باقى أعضاء الوفود العربية إلا ورصدتها وسجلتها بالكامل.

وربما كان كتاب «عادل مالك» هو المصدر العربى الوحيد الذى كشف النقاب عن تفاصيل ماجرى فى لوزان، ورغم مرور كل هذه السنوات- عشرين سنة بالضبط- لم تستفز هذه الرسائل بمحتوياتها وأسرارها أحداً من الباحثين أو المعنيين بالسياسة بتكذيبها أو بتأييدها!!.

صدرت فى صمت وطواها النسيان!!.

لكن يختلف الأمر تماما بالنسبة لإسرائيل.

كان رئيس الوزراء الإسرائيلى «ديفيد بن جوريون» على معرفة بكل مايجرى، ولم تكن رسائل «ساسون» غائبة عنه.

هذه الرسائل تجد لها متسعاً من مذكرات «بن جوريون» [يوميات الحرب] وطوال محادثات «إلياهو ساسون» مع «عبدالمنعم مصطفى» كان «ساسون» حريصاً على أن يبلغ ديفيد بن جوريون بتفاصيل هذه المحادثات عبر برقيات مطولة ورسائل مسهبة!!.

وفى مـذكرات «ديـفيد بـن جوريون» الـتى أسـماها (يـوميـات الحرب ١٩٤٧ - ١٩٤٩) سنجد بعض التفاصيل الهامة عما دار بين «ساسون» و«عبدالمنعم مصطفى».

فى يوميات الثانى من يونيو ٤٩ (يوم الخميس) كتب «بن جوريون» يقول:

ليس جـميع الجالـسين فى لوزان سـوى أبواق لشخـص ما ، ولايوجد أى عـنصر مستقل، يزعم المندوب المصرى (عبدالمنعم مـصطفى) أنه لايملك تفويضاً للبحث فى السلام، بل فى مسـألة اللاجئين، أنهم يدركون أنهـم خسروا الحرب، وخلال الأعوام العشرة المقبلة ستكون لنا اليد الطولى، إذا شئنا الذهاب حتى الليطانى والقنيطرة لكن إذا توسعنا سنختنق(!!).

حدّد «ساسـون» لقاء مع «عـبدالمنعـم مصطفـى» مندوب مصـر ليوم أمس، لـيس معروفاً بعد ماذا حدث هناك، وكان «لجون كمحى» حديث مع «منعم» هذا وقال:

- إن العرب سيصرون على إعادة اللاجئين العرب إلى إسرائيل!.

- وعندما قال له «كمحى» هذا مستحيل، يافا واللد وغيرهما أصبحت آهلة:

أجابه «عبدالمنعم مصـطفى»: لايهمنها لو قتل اللاجئون جميـعاً، هناك ما يكفى من العرب.

فى ذلك اليوم أرسـل إ. ساسون من باريس تقريراً يـتعلق باجتماعـه إلى المندوبين من مصر والأردن.

وفى يوميات الخامس من يونيو ١٩٤٩ (يوم الأحد) كتب «بن جوريون» يقول:

أرسل «ساسون» بـرقية من باريس (٢/ ٦/ ٤٩) اجتـمع فى باريس إلى عبـدالمنعم (مصر) ومندوب شرق الأردن. يستنتج من هذه المحادثات:

أ - تم التوصـل بواسطة إنجلـترا إلى اتفاق بين مـصر وشرق الأردن على تـقاسم جنوب أرض إسرائيل بينهما، وستحصل مصر على جنوب النقب ابتداء من بئر السبع،و سـيحصل شرق الأردن على جنوب النقب ابـتداء من غزة حتى مغدال والبحر الميت.

ب - أمريكا تعلم بهذا الاتفاق وتوافق عليه فى جوهره لافى تفصيلاته!.

ج - إلى حين نجاحهما فى تطبيق الاتفاق، توافق مصر وشرق الأردن على المحافظة على خطوط الهدنة، وتلتزمان عدم دخول مفاوضات منفردة مع إسرائيل.

د - مشكلة اللاجئين ليست سوى أداة تكتيكية للضغط على إسرائيل وامتلاك عطف العالم.

برقية ثانية من ساسون فى اليوم ذاته تتعلق بالحديث مع «عبدالمنعم» جرى الحديث فى اللوتيرى (مركز اليانصيب) تكلم «منعم» بصراحة:

١ - إن الدول العربية غير مستعدة فى المرحلة الحالية لتوقيع صلح مع إسرائيل.

٢ - إن لجنة التوفيق ستضطر إلى طرح كل اتفاق يتم التوصل إليه فى لوزان للمناقشة فى الأمم المتحدة وإقراره فى سبتمبر ١٩٤٩، وفى حال إقراره سيصبح سارى المفعول من دون توقيع الفرقاء.

٣- بعد ذلك تستطيع إسرائيل بدء مفاوضات منفردة مع كل دولة عربية على حده، وتنشئ علاقات اقتصادية ودبلوماسية.

٤- إن الدول العربية مصممة على عدم الموافقة على أية حدود تتجاوز نوعاً وحجماً حدود ٢٩ نوفمبر (١٩٤٧) وإذا طالبت إسرائيل بالجليل الغربى والأوسط، ستضطر إلى التعويض فى مكان آخر.

٥ - إن مصر لن تتخلى عن غزة، كما أنها ستطالب بإصرار بالحصول على جنوب النقب ابتداء من المجدل حتى البحر الميت (مشروع برنادوت) وعلى حد قوله (أى عبدالمنعم) فإن الأمريكيين يؤيدون ذلك.

٦- يرفضون مشروع أثريدج الخاص بغزة واللاجئين.

٧- إن موقف الدول العربية من إعادة اللاجئين موقف تكتيكى، فهذه المسألة لاتضغط على الدول العربية كثيراً، لأن من الواضح أن إسرائيل لن تقبل إلا قسماً صغيراً، وهناك مشاريع تنمية أمريكية.

٨- إن لدى الوفود تعليمات بعدم مغادرة لوزان إلا بعد أن تقترح لجنة التوفيق العودة.

٩ - إن كل ضغط يهدف إلى تغيير الموقف العربى يجب أن يكون موجهاً إلى الدول لا إلى الوفود العربية، لأن هذه لاتملك سوى سلطات محدودة.

انتهى ماكتبه «بن جوريون» فى يوميات الخامس من يونيو (ولاحظ غرابة صدفة التاريخ) لكنه يعود فى يوميات ٩ يوليو ١٩٤٩ ويكتب قائلا:

يعتقد «ساسون» أن لا أمل بالتقدم فى «لوزان» يعتقد ساسون أن لاخوف من قيام العرب بمحاربتنا خلال ٣-٤ أعوام، حتى لو لم يحل السلام، إن ممثلى اللاجئين يضغطون على العرب ليعقدوا سلاماً، وبالتالى من أجل حل مشكلتهم، لكن ليس هناك دولة تريد أن تكون البادئة، كما أنه ليس هناك اعتراف، وحده (حسنى الزعيم) حاكم سوريا أذاع فى حديث مع مراسل سويسرى أنه يريد السلام مع إسرائيل.

فى رأيى أن ثمة ضرورة للتمسك بهذا التصريح. إن مجرد حقيقة أن الزعيم مستعد لعقد هدنة تقضى بانسحاب كامل إلى خلف الحدود، يشكل دليلا على سبب رغبته فى علاقات جيدة بنا. هل بسبب النزاع مع العراق؟! كما أن مصلحة فرنسا صديقة حسنى الزعيم تتطلب سلاماً بين سوريا وإسرائيل، وإذا وقع خلال هذا الأسبوع اتفاق الهدنة بيننا وبين سوريا، فمن المرغوب فيه أن يتوجه ساسون إلى دمشق كى يتفحص الأرضية.

وهكذا لم يكن «ساسون» يتحاور مع «عبدالمنعم مصطفى» وحده بل إنه كان مطلوباً منه أيضاً جس نبض زعيم الانقلاب الجديد فى سوريا «حسنى الزعيم»!.

وتلك حكاية أخرى وكان «لعبدالمنعم مصطفى» رأيه وتحليله أيضاً!.

■ ■

والآن إلى رسائل «ساسون» لوزير خارجيته «شاريت» بكل التفاصيل والأسرار التى حملتها!.

أرسل «ساسون» إلى وزير خارجيته ١٢ رسالة، كانت الرسالة الأولى بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٤٩، وكانت آخر رسالة تحمل تاريخ ٨ سبتمبر ١٩٤٩.

لم تتضمن الرسالة الأولى شيئا يذكر عن «عبدالمنعم مصطفى» لكنها تضمنت ماهو أخطر وأكثر إثارة. لقد كشفت هذه الرسالة التى بعث بها «ساسون» عن تفصيلات الدور الذى لعبه المستشار الصحفى للملك «فاروق» وهو «كريم ثابت» وكان خافياً عن الكثيرين (راجع الفصل الأول).

وإلى رسالة ساسون «الثانية» والتى خصصها بالكامل «لعبدالمنعم مصطفى».

وكانت بتاريخ أغسطس ١٩٤٩.

كان «ساسون» حريصاً على أن يخبر وزير خارجيته بأنه بعد استئناف المحادثات فى لوزان حدث تبدل كبير نحو الأفضل فى موقف الوفد المصرى. فهو يبدو إيجابيا أكثر، ويتصل بى من حين لآخر «عبدالمنعم مصطفى» رئيس الوفد، ويسأل عن صحتى وصحة أصدقائى، ويقترح أن نلتقى، كما يسأل عما إذا كنا راضين عن مثوله أمام اللجنة وعن مثول زملائه أمام اللجنة العامة.

وهو (عبدالمنعم مصطفى) يذكر دائما عملنا الناجح والمشترك فى رودس، ويقترح تجديد تلك الأيام فى «لوزان»!.

ويعلق ساسون على إيجابية الموقف المصرى بقوله:

«يصعب علىّ الآن تحديد ما إذا كان العامل الذى يدفع إلى هذا التبدل تكتيكياً ومخادعاً أم جدياً، إلا أنه فى مطلق الأحوال يساعد كثيراً على تحسين الجو، وتوثيق العلاقات، وتوجيه المحادثات».

ثم يضيف «ساسون» فى نفس الرسالة المؤرخة فى أغسطس ١٩٤٩ قوله:

فى الاجتماع الأخير بين الوفود العربية واللجنة لبحث اقتراحنا حول حل شامل لقضية اللاجئين، فاجأها «عبدالمنعم» كلها فقد كان أول من بادر إلى الكلام فأعرب عن موافقته الشخصية على الاقتراح، وطلب إمهاله بضعة أيام للحصول على موافقة

حكـومته، واضطـر رؤساء بقـية الوفود الـعربية الـذين تحدثـوا بعده، إلى أن يـحذوا حذوه.

وفى نفـس الرسالة يكـشف ساسون عن أزمة خـطيرة كادت أن تحدث بـين الملك فاروق وبين عبدالمنعم مصطفى بسبب «ساسون» نفسه!!.

كانت الأزمة وحسب رواية إلياس ساسون لها جرت وقائعها على النحو التالى:

فى حديـث دار منذ بضـعة أيام بيـنى وبين عبدالمـنعم- كنـت قد أبرقت لـك عنه بشكل خاص- روى محدثى القصة التالية لدى زيارته لمصر، أيام توقف عمل اللجنة استقبله الملك فاروق مدة عشرين دقيقة.

وقد اهتم الملك بمعرفة أمرين:

أ - لماذا يشكو منه أعضاء لجنة التوفيق الأمريكيون، ويطلبون استبداله؟.

ب - لماذا يـظهر سـاسون تشـاؤما، ويعـتبر موقـف الوفد المـصرى سبـبا فى فـشل محادثات لوزان؟.

وردا على سؤاله: من أين لجلالته هذه المعـلومات، حول تشاؤم ساسون ومخاوفه، أخذ الملك ورقة بيضـاء من على مكتبه وناوله إياها قائلا: «خـذ واقرأ» لقد كانت هذه رسالتى المعروفة إلى الكولونيل إسمـاعيل شرين، زوج الأميرة فوزية. وقد أعربت فى هذه الرسالة، كما أذكر عن مخاوفى إزاء مصير محادثات لوزان، ودعوت شيرين كى يحضر إلى أوروبا لنتشاور معا.

وتابع عـبدالمنعم قـصته قائلا: «سـامحك اللـه على هذه الرسـالة. لقد أحرجـتنى، ولكن لمـا أعرف ثقة جـماعتنا فـى مصر بك، رأيـت ألا أعترض علـى أقوالك، أو أن أشكو منك، بل أن أجد ذريعة تمكننى من اصطياد عصفورين بحجر واحد:

أ - التخلص من الورطة بسلام.

ب- الوفاء بوعد قطعته للسيد شاريت، ولم أستطع الوفاء به حتى الآن.

قلت لـلملك: «كـنت حريصاً قـدر الإمكان، منذ وصـولى إلى لوزان، عـلى ·
رؤية ساسـون، وخلق انطبـاع لديه بأنـه لامبرر للقـاء بى. والسبب بـسيط: فقـد ك
أخجـل من أن أنظر إلـى وجهه. ذلـك أنه عنـدما كنا مـعا فى رودس، وعـدت ،
طريقه، السيد شاريت بأن أوصى حكومة مصر بأمرين:

أ – إطلاق سراح يعقوب وايزمن فورا بسبب مرضه الشديد والخطير.

ب–إطلاق سـراح بقيـة المعـتقلـين اليهـود تدريجـياً. ولكـنى لـم أنجح فى الـو
بوعدى، وهذا لايليق بى.

وأضاف عبدالمنعم: لدى سماعـه جوابى الذى قلتـه بأسف وتواضع كبـيرين.
الملك رأسه وقـال: «لاتقلق، ستفى بوعـدك فى أقرب وقت. قل لليـهود فى لوزاد
حكومتـى تؤيد السلام والاستـقرار فى الشرق بأسـره، لكن ينبغـى ألا يضغطوا ع
لتوقيع مـعاهدة سلام، فذلك أمر لايمكن تنـفيذه خلال الأشهر القريبة بـسبب الو
الداخلى فى مصر والعالم العربى بأسره».

روى عبدالمنـعم هذه القصة علـى مايبدو، ليثبـت لى أنه لا أساس للشائـعات
بلغتـنا، وتحدث عنها «صوت إسـرائيل» وتتعلق بـاستعدادات مصر لتـجديد الـحـ
عاجلا أم آجلا. «تشترى مـصر فعلا، فى الآونة الأخيرة، كميات كبـيرة من الأسـلـ
لكن دون أية علاقة بالـوضع فى فلسطين، بل لأغراض داخلية وعـربية محضة، و
أجل إعادة تنظيم الجيش، والهيبة فى الداخل والخارج على السواء».

■ ■

وفى نفس هذه الـرسالة الثانية أشار «ساسـون» إلى باقى الموضوعات التـى تنـا
الحديث مع «عبدالمنعم مصطفى» فقال:

لقد تحدث عبدالمنعم أيضا عن المشاورات العديدة التى أجراها خلال زيارته لمـ
مع رئيس الحكومة، ووزير الخارجية، ومندوبى الدول العربية، وعزام باشا، وكان ا
الجميع كرأى فاروق، إنه لابد من إيجاد سبيل للتسوية، ومخرج مشرف. لكن الـجـ

يتهموننا بأننا توجهنا إلى الهاشميين، وكأن بيننا وبين عبدالله اتفاقيات سرية، سياسية وعسكرية، بمعرفة البريطانيين وموافقتهم.

ويبدو أن عبدالمنعم سمع عن رغبتنا فى إجراء اتصال مع رئيس الجمهورية السورية، حسنى الزعيم، فقد أكد عدة مرات خلال الحديث،أن للملك فاروق، تأثيرا على الزعيم. وأن الزعيم نفسه رجل شجاع وجرئ، ولكنه أيضا- أضاف- متقلب ويصعب الاعتماد عليه بشكل كامل. ويصعب على عبدالمنعم مثلا، الجزم بأنه لاتوجد قوة أجنبية تقف من وراء الزعيم اليوم، وهذا الشكل يقلق مصر.

وتكلمنا، خلال الحديث، عن اجتماع اللجنة السياسية للجامعة العربية. إن محدثى لايعلق على هذا الاجتماع أهمية كبيرة. كذلك تحدثنا عن الجمعية العمومية (للأمم المتحدة) ، فقال إن فى نيته أن يشرح للأمريكيين ضرورة العمل فى لوزان، وكأنه ليس هناك جمعية عمومية. كذلك يستحسن الحيلولة دون أى صدام جديد بين ممثلى إسرائيل وممثلى الدول العربية، على المنصات الدولية فى ليك سكسيس وجنيف وأماكن أخرى.

وفى نهاية الرسالة كان «ساسون» حريصاً على إبلاغ «شاريت» بأمرين لهما دلالتهما:

* الأمر الأول هو أن عبدالمنعم مصطفى «يبعث بتحياته لشاريت وإلى أعضاء الوفد»!

* والأمر الثانى أن عبدالمنعم مصطفى استحلف ساسون بأولاده أن يحافظ على سرية لقائنا وحديثنا.

■ ■

وفى ٣ أغسطس ١٩٤٩ كان «إلياس ساسون» قد كتب رسالته الثالثة إلى «شاريت» واختص الجزء الأكبر منها بالحديث عن «كريم ثابت» مستشار الملك، ثم تطرق الخطاب إلى رئيس الوزراء الجديد «حسين سرى باشا»، ورأى عبدالمنعم مصطفى فيه، وجاءت سطور رسالة «ساسون» بالنص كما يلى:

«وبناء على كلام «عبدالمنعم مصطفى» ، كان «حسين سرى باشا » رئيس حكومة مصر الجديد، بين أولئك الذين عارضوا، فى حينه، اشتراك مصر فى حرب فلسطين، وربط مصيرها السياسى بمصير الدول العربية. وهو اليوم أيضا بين أولئك الذين يعارضون تقوية الجيش المصرى، ويطالب بإنفاق عشرات ملايين الليرات على محاربة الفقر والأمية فى مصر. وهكذا يمكن افتراض أن الأمر إذا وقع بين يدى «حسين سرى» سيجد آذانا صاغية وأيدى أمينة».

وفى نهاية الخطاب يؤكد «ساسون» لشاريت على أن : لايزال «عبدالمنعم مصطفى» يتصرف بشكل جيد، ولايمر يوم دون أن يتصل بى هاتفياً مرة أو مرتين يسأل عن سير الأمور.

■ ■

وبعد ٢٤ ساعة بالضبط وبتاريخ ٤ أغسطس ١٩٤٩ كتب «ساسون» الرسالة الرابعة إلى شاريت، جاءت الرسالة بمثابة محضر الاجتماع الذى جرى بين ساسون وروبين شلواح (عضو الوفد الإسرائيلى) مع عبدالمنعم مصطفى.

هذه الرسالة بالتحديد ونظراً لأهميتها وخطورتها، فمن الضرورى قراءتها كاملة، وجاءت الرسالة على النحو التالى:

موشيه العزيز. وافر التحية:

لقد تحدثت ورؤوبين، خلال ساعتين تقريبا، مع رئيس الوفد المصرى «عبدالمنعم مصطفى» . وفى بداية الحديث، أعرب كل جانب عن رغبته فى السلام، وعن استعداده للمساعدة قدر المستطاع على دفع محادثات لوزان وإنجاحها. وتطرق الجانبان إلى الفوائد التى تنجم عن ذلك بالنسبة إلى مصر وإسرائيل والشرق بأسره، وإلى إمكانات التعاون فى المستقبل. والحق أن هذا الكلام كان عاما، إلا أنه كان هناك شعور بأنه لم يكن مجاملة ورياء، بل قيل عن يقين وإيمان.

لقد تطرق الحديث مثلا إلى الوضع السياسى والأمنى فى الشرق الأدنى. واستنتج الطرفان أن الشرق لم يكن بحاجة إلى الاستقرار مثل هذه الفترة. وأن باستطاعة

إسرائيل ومصر، إذا توصلنا إلى تفاهم فيما بينهما، أن تقدما مساهمة كبيرة وبناءة فى سبيل استقرار الشرق وتطويره وتقويته.

وتحدث «عبدالمنعم» عن مثوله أمام اللجنة وعن «موافقته دون تحفظ » على شرطينا المتعلقين ببحث قضية اللاجئين.

وكان مسرورا من أننا لانصر على توقيع معاهدات سلام فى لوزان. وليس هذا مرونة من جانبنا، بل يدل على أننا نفهم الشرق والاتجاهات فيه، ونبحث عن سلام حقيقى لا عن قطعة ورق.

وعرض رؤوبين بناء على طلبه، تفاصيل الجلسة التى عقدناها مع اللجنة فى الثالث من الشهر الجارى، حول قضية اللاجئين، وأشار إلى مدى المساهمة من جانبنا فى سبيل حل شامل للقضية. وشرح له الدوافع التى حملتنا على إقرار هذه المساهمة، والعقبات الأمنية والاقتصادية وغيرها التى تجعلنا نعتبرها أقصى ما نستطيع.

لم يعترض عبدالمنعم على ذلك، لكنى أعتقد أنه لايمكن اعتبار صمته موافقة تامة، ولعله لم يجد مناسبا أن نناقش الأرقام ونحن نتكلم عن مبادئ وجهود مشتركة.

وسأل عما إذا كان باستطاعتنا أن نقدم له تفاصيل عن فئات اللاجئين الذين ننوى قبولهم، وما إذا كنا قد حددنا موقفا من هذا الأمر، فأجبنا أن خبراءنا يدرسون حاليا هذه المسألة وسيصل قريبا السيد ليفتيتس، رئيس الخبراء، إلى لوزان ومعه جميع التفاصيل المطلوبة. ولكننا - أضفنا- لانستطيع قبول رفض العرب الاجتماعات المشتركة، فهذه الاجتماعات ضرورية لمعالجة جوهر القضية، ولتحسين الجو العام فى الدول العربية ولوزان. وقد وافق على ذلك، وتعهد ببذل المساعدة فى هذا الصدد.

وتناول الحديث بعد ذلك موضوع الحدود. وأكدنا أنه يستحسن - وإن لم يحن الوقت لذلك - أن يدرك كل جانب وجهة نظر الآخر بأسرع ما يمكن. وكررنا شرح موقفنا بالنسبة إلى نقاش منفصل مع كل دولة عربية على حدة، وحاولت أن أثبت أن ذلك ليس منطقيا ومفيدا فقط، بل ينطوى على مصلحة حيوية لنا وللعرب أيضا. وقد وافق، ولكنه أضاف أن هناك بعض المسائل الموضوعية التى تحتم عليه الاستمرار فى

المثول أمام اللجنة مع بقية رؤساء الوفود العربية، ومعالجة أمور لاتتعلق مباشرة بمصر، مثل : بروتوكول ١٢ آيار (مايو) (بروتوكول لوزان) ، وتفويض قضية القدس والأماكن المقدسة إلى اللجنة، والمصير السياسى للأجزاء العربية فى فلسطين، وغير ذلك، ولكنه سيأخذ موقفنا بعين الاعتبار، وسيحاول تكييف نفسه مع هذا الموقف. وسيستخدم جميع صلاحياته لدفع محادثات لوزان وإنجاحها.

ثم تحدثنا عن مطاليب بلده الإقليمية، وهو لاينكر أنه قال لنا خلال محادثات رودس إنه ليس لبلده أية مطامع إقليمية فى فلسطين. لايزال هذا الموقف قائما، لكن العبرة التى انتهى إليها بلده من اشتراكه فى حرب فلسطين، تحتم عليه الاهتمام بأمنه. وقد أجرت حكومته، خلال الأشهر الستة الماضية، استشارات بهذا الشأن مع عدد من الخبراء العسكريين- أمريكيين وبريطانيين وفرنسيين وبلجيكيين وسواهم- فقالوا جميعاً إن على بلده:

أ – الاستمرار فى الاحتفاظ بقطاع غزة.

ب – توسيع مساحة هذا القطاع من الجنوب والشمال على طوال الحدود المصرية.

ج – توسيع حدوده حتى البحر الميت، بناء على خط يشمل المجدل وبئر السبع.

د – أن يضم إليه النقب الجنوبى.

إن بلده بحاجة إلى (ج) و(د) لأغراض أمنية، وللاتصال المباشر أيضاً بالأردن وبقية الدول العربية. وليست هذه فى الواقع المرة الأولى التى يثير فيها «عبدالمنعم» هذه المطاليب الإقليمية ، فقد سبق أن أثارها فى الماضى مرات عديدة أمامى وأمام الدكتور«إيتان»، وكذلك أمام الزميل «طوبيا أرازى» (موظف فى القسم السياسى فى الوكالة اليهودية بين ١٩٣٨ - ١٩٤٨، ثم فى وزارة الخارجية) فى ليك سكسيس، ولكن الفرق هو التالى: فى الماضى عرض مطالبه بشكل متصلب، وكشرط لايمكن تجاوزه للتوصل إلى سلام بين إسرائيل ومصر، وعرضها هذه المرة بطريقة لبقة وبشكل يفتح بابا للمساومة. بدأنا مثلا بالاعتراض على افتراضات الخبراء العسكريين، وشرحنا له أنه ينبغى عدم التحدث فى ذلك، أجاب: ماذا تقترحون مقابل

ذلك؟ لنجد حلا وسطا. ولم نجب، بل واصلنا الحديث عن استحالة مطاليبه، فأدار رأسه نحوي، وكرر القول عدة مرات: جد لنا تسوية.

رأيت ورؤوبين عدم الاستمرار في الحديث حول هذا الموضوع والاكتفاء، في الوقت الحاضر، بما أسمعنا وسمعنا. سأحاول الاجتماع به قريبا، مرة أخرى، وجعله يسير في الاتجاه السليم إذا أمكن.

لم أحاول بعد الاتصال بعرب آخرين.

■ ■

ثم جاءت الرسالتان «الخامسة والسادسة» من رسائل «ساسون» إلى «شاريت» وقد خلتا تماما من اسم عبدالمنعم مصطفى، لكنها تطرقت إلى موضوعات أخرى لاتخلو من الأهمية والخطورة (الرسائل منشورة ضمن ملاحق هذا الكتاب بالكامل).

أما الرسالة السابعة والتي كتبها «ساسون» بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩٤٩، فلم يأت فيها ذكر «عبدالمنعم مصطفى» رئيس الوفد المصري إلا في سطور قليلة تقول كلماتها:

أفكر في دعوة «عبدالمنعم مصطفى» رئيس الوفد المصري هذا الأسبوع، وسأحاول أن أعرض عليه إجراء مفاوضات مباشرة خارج كواليس لجنة التوفيق على غرار المفاوضات التي أجراها في حينه الدكتور «إيتان» مع «فوزي الملقي». (وزير الدفاع الأردني).

إذا نجحنا في ذلك سنبلغك تلغرافياً ونطلب تعليمات.

وبعد ٤٨ ساعة تسلم شاريت الرسالة الثامنة (بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٩). من ساسون ، وكانت الرسالة بالكامل مخصصة لموضوع الانقلاب الذي حدث في سوريا [يقصد انقلاب حسني الزعيم]، وكان واضحاً أن هذا الانقلاب المفاجئ كان بمثابة «اللغز» جديد!!.

وجاءت رسالة «ساسون» على النحو التالي:

تحدثت ورؤوبين اليوم نحو ساعة مع «عبدالمنعم مصطفى» ، بالنسبة إلى الانقلاب في سوريا، قال إنه من السابق لأوانه استخلاص أن يحدد في هذه اللحظة ما سيكون موقف بلده منهم. ولكن ، على قدر ما يعرف، لم تكن الأمور على ما يرام خلال فترة حكم الزعيم القصيرة. فقد ازداد الفساد وتغلغل حتى في منزله. وحصل (٠٠٠) سكرتيره (٠٠٠) في فرنسا على رشوة بعشرات الآلاف من الليرات لتوقيع اتفاقيات لشراء أسلحة. أضاف محدثنا: ولكن الأعضاء الأمريكيين في لجنة التوفيق في لوزان يأسفون جدا لما حدث في سوريا. ومنذ وقت قصير فقط توصلوا - على حد قولهم- إلى اتفاق مع الزعيم لاستيعاب عدد كبير من اللاجئين، ومن الصعب أن يعرفوا الآن كيف ستتطور الأمور.

وسأل «عبدالمنعم» ، بعد ذلك عن رأينا في إثارة قضية فلسطين في الجمعية العمومية. قلنا إن هذه المحاولة ستعطل محادثات لوزان، وستعكر الجو، وستؤدي إلى تأزم العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل من جديد، وستزيد من آلام النازحين، وسترجئ التسوية النهائية إلى وقت بعيد. وشرحنا الفرق بين الحل المتفق عليه والحل المفروض، وقلنا إننا نفضل عدم إثارة القضية في الجمعية العمومية، حرصا على كل ذلك.

ورداً على ملاحظة محدثنا، قلنا إن الأمر يتوقف أساسا على موقف لجنة التوفيق. وأنها - بحسب ما نعرف- غير مخولة بوقف محادثات لوزان مادام الفريقان موافقين على استمرارها لإيجاد حل متفق عليه.

بعد هذا الحديث ، وجه إلينا محدثنا، بما يشبه المزاح ، السؤال التالي: هل تودون البقاء هنا في لوزان طوال الشتاء ؟ أجبنا: لا. ولكن لن نتردد إذا اقتضى الأمر ذلك.

وشكرناه على إثارة هذا السؤال، وقلنا إننا كنا نفكر، عند مجيئنا اليوم لنتحادث، في أن نعرض عليه محادثات منفصلة جدية خارج كواليس اللجنة، سواء واصلت هذه عملها أو أوقفته. إذا استمرت، فإن محادثاتنا المنفردة ستسهل عملها. وإذا توقفت سنضمن لأنفسنا مواصلة الاستيضاحات، والجهود المشتركة للتوصل إلى تسوية نهائية.

وأجاب «عبدالمنعم»، دون تردد، أنه مستعد لذلك. وحددنا الاستيضاح الأول يوم الجمعة المقبل، ٢٠ من هذا الشهر. الموضوع الأول: المذكرة الأخيرة للجنة حول قضيتى اللاجئين والأراضى. ووافق معنا على أنه كان من الأفضل إعطاء أجوبة متقاربة أو منسجمة إذا أمكن. وهو يرى مثلنا أن مثل هذه الخطوة قد يرضى اللجنة ويدفعها إلى مواصلة عملها.

وتحدثنا أيضاً عن اللجنة المشتركة التى تألفت أمس، لاستجلاء مسألة الأموال المجمدة، وطلبنا أن يصدر تعليمات إلى ممثله فى اللجنة ليكون مرنا جدا: أولا، أن يسعى لإنجاح عمل اللجنة. ثانيا، أن يبرهن أنه كلما جلس العرب والإسرائيليون حول طاولة واحدة وتناقشوا وجها لوجه، فإنهم يفهمون بعضهم أكثر فأكثر، ويتوصلون إلى حلول متفق عليها ومرغوب فيها. فوعد بالقيام بما هو مطلوب.

وخلال الحديث حلل عبدالمنعم موقف أعضاء اللجنة بالنسبة إلى الذهاب إلى الجمعية العمومية. والجدير بالذكر أنه توصل إلى نفس الاستنتاجات التى توصلنا إليها خلال المشاورات التى أجريناها منذ يومين مع «جدعون رفائيل» والتى كتب إليك رؤوبين عنها بصورة خاصة، وأبلغنا «عبدالمنعم» أيضا، خلال الحديث، أن حكومته قررت بفضل جهوده، منح تأشيرات دخول إلى ممثلينا فى مؤتمرى الصحة والتغذية الدوليين اللذين سيعقدان قريبا فى مصر، ومعاملتهم بكل لطف . وقد أبرقنا لك عن ذلك بصورة خاصة. كما أبرقنا بشأن اجتماع يوم الجمعة وطلبنا التعليمات.

■ ■

جاءت الرسالة التاسعة من رسائل «ساسون» إلى «شاريت» خالية تماماً من أى ذكر لعبدالمنعم مصطفى ، وشملت حواراته مع اللبنانى المحامى «نمر الهوارى» ثم تأتى الرسالة العاشرة حافلة بالأسرار والمعلومات، وكانت الرسالة مؤرخة بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٤٩ وتقول:

قضينا -رؤوبين وأنا- يوم الجمعة، ١٩ من هذا الشهر، نحو سبع ساعات بصحبة «عبدالمنعم مصطفى» رئيس الوفد المصرى، فى بلدة صغيرة بالقرب من لوزان تدعى

«لافيثيرت». وكان الغرض من الاجتماع الاستفسار مباشرة، عن مطاليب كل فريق، وعما إذا كان ثمة مجال لتسوية متفق عليها بيننا وبين المصريين. وكذلك لمحاولة تحديد وسائل استمرار المحادثات المباشرة فى المستقبل، إذا ما اتخذت لجنة التوفيق قراراً بوقف العمل فى لوزان بصورة مؤقتة أو دائمة. وقد أجرينا، فى الوفد، مشاورات قبل الاجتماع، وحددنا لأنفسنا بعض الأسس والمبادئ والمقترحات.

وفى بداية الحديث، طلب «عبدالمنعم» أن نكون صريحين، وأن يكشف كل فريق أوراقه. فهذا هو أسلوبه فى حياته الدبلوماسية. ثم دعانا لنكون البادئين. حددنا، على جدول أعمال، ثلاث نقاط للتوضيح هى: الحدود، اللاجئون، التعاون الاقتصادى. وأكدنا أننا نعتبره ممثل مصر، وليس ممثلا للعالم العربى، وأننا نريد أن نستجلى معه الأمور التى تخص إسرائيل ومصر فقط، لا العالم العربى بأسره، فوافق.

وشرح «رؤوبين» أهمية النقب بالنسبة إلينا من جميع النواحى، وحاول أن يبرهن أنه لا أساس لمطالبة مصر بالنقب لدواعى الأمن أو الامتداد الإقليمى، حتى لو حاولت مصر الحصول على النقب فلن تضمن أمنها من جانب إسرائيل. وفى ختام كلامه، توصل رؤوبين إلى استنتاج أن الطريق السليم إلى ذلك هو: اتفاقية عسكرية بين إسرائيل ومصر.

وقد اقترح من أجل ذلك، إجراء توضيحات ومشاورات بين عسكريينا وعسكرييهم. وأراد رؤوبين، بكلامه هذا، نفى افتراضات الخبراء العسكريين الأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين والبلجيكيين، التى أشار إليها «عبدالمنعم» فى حديث سابق، ورفض خطتهم الدفاعية من أساسها.

وبعد ذلك، دار نقاش استغرق ساعات اللقاء، ولم يسفر عن أية نتائج إيجابية. بل على العكس ، فقد أظهر أن البعد شاسع بين وجهات نظر الفريقين. وأظهر أيضا أنه حدث تغير نحو الأسوأ فى موقف مصر فى الأيام الأخيرة. وقد اتضح فى أثناء الحديث أن «عبدالمنعم» أجرى محادثات مع «بورتر وروكويل»، ويبدو أن الأول قال: ليس هناك احتمال لانتزاع النقب من إسرائيل، أما جزء منه فنعم.

وقال «عبدالمنعم» رداً على كلام رؤوبين،إنه لاحاجة إلى مشاورات عسكرية. فالسياسيون هم الذين يحددون، وبصورة عامة، سياسة الدولة لا العسكريون، فوظيفة هؤلاء تنحصر فى التنفيذ فقط. إذ يطلب منهم إذا ما هاجمت دولتهم أو هوجمت، وضع خطط الهجوم أو الدفاع وتنفيذها. وهو يأسف كثيراً عندما يرى رجال الجيش فى سوريا يتدخلون فى الشئون السياسية، ويحاولون فرض سلطتهم على شعبهم، فهذا خطير جداً، ويضع أسس الدولة ويحرمها الاستقرار. هذا أولا، وثانيا: أن السياسة المصرية قائمة على أمرين:

أ - إقامة حاجز بين إسرائيل ومصر، وبينها وبين شرق الأردن. ويمكن تحقيق ذلك بجعل النقب، الشمالى والجنوبى، عربيا. عربيا فلسطينيا، وليس عربيا مصريا، أو عربيا أردنيا.

ب - تحسين العلاقات السياسية والأقتصادية بإسرائيل تدريجيا. مثلا: يسمح اليوم لمندوبى إسرائيل بدخول مصر والاشتراك فى المؤتمرات الدولية التى تعقد فى الإسكندرية أو فى أية مدينة مصرية أخرى، وغدا يلغى تفتيش السفن التى تمر فى قناة السويس فى طريقها إلى إسرائيل، ويسمح بعد غد، بالتجارة المحدودة، ثم الحرة بين إسرائيل ومصر، وهكذا لن تمر بضع سنوات، إلا وقد قامت علاقات طبيعية بين البلدين. وستدرك مصر، بمرور الزمن، أن إسرائيل أصبحت دولة دائمة، وأنه ليست لها أية خطط عدوانية، وسينسى الجمهور المصرى أحداث السنة الماضية الكئيبة.

وأضاف «عبدالمنعم»: أن إقامة الحاجز بين إسرائيل ومصر فى النقب بأسره، سيساعد ضمنا على أمرين آخرين:

١ - توطين جزء كبير من اللاجئين فى فلسطين بالذات.

٢ - جعل الأجزاء العربية من فلسطين جديرة بالاستقلال ، الأمر الذى سيمنع شرق الأردن من أن يضم إليه المثلث الفلسطينى، وسيساعد على المحافظة على الوضع الراهن فى العالم العربى.

وهو يؤمن بأنه يمكن، بمساعدة الدعم المالى، الأمريكى أو الدولى، توطين جميع اللاجئين الموجودين فى غزة ومصر والذين يصل عددهم، بحسب تقديره، إلى ٢٦٠ ألف نسمة، فى النقب، خصوصا النقب الشمالى الصالح بكامله للزراعة. ويصبح بالإمكان، إذا دعت الضرورة، نقل لاجئين إليه من أماكن أخرى. هذا أولا، وثانياً: بجعل النقب بأسره عربيا، وضمه إلى المثلث، سيكون بالإمكان تنفيذ قرار الجمعية العمومية الصادر فى ٢٩ تشرين الثانى (نوفمبر) بشأن إقامة دولة عربية مستقلة فى جزء من فلسطين، والحقيقة أن مثل هذه الدولة ستحتاج، فى سنواتها الأولى إلى مساعدة مالية دولية وعربية، لكن لاشك فى أنها ستتمكن من أن تعيل نفسها بنفسها، بعد مضى بضع سنوات.

وعندما أشرنا إلى أن معظم النقب يهودى بحسب مشروع التقسيم الصادر فى ٢٩ تشرين الثانى، أجاب أن هذا صحيح. لكن من الواضح له أن إسرائيل لن تتخلى عن الجليل الذى هو عربى بحسب التقسيم. وعندما شرحنا له ألايتوقع أن تتخلى إسرائيل عن شبر واحد من الأرض فى النقب، قال: إذا كان هذا هو الوضع، فلن يكون هناك أى أساس للتفاهم المباشر بين إسرائيل ومصر، ويستحسن إذن طرح الموضوع على الجمعية العمومية لحسمه. وأضاف أنه يأمل، إذا ما اتخذت الجمعية العمومية قراراً لصالح إسرائيل، أن تخضع مصر، وتوقف مطاليبها، وتجلو من غزة وضواحيها، وتعود إلى حدودها السياسية. ولكن -أضاف- لن يكون هناك احتمال للتفاهم والسلام والتعاون بين إسرائيل ومصر. ليس هذا فقط، بل ستبقى جميع احتمالات استمرار الحرب بين البلدين قائمة.

وهناك ثار قليلا وقال: فلتفهموا أن مصر لاتريد حدوداً مشتركة مع إسرائيل. ولو لم تقم إسرائيل لكانت مصر سعيدة. وقد فعلت كل ما فى وسعها لتحول دون قيامها. وهى مقتنعة أن دولة إسرائيلية غريبة عن العرب فى كل شئ، داخل المحيط العربى، ستبقى حتما عاملاً دائماً للنزاعات والتعقيدات وعدم الاستقرار فى الشرق. وأضاف: ربما كانت مصر مخطئة فى تقديراتها لطبيعة إسرائيل ونواياها. لكن من

المستحيل أن يقتلع، بالكلام فقط، اعتقاد مصر الخاطئ، على الأقل خلال فترة قصيرة. وقد شرح جميع هذه الأمور أكثر من مرة لاثريدج وبورتر ولكل أمريكي آخر تحدث إليه، كما أنه شرح للأمريكيين أن على الولايات المتحده، إذا أرادت أن تعيد ثقة العالم العربي بها وتوفر الاستقرار فى الشرق الأدنى على مدى الأيام، الاهتمام بألا تصبح إسرائيل دولة كبيرة، وألا تكون قوية، وألا يكون فيها عدد كبير من السكان اليهود. كما شرح لهم أن مصر لن تشعر، فى قرارة نفسها ، بأنها آمنة ومحصنة، وعلى حدودها فى النقب ثلاثة أو أربعة ملايين يهودى، كلهم ذوو ثقافة ومبادرة، وكلهم مستعدون للتضحية بأنفسهم.

وعندما شرحنا له أنه لايوجد أى أساس لمخاوف مصر، ولايوجد خطر اجتماعى أو عسكرى أو اقتصادى عليها من إسرائيل، قال إن المستقبل وحده سيثبت ذلك، لكن على مصر، كدولة مستقلة ، أن تأخذ فى الحسبان، ليس فقط «الاحتمالات المضيئة» بل «الاحتمالات المظلمة» أيضاً، وإلا فإنها ستخطئ بحق نفسها وأمام التاريخ . انتهجت مصر، عندما قررت منذ سنة ونصف السنة محاربة إسرائيل، سياسة متسرعة وغير مدروسة، والآن، حان الوقت لتجرى حسابها وتدرس مصالحها. وعندما قلنا له إننا سنتصرف فى الجمعية العمومية، بشكل مختلف، إذا حسمت الأمر لصالح مصر بالنسبة إلى قضية النقب: سنتمرد، ولن نتحرك من النقب لأنه حيوى جدا لنا، قال: افعلوا ما ترونه حسنا فى نظركم، فلكل طريقته فى حياته الخاصة والعامة.

لم يمكننا هذا النقاش حول النقب من أن نبحث مع محدثنا فى المشكلات الأخرى. وعندما حاولنا أن نفعل ، قال إنه لافائدة من ذلك.

وعندما اقترحنا تحديد اجتماع آخر، قال إنه مستعد للاجتماع بنا فى كل وقت. لكن، إذا كان هذا هو موقفنا، فمن الأفضل الاجتماع للتحدث فى مواضيع مختلفة لا فى الشئون السياسية. إلا أنه وعد بأن ينقل إلى حكومته مضمون حديثنا نصا وروحا.

■ ■

باختصار شديد كان «عبدالمنعم مصطفى» على حق عندما اعترف لساسون أن مصر كدولة مستقلة عليها أن تأخذ فى الحسبان ليس فقط الاحتمالات المضيئة، بل المظلمة أيضاً! !.

وعندما لـم يجد أية فائدة فـى زحزحة الموقف اليـهودى قال بحسم لـساسون: من الأفضل أن نتحدث فى مواضيع مختلفة لافى الشئون السياسية!!.

■ ■

ونصل إلى واحدة من أخطر الرسائل التى بعث بها «ساسون» إلى «شاريت» وهى رسالـته رقم «١١» فى هـذه الرسالـة يبدو واضـحاً جداً انزعـاج «ساسون» مـن عدم وجود مايبرر تسرع فـاروق لعقد حلف مع إسرائيل، لأنه يريد أن يـبدو كبطل قومى، لقد تـوصل «ساسون» إلى هذه الـنتيجة فى أعـقاب حواراته الطـويلة مع «عبدالمنعم مصطفى» وإلى رسالة ساسون الحادية عشرة والتى بدأها كما يلى:

لوزان ٢٩-٨-١٩٤٩.

إلى موشيه العزيز وافر التحية:

(T) كمـا وجدت صعوبـة فى الماضـى- أى قبل نحـو شهر- فـى أن أفهم معـنى التغـيير نحو الأحسـن الذى حدث فى موقـف مصر منا، أجـد صعوبة اليوم فـى فهم معنى مـوقف مصر الجديد والمفاجئ منا، الذى عبر عنه عـبدالمنعم فى حديثـه الطويل الأخير إلينا.

أعتقـد أنه لم يكن لـلمصادفة أى دور، لا فـى الماضى ولا اليـوم، ربما جاء التغـيير بمرور الزمن ونتيجة للظروف. ذلك أنه، عـندما استؤنف العمل فى لوزان، كان وضع الملـك فاروق سيـئا للـغاية، سواء فـى الداخل أو فـى الخارج، فى الـداخل، لم تـكن حكومـته تمثل الشعـب المصرى، ولم تكن مـقبولة منـه، كانت هذه «حكومـة شرطة» حكمت بـالقوة. فقد اضطـهدت خصومها واعـتقلتهم، وكـانت تحمى نفسـها برجال الشـرطة والمدافع. وفـى الخارج كان المـلك على خـلاف مع قوتـين كبيـرتين: الكتـلة الهاشمية فى العالم العربى، والكتلة البريطانية فى العالم الديموقراطى. وعملت هاتان الكتلتان على اخضاعه وربطه بعجلتيهما بجميع الوسائل المتوافرة لهما.

لكـن الوضع الـيوم تبدل كـليا تـقريبـا. ففى الـداخل، لدى فاروق الـيوم حكـومة ائتلافية تمثل تقريبا جميع التيارات الـسياسية فى البلد، وعلى رأسها «الوفد» وتريد أن

تجرى للشعب المصرى انتخابات برلمانية حرة، تمكنه (فاروق) من استعادة السلطة. وفى الخارج علاقاته بالهاشميين والبريطانيين آخذة فى التحسن من يوم إلى آخر. والدليل على ذلك الزيارتان الأخيرتان اللتان قام بهما الملك عبدالله ونورى السعيد إلى الإسكندرية، ومحادثاتهما الطويلة مع زعماء الحكومة والبلاط: عبدالرحمن عزام وسياسيين آخرين. كذلك الزيارات المتتابعة التى يقوم بها عبدالفتاح عامر ، مندوب مصر فى لندن، إلى وزارة الخارجية البريطانية.

وأعتقد أن ثمة سببين حملا البريطانيين وحلفاءهم المخلصين ، الهاشميين، على تحسين علاقاتهم بالملك فاروق:

(١) الاستنتاج الذى توصل إليه ممثلو انجلترا فى الشرق خلال مشاوراتهم الأخيرة فى لندن، إنه ينبغى تكتيل العالم العربى من جديد وربطه بالعجلة البريطانية، ومن أجل ذلك يجب إيجاد وسيلة للتفاهم والتعاون مع مصر.

(٢) الانقلاب الجديد فى سوريا الذى أسقط حسنى الزعيم، الذى كان قد أخذ على عاتقه محاربة الهاشميين والنفوذ البريطانى فى الشرق، وحل فى الحكم رجال جدد يرون أن مهمتهم الأساسية هى المحافظة على الوضع الراهن فى العالم العربى وعدم تفضيل دولة على أخرى فى علاقاتهم الخارجية. مثلا: مصر على شرق الأردن، أو فرنسا على بريطانيا.

واضح، من هذا الوضع، أنه ليس ثمة مايبرر تسرع فاروق لعقد حلف مع إسرائيل، بصورة أو بأخرى. ويبدو أنه يعتبر اليوم أن عليه الظهور مرة أخرى كبطل قومى، وتزعم أولئك السياسيين العرب الذين يواصلون الحديث عن مقاطعة إسرائيل وعن الحرب الباردة ضدها.

إننا ننتظر عودة «روبين» لنطلع على تعليماتك الجديدة، خصوصاً لمناسبة تصفية عملية لوزان فى هذه الأيام!.

«تحية وسلاماً»

«المخلص إلياس»

ونصل إلى آخر رسائل «ساسون» إلى شاريت!!.

كانت الرسالة رقم ١٢، وفى هذه الرسالة أسهب«ساسون» فى وصف المشاعر واللحظات الحميمة التى تخللت لقاءه مع «عبدالمنعم مصطفى» فقد كان الحديث على حد قوله «حديث وداع» بينهما!!.

اعترف عبدالمنعم مصطفى لساسون بأنه سوف يستقيل نهائياً من العمل السياسى، ثم يتفرغ لزراعة أرضه، كانت الرسالة مؤثرة وهامة ومن الضرورى قراءتها كاملة!.

وجاءت رسالة ساسون على هذا النحو:

لوزان ٨//٩/ ١٩٤٩.

إلى موشيه العزيز وافر التحية.

تحدثت اليوم مدة ساعة إلى «عبدالمنعم مصطفى» رئيس الوفد المصرى. وكان حديث «وداع» إذ أنه سيعود، بعد بضعة أيام، إلى بلده ليقدم إلى حكومته تقريراً عن محادثات لوزان، ثم يستقيل ليس فقط من رئاسة الوفد، بل من الخدمة الرسمية كلياً، إنه يعمل فى وزارة الخارجية المصرية منذ ٢٥ سنة، ويحق له أن يطلب إحالته على التقاعد. وهو يرغب فى أن يتفرغ لزراعة أراضيه وأراضى عائلته، وفى الوقت نفسه لتأليف كتاب عن مشكلة فلسطين. وقد وعد بأن يكون موضوعيا مائة بالمائة.

إنه لايعرف، حتى الآن ، أية طريق سيسلك فى العودة إلى بلده، طريق اسطنبول أم باريس، إذا سلك الطريق الأخيرة- وهذا يتوقف على التعليمات التى سيتلقاها، خلال هذه الأيام، من حكومته- فسيكون مستعداً وبطيبة خاطر، أن ينتظر بضعة أيام فى باريس ليراك، وليطلعك على رأيه فى محادثات لوزان، وعلى مطاليب مصر النهائية ، وليستمع إليك، ثم ينقل ماترغب فى قوله إلى حكومته.

فى مستهل الحديث، كان عبدالمنعم غاضباً على العالم كله. كان غاضباً على أعضاء لجنة التوفيق الذين لم يظهروا أبدا كمحايدين، لا فى المحادثات الخاصة ولا الرسمية، بل بحث كل منهم قبل أى شئ عن مصلحة حكومته. وكان غاضباً على رؤساء الوفود

العربية الذين صرفوا اهتماما شديداً ووقتاً طويلاً إلى المسارح والملاهى وعلى «فتيات سويسرا الشقراوات» أكثر مما صرفوا على العمل الذى حضروا من أجله إلى لوزان، أضف إلى ذلك أنهم صوتوا من أجل نقل عمل اللجنة إلى نيويورك وليك سكسيس وفضلوا، حلاً مفروضاً على حل متفق عليه، ليتمكنوا من الحضور إلى أمريكا، ومشاهدة بلد غربى جديد، و«فتيات جديدات».

وهو غاضب على الأمريكيين عامة، الذين يظهرون فى كل مكان كأسياد العالم، مدعين أنهم يريدون مصلحته، بينما هدفهم الأساسى هو السيطرة عليه واستعباده لدولاراتهم. وكان مضطرا كرئيس للوفد المصرى، إلى أن يرحب بلجنة المسح الدولية فى كل مكان، وكأنها جاءت لتطوير الشرق العربى، والمساعدة على حل مشكلة اللاجئين. ولكنه، كمصرى قومى، كان عليه أن يثور على النوايا الإمبريالية الأمريكية المستترة وراء لجنة المسح الدولية، والتى تهدف إلى منح الحق فى موطئ قدم قانونى ثابت «لغلاة المستغلين ومصاصى الدماء»، رجال الغرب، فى الشرق العربى. إنه غاضب على الدول العربية التى هزمت فى حربها ضد إسرائيل، وترفض الاعتراف بهذه الحقيقة الأبدية. وكان على هذه الدول المهزومة أن نفعل أحد أمرين: إما أن تخضع وتقبل شروط الإسرائيليين، أو أن تحارب من جديد وتزيل الوصمة عن جبينها. ولكن من غير المعقول، على الإطلاق، أن تتنكر للحقيقة وتتقدم بمطاليب متطرفة كجائزة على فشلها، وهذا هو البرهان الأكيد عن عدم النضج السياسى الكامل. وهو لايريد، كرجل يحترم نفسه، أن يظل شريكا فى «سياسة منحطة أو غريبة كهذه». وسيسجل كل هذا فى كتابه عن فلسطين. وهو غاضب على إسرائيل أيضا التى تتحدث ، بحسب رأيه، عن السلام «بالكلام فقط» ، «إنها تظهر فى كل مكان كمنتصر يعتمد على قوته فقط». ونحن لانحاول - على حد قوله - أن ندرك فداحة الضربة التى وجهتها إسرائيل إلى العالم العربى، وأن نجد لها العلاج المطلوب.

بعد كل هذا الكلام، انتقلنا إلى الحديث بهدوء عن عمل لجنة التوفيق، وقد اتضح أنه متفق معى على ضرورة بذل الجهد لتأجيل موعد انعقاد اللجنة فى نيويورك.

والاستئثار بالضرورة على مشكلة فلسطين فى الجمعية العمومية، سيؤدى دون شك إلى تأزم العلاقات من جديد بيننا وبين العالم، وستتحول الجمعية إلى منصة خطابه للإسرائيليين والعرب الذين يتنافسون فيما بينهم، ويهاجمون ويشتمون بعضهم بعضا. لقد تحدث عن ذلك إلى بواسنجيه، وروكويل، ويلطشين، واقترح عليهم عقد اجتماع جديد للجنة، بعد أن تنهى لجنة المسح الدولية عملها، ولكن عبثا، فقد أصروا على رأيهم. وكان بإمكانه مواصلة الضغط لو وجد تأييدا من رفاقه بقية رؤساء الوفود العربية، إلا أن هؤلاء لم يؤيدونه. ليس هذا فقط، بل إنهم انتقدوا أيضاً موقفه وناقشوه فيه.

وهو لايزال يأمل فى إمكان التأثير على حكومته كى لاتستجيب بسرعة لدعوة اللجنة إلى الحضور إلى نيويورك، ولتحاول إقناع الدول العربية بقبول موقفها. على أى حال، سيبذل جهده لترسل حكومته تعليمات إلى وفدها فى ليك سكسيس ليكون لبقا فى مناقشاته مع وفد إسرائيل، ويقلل من الكلام قدر الإمكان.

فى نهاية الحديث، تكلمنا عن رد الوفود العربية على مذكرة اللجنة الدبلوماسية فى ١٥ آب (أغسطس). وهو موافق على أنها بالغت فى مطاليبها الإقليمية. لم يكن بإمكانها التصرف بشكل آخر لتحقق جميع مطاليبها وتظهر متراصة «ككتلة واحدة». ولكن ليست هذه كلمة العرب الأخيرة. وليست هذه على أى حال، كلمة مصر الأخيرة.

ورداً على سؤالى إذا كان مستعدا للانتقال إلى باريس ليتابع معنا محادثات شخصية، أجاب أنه لو كان يرغب فى الاستمرار فى الخدمة الحكومية لفعل ذلك بسرور، لكنه وعد بأن يقدم اقتراحى إلى حكومته.

وأشار أن باستطاعته اقتراح ذلك مباشرة على «صديقى» فى مصر.

وطلب منى، خلال الوداع، أن أنقل تحيته إلى جميع أعضاء وفد إسرائيل الحاليين والسابقين. كما طلب منى أن أدرك أن الصداقة التى قامت بيننا قوية، وأن أعتبره دائما الشخص المستعد للمساعدة فى كل وقت وأوان.

انتهى مـاكتبه «ساسون» إلـى شاريت، لكن أخطر وأجـمل ماينسبـه «ساسون» إلى عبدالمنعم مـصطفى هو أنه «كمصرى قومى كـان عليه أن يثور على النوايـا الإمبريالية الأمريكية» كما أنه «غـاضب على الدول العربية التى هزمت فى حـربها ضد إسرائيل وترفض الاعـتراف بهذه الحـقيقة»، وهـو أيضا غاضـب على رؤساء الـوفود العربـية الذين صرفـوا اهتماماً شديـداً ووقتاً طويلاً إلى المسـارح والملاهى مع فتيـات سويسرا الشقراوات»!!.

■ ■

ماجرى فى «لوزان» يستحق القراءة الهادئة، والتأمل الأكثر هدوءاً!.

عبر صفحـات كتاب ١٩٤٩ الإسرائيليون الأوائـل للكاتب الصحفـى توم سيغف نرصد ماجرى! كتب توم سيغف يقول مايلى:

فى أحد أيام النصف الثانى من أغـسطس ١٩٤٩ سافر «إلياهو ساسون» و«رؤوبين شيلـواح» (رئيس دائرة المعـلومات التابـعة لإدارة الوكالـة اليهودية) إلـى «لافرايت» وهى بلـدة صغيرة بـالقرب من لوزان، مـن أجل التفاوض مـع رئيس الوفـد المصرى «عبدالمنعم مصطـفى» إلى محادثات الصلح. وقد استمرت محـادثاتهم سبع ساعات تقـريباً. كمـا وصفهـا «ساسون» فى إحـدى الرسائـل [الرسالـة رقم ١٣] التى اعـتاد إرسالها بانتظام إلى «موشيه شاريت».

لم تـكن هذه المحادثـات هى الأولى التـى تجرى بين الإسـرائيليـين والدبلومـاسى المصرى (عبدالمنعم مصطفى) غير أن سيرها ومضمونها ونتائجها عكست جيداً وضع العـلاقات بين إسرائـيل والدول العـربية. فقـد كان هناك اتـصال و«اعترف» الـعرب بدولة إسـرائيل، كما كـان هناك استـعداد مبدئى لـلبحث فى الـسلام، لكن إسـرائيل رفضت الشروط. ⁄

طالب المصريون بأن يصبح «النقب» مع الضفة الغربية دولة عربية مستقلة، تشكل حاجزاً بين إسرائيل ومصر،وبين مصر وشرق الأردن، وأوضح «عبدالمنعم مصطفى» أن إقامة هذا الحاجـز بين إسرائيل ومصر فى كل النـقب سيتيح توطين قسـم كبير من

اللاجئين فى أرض إسرائيل بينهم نحو ٢٦٠ ألف لاجئ يقيمون فى مصر وقطاع غزة، وربما يصبح فى الإمكان نقل المزيد من اللاجئين إلى هناك من أماكن أخرى.

وحسب مايقول المؤلف «توم سيغف» فإن الدبلوماسى المصرى «عبدالمنعم مصطفى» قال:

«إن النقب الشمالى صالح للاستيطان كله، وبمساهمة مالية من الولايات المتحدة ومن دول عربية، يصبح فى الإمكان تنفيذ المشروع، ولقد رأى فى المشروع ميزة كبرى يمكن أن يُعرض كتحقيق لمشروع التقسيم المؤرخ فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، واقترح فى مقابل ذلك اتفاقاً للسلام».

وقام «ساسون» و«شيلواح» بلفت انتباه «عبدالمنعم المصرى» إلى أن مشروع ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ للتقسيم وضع النقب ضمن حدود الدولة اليهودية.

ورد عبدالمنعم المصرى بأنه يعرف ذلك، غير أن المشروع أعطى العرب الجليل، ومن الواضح له أن إسرائيل لن تتخلى عن الجليل.

وأجاب «ساسون» و«شيلواح» بأن إسرائيل لن تتخلى حتى عن شبر واحد فى النقب أيضا.

واعتبر «عبدالمنعم المصرى» أنه فى هذه الحال ليس هناك أى أساس للتفاهم بين الدولتين، ومن الأفضل أن تمثلا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، ووعد بأن توافق مصر على قرار الجمعية العامة، وأن تجلو عن غزة لو طلب منها ذلك، لكن عندها لايظل هناك أى أمل بالتفاهم أو بالسلام والتعاون بين الدولتين!.

واختتم «عبدالمنعم مصطفى» كلامه بتحذير مؤداه: «ويمكن أن تنشب حرب بينهما، لكن ليست حرب بنادق ومدافع بل حرب باردة : حرب سياسية واقتصادية».

ولاحظ: «إلياهو ساسون» أن «عبدالمنعم المصرى» ثار بعض الشئ عند هذه النقطة، ومضى «عبدالمنعم مصطفى» يقول:

- افهموا أن مصر لاترغب فى حدود مشتركة مع إسرائيل، ولكانت- مصر- سعيدة لو لم تقم إسرائيل، فلقد فعلت كل شئ من أجل منع إقامتها.

إن مصر مقتنعة بأن دولة إسرائيلية ستكون غريبة عن العرب فى كل شئ، وبأنها ستشكل داخل المحيط العربى - وبالضرورة عنصراً دائما للنزاعات والتعقيدات وعدم الاستقرار فى الشرق.

وأضاف «عبدالمنعم مصطفى» إلى ماسبق قوله:

«يمكن أن تكون مصر مخطئة فى تقدير نيات إسرائيل وعقليتها، لكن من غير الممكن، وعلى الأقل فى هذه الفترة اقتلاع هذا التفكير غير السليم من عقل مصر بالكلام فقط. أن مصر لن تشعر بالاطمئنان والمناعة وعلى حدودها فى النقب ثلاثة ملايين أو أربعة ملايين يهودى كلهم مثقفون وأصحاب مبادرة ويتمتعون بروح التضحية»!!.

ولذلك كله دعا «عبدالمنعم مصطفى» إلى «إقامة دولة فاصلة عربية فلسطينية فى النقب» وحسب مايقول مؤلف الكتاب أيضاً: فإن الإسرائيليين حاولوا إقناع «عبدالمنعم مصطفى» بخطئه وضلاله، وقالوا له إنه لا أساس لمخاوفه، غير أن «عبدالمنعم المصرى» كرر أنه يمكن أن يكون على خطأ، لكن يجب أن تأخذ مصر فى حسابها أسوأ الاحتمالات، وأوضح الإسرائيليون أنه إذا قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة إعطاء النقب للمصريين، فستخذلها إسرائيل لأن النقب حيوى جداً بالنسبة إليها.

وقال «عبدالمنعم المصرى» افعلوا ما يحلو لكم».

وقال: «ساسون» إن هذا النقاش مع محاورنا - يقصد عبدالمنعم مصطفى - فى شأن النقب لم يمكنا من مناقشة مشكلات أخرى، وعندما حاولنا ذلك قال: إنه لا فائدة منه، وعندما أردنا موعداً آخر للقاء قال إنه مستعد للاجتماع إلينا فى أية ساعة، لكن مادام هذا هو موقفنا فالأفضل الاجتماع للحديث عن أى شئ ماخلا الأمور السياسية.

■ ■

ولم يترك عبدالمنعم مصطفى ورقة واحدة تشير إلى لقاءاته مع «ساسون»!.

وليس معروفاً أيضاً ماذا جاء فى التقرير الذى كتبه إلى وزارة الخارجية عن محادثات لوزان!!.

ورحل الرجل ومعه كل الأسرار والألغاز!!.

■ ■

لكن حكاية ساسون لم تنته عند هذا الحد!!.

كان أخطر لقاءاته على الإطلاق وأكثرها إثارة مع الملك «عبدالله» ملك الأردن! [وتلك حكاية أخرى]!.

٥

الملك عبدالله
ساسون
فى قصر الملك

«.. فشل.. إلياهو ساسون» فى الوصول إلى «الملك فاروق»، لكنه نجح فى الوصول إلى الملك: عبدالله ملك الأردن وجد الملك حسين!!

كان أقصى ما استطاعه «إلياهو ساسون» فى جولاته المكوكية بين القاهرة وبعض العواصم الأخرى أن يلتقى برئيس وزراء مصر «إسماعيل صدقى باشا» و«رئيس مجلس الشيوخ د. محمد حسين هيكل باشا» و«كريم ثابت» المستشار الصحفى للملك فاروق.. وخارج القاهرة التقى «بعبدالمنعم مصطفى».

لكن «إلياهو ساسون» نجح فى اتصاله بالملك «عبدالله» واستطاع تحويل هذه الاتصالات إلى علاقة وثيقة وصداقة حميمة بلغت ذروتها عندما سافر لمقابلة الملك «عبدالله» فى قصره بعمان ويقدم له هدية بمناسبة تتويجه ملكا، وكانت الهدية مبلغاً نقدياً قيمته ستة آلاف جنيه!!

لم يكن «إلياهو ساسون» غريبا عن الملك عبدالله. بل كان صديقه الحميم!! والواسطة القديمة للتفاهم بين الملك عبدالله واليهود(!!)

وحسب رأى الكاتب الإسرائيلى. « توم سيغف» فقد كان ساسون «يتصرف كأهل البيت فى العواصم العربية»!!

■ ■

كانت جريدة «أخبار اليوم» أول من أزاح الستار عن لقاءات «إلياهو ساسون» مع الملك عبدالله!

صدرت «أخبار اليوم» فى ١٨ مارس ١٩٥٠، ونشرت صورة لبعض خطابات الملك إلى قادة إسرائيل، وخطابات من قادة إسرائيل إلى الملك عبدالله!

وكتبت أخبار اليوم تقول: «وأولى هذه الوثائق الخمس التى تعتبر أخطر ما نشر من أسرار السياسة العربية، خطاب بخط يد «المسيو إلياس ساسون» الذى كان مستشاراً للشئون الشرقية بوزارة الخارجية اليهودية، وهو الآن سفير إسرائيل فى تركيا».

وفى عدد أخبار اليوم التالى ـ الصادر فى ٢٥ مارس ١٩٥٠ ـ قامت أخبار اليوم

بنشر وثائق أخرى، وكان تعليقها على إحدى هذه الوثائق قولها: «إن الملك عبدالله قابل « ساسون»، وقابله مع دايان حاكم القدس العسكرى اليهودى فى الغور».

وعلى صفحات مجلة «آخر ساعة» كشف «محمد حسنين هيكل» عن أسرار أخرى.

ففى عدد ٢٣ مارس ١٩٥٠ أشار «هيكل» إلى أن الملك عبدالله قدم أغلى وأهم أسرار الجيش المصرى والجيوش الأخرى التى عرفها جلالته بوصفه قائداً أعلى للجيوش العربية، ثم بصفته عضواً فى الجامعة العربية.. أى بعد يومين من اتصال الملك بإلياس ساسون «المبعوث اليهودى لمفاوضة جلالته فى القدس!!»

■ ■

كان «عبدالله التل» قائد معركة القدس شاهداً ومشاركاً فى كل تلك الاتصالات والمقابلات بين الملك «عبدالله» و«إلياهوساسون»!

وفجأة هرب «عبدالله التل» من عمان ووصل إلى القاهرة فى أواخر يناير ١٩٥٠ ومعه كل أوراقه ومذكراته وشهادته حول كل ما جرى، وأرسل «عبدالله التل» بيانا إلى الصحافة ونشرته «الأهرام» فى ٢٨ يناير ١٩٥٠، وقال فيه عبدالله التل ما يلى: «إننى لم أختلف مع السلطات الأردنية على مسائل شخصية بسيطة، بل اختلفنا على مسائل مهمة وخطيرة تتعلق بالوضع الحالى فى الأردن».

وبعد تسع سنوات بالضبط قام «عبدالله التل» بنشر مذكراته، وعنوانها «كارثة فلسطين» ونشرها فى القاهرة عن «دار القلم» وتقع فى ٦٤٦ صفحة.

وابتداء من صفحة ٤٣٧ بدأ عبدالله التل شهادته تحت عنوان «الاتصالات السرية بين اليهود والملك عبدالله» موضحاً دور «إلياهوساسون» بكل تفاصيله المثيرة.

كتب «عبدالله التل» يقول: فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ اتصل رئيس المراقبين الدوليين هاتفياً بعبدالله التل، وأخبره أن الكولونيل «ديان» يريد مقابلته فى الحرام لأمر مهم.

وذهب «عبدالله التـل» حسب الاتفاق ليجد «موشى ديان» فى انـتظاره ومعه أحد المراقبين المـعينين لتلـك المنطقة. وتقـدم ديان وأخبر «عبدالـله التل» أنه يحـمل رسالة مهمة جداً من شخصية يهودية كبيرة إلى الملك «عبدالله»!

تسلم «التـل» الرسالة من ديان ووعده بتأمـين إيصالها إلى الملك «عبـدالله»، وقبل رحيـل ديان عاد ليـؤكد «للتـل» على أهـمـية الرسـالة وضرورة ألا يفـتحها إلا المـلك نفسه!!

ويعترف عبـدالله التل بأنه أحس بعـوامل قوية تدفعه إلى فـض الرسالة والاطلاع على ما فيها، من هـذه العوامل الشك فى سير الأمور، وفى نوايا الملـك عبدالله نفسه ثم رغبة «التل» فى معرفة الحقيقة لعله يستطيع حسب قوله ـ تدارك ما يمكن تداركه.

وهكـذا قرر «عبـدالله الـتل» فض الـرسالة بـعد أنه أزال عـنها الـشمع الأحـمر، وراحت عيناه تقرأ سطورها بحضور الرئيس «قسيم محمد».

كانت الرسالة بخط وتوقيع «إلياهوساسون» وكما يقول التل وبمجرد قراءتى لاسم «ساسون» تـذكرت هذه الشخصـية المعروفة لدى الأردنـيين بصداقتـها المتينة لـلبلاط الهاشمى.

بدأت رسـالة «إليـاهوساسـون» إلى الملـك «عبـدالله» كـما يلـى، وحسب الـنص الحرفى للرسالة التى كانت مكتوبة بلغة عربية وخط واضح جميل (!!)

مولاى المعظـم: إجلال واحترام وبعد. أرجـو أن تكونوا جلالتـكم بعناية الـصحة أدامها المولى عز وجل عليكم.

سيدى: لـقد وصلت الـيوم إلى القدس عـائداً من باريس. لمـدة قصيرة، لـلاتصال بجلالتكم ـ إذا تفضلتم وأذنتم بذلـك ـ والتعاون على حل الأمور المعقدة، والوصول إلى ما نـتمناه جمـيعاً فى إحـلال السلام فى ربوع هـذه البلاد العزيـزة على جلالـتكم وعلينا، فأرجو جلالتكم والحالة هذه أن تتكرموا وترسلوا إلى القدس لمقابلتى والبحث معى أحـد الأشخاص الذيـن تثقون بهـم، وأرجو أن يكون هذا الـشخص مصـحوباً

بالصديق الدكتور «شوكت باشا»، وأن يكون كذلك من المخلصين للقضية المشتركة.

هذا وأرجو أن يأتى هذا الشخص فى أسرع ما يمكن، وإن أمكن غداً السبت حيث أوقاتى قصيرة جداً، ومضطر أن أعود إلى باريس فى أسرع ما يمكن، هذا وإنى أتمنى أن تساعدنى الظروف على التشرف بمقابلة جلالتكم فى إحدى الفرص السعيدة إن شاء الله.

وأرجو أن يكون الشخص الذى سيأتى لمقابلتى حاملا الكثير من ملاحظات جلالتكم بشأن كافة الأمور لنسترشد بها فى حديثنا، وأطال المولى بقاء جلالتكم.

المخلص

«إلياس ساسون»

القدس الجمعة ١٠/ ١٢/ ١٩٤٨

ملاحظة: لقد قابلت قبل تركى لباريس حضرة الصديق الأمير عبدالمجيد حيدر وتكلمنا مطولا فى عدة أمور.

انتهت رسالة «ساسون»!

وقبل أن نمضى مع مذكرات «عبدالله التل» تجدر الإشارة إلى أن القراءة الهادئة لمضمون ومحتوى رسالة «ساسون» للملك «عبدالله» تكشف ببساطة شديدة عن مدى الثقة التى يحوزها «ساسون» عندالملك، فهو لضيق وقته يطلب من الملك إرسال من يثق به فى أسرع وقت!!

وهو أيضاً - أى ساسون - يحدد بالاسم الشخص الذى يرافق من يرسله الملك وهو د. شوكت باشا!!

والأهم من ذلك أن «ساسون» يرجو الملك بأن يكون من المخلصين للقضية المشتركة!!

وأخيراً يتمنى «ساسون» عندما تساعده الظروف على التشرف بمقابلة الملك عبدالله فى إحدى الفرص السعيدة حسب وصف ساسون نفسه!!

وبعد الملاحظات السابقة نعود إلى مذكرات التل، الذى كان قد تقابل مع الملك عبدالله وسلمه رسالة ساسون.. وما جرى بعدها يرويه «عبدالله التل» فيقول:

سافرت إلى الشونة مبكراً فى صبيحة يوم السبت ١١/١٢/١٩٤٨ واجتمعت بجلالة الملك الساعة الثامنة تماماً وقدمت له الرسالة بعد أن وضعتها فى مغلف جديد ختمته بالشمع الأحمر، وما أن بدأ جلالته بقراءتها حتى انبسطت أساريره وتهلل وجهه فرحاً وأعاد لى الرسالة لأقرأها، ثم خرج برهة وعاد معه الدكتور «شوكت الساطى» طبيب جلالته الخاص فسلمه الرسالة وقال بالحرف الواحد: «تذهب يا باشا للقدس، وتقابل ساسون لتتفاهم معه على المسائل المعلقة، وعبدالله بك يساعدك فى الأمور الفنية».

ثم أمر (الملك) بإحضار ورقة بيضاء وبدأ يملى على الدكتور ما يلى ليبلغه إلى «ساسون»:

١ ـ يسرنا أن تكون مذاكرة معكم.

٢ ـ تعلمون أن أية مذاكرة منفردة إن لم تكن موفقة فهى ستجر متاعب من الناحية العربية، وبالأخص من الخصوم السياسيين فوق ما تتصورون.

٣ ـ قرار مؤتمر أريحا يجب أن يكون بالغ الاحترام.

٤ ـ مسألة اللد والرملة يجب أن تكون على الحالة التى سبقت الانسحاب منها. لأنكم تدركون المتاعب التى لحقتنا بعد الانسحاب.

٥ ـ مسألة يافا تحت المذاكرة، والقدس القديمة عربية. واليهودية بيد أهلها.

٦ ـ مسألة النقب تحت المذاكرة، وكذلك الجليل.

٧ ـ مسألة اللاجئين تحت المذاكرة.

ويضيف «عبدالله التل» قائلا: وعندما أنهى (الملك) إملاء ملاحظاته أمرنى أن أسافر إلى عمان، وأعرض رسالة «ساسون» على رئيس الحكومة الأردنية السيد «توفيق أبو الهدى» فسافرت بعد أن اتصل الملك برئيس الحكومة هاتفياً وأبلغه عن سفرى بالرسالة الهامة.

وصلت إلى عمان الساعة ١٢ ظهراً، واجتمعت برئيس الحكومة فى مكتبه، وقدمت له الرسالة، وبعد أن قرأها خاطبنى قائلا: «الحكومة ما عندها مانع، وجلالة سيدنا يطلعنا دائما على نتيجة اتصالاته الشخصية مع اليهود فى لندن وباريس، أما نحن فلا يمكننا أن نفاوض اليهود علنا حتى لا نكون موضع انتقاد من الدول العربية، مع أننا نوافق على كل ما يتوصل إليه سيدنا من اتفاق معهم».

بعد ذلك أخذ «عبدالله التل» الرسالة وعاد للشونة حيث اجتمع بالدكتور «شوكت» حيث علم منه أنه سيحضر للقدس هذا المساء للاجتماع «بساسون» فى الساعة السادسة والنصف.

ثم وصل «التل» إلى القدس. وتقابل مع «ديان» فى المنطقة الحرام، وقام بإبلاغه أن الرسالة وصلت للملك عبدالله، وسوف يوفد ـ الليلة ـ الدكتور شوكت للاجتماع بساسون إذا كان ذلك ممكنا.

ورد ديان على كلام «التل» بالموافقة لأن ساسون موجود بالقدس، ويسهل إحضاره لمكان الاجتماع المتفق عليه فى المنطقة الحرام بباب الخليل.

وقبل الذهاب إلى الموعد المقرر طلب «التل» من د. شوكت الملاحظات التى أملاها عليه الملك، وبعد أن أمعن فيها النظر وجد «التل» أنها مبهمة وخطيرة، واتفق مع د. شوكت على إهمالها تماما وتقديم نقاط جديدة كانت كما يلي:

١ ـ وجوب إعادة اللد والرملة كدليل على حب التفاهم.

٢ ـ وجوب إعادة اللاجئين العرب إلى ديارهم قبل فوات موسم الزراعة.

٣ ـ بحث اقتراح «برنادوت» ومشروع التقسيم للتوصل لحل يرضى الطرفين.

٤ ـ إعادة الأحياء العربية فى القدس الجديدة.

وقبل الموعد المحدد بخمس دقائق تحرك «عبدالله التل» ود. شوكت لمكان الاجتماع وعند وصولهما وجدا «ساسون» و«ديان»!

وكتب «التل» فى مذكراته يصف ما جرى وما حدث فيقول: «ما أن شاهد

«ساسـون» الدكتـور (شوكت) حتى تقدم إلـيه وصافـحه بحرارة، ثـم بدأ الدكـتور بالحـديث، وبلغ «سـاسون» تحيـات الملك (عبـدالله) وسـروره من رسالة «سـاسون» الرقيقة. وهنا تبـادل الصديقان القديمان عبارات العتاب علـى سوء التفاهم الذى وقع وأدى إلى الاشتـباك المسلـح، ومما قاله الـدكتور.. لصـديقه «ساسـون» معاتبـا: كانت جولـدا مايرسون (مـائير) جافـة أثناء مـقابلتـها لجلالـة سيدنا قـبل الاضطرابـات ولو حضرتـم بنفسكم لأمكن التفاهم أحسن».

فرد «ساسون» مـدافعاً عن جولدا مايرسـون، ووضع اللوم على المترجـم اليهودى الذى رافقها لعمان لأنه لم يوفق لشرح وجهات النظر جيداً.

وبدأنا ندخل فـى الموضوع الرئيسى فأخرج الـدكتور ورقة الملاحظات التـى اتفقنا عليـها وشرحهـا «لساسون» بعـد أن أكد له أن سيـدنا يرحب بالمـباحثات الأولـية مع اليهود تمهيداً لعقد صلح رسمى.

ولما انتـهى الدكتـور من حديثه بدأ «ساسون» يـعلق باخـتصار علـى النقاط الـتى قدمناها وتملص من إعطاء رأى قاطع عن أية ناحية وطلب إمهاله ليتذاكر (يتشاور) مع تل أبيب ثم يعطينا رأيه فى الاجتماع المقبل.

بـعد ذلـك يقـول التـل: انتـهـى الاجتـماع عـلى أن يـعـقد ثـانيـة مسـاء الاثنـين ١٣/ ١٢/ ١٩٤٨، وعند وداعـه ابتعد «سـاسـون» والدكتور عنا قـليلا ووقفا لمـدة عشر دقائق فى خـلوة تامة. أما ما جرى بـينهما من حـديث فقد أظهرته لـى قرائن الأحوال مؤخراً كما سيـرد معنا. وبعد افتراقنا عـاد الدكتور إلى الشونة فى نفـس الليلة، وكان جلالة الملك لا يزال فى انـتظاره مع أنه يأوى لفراشه عادة فى التاسـعة تماماً. فشرح له الدكتـور ما وقع فى الاجتـماع، وكيف أن رد «سـاسـون» سيقدمـه إلينا فى الاجـتماع المقبل.

■ ■

كان الاجتمـاع الثانى بين «إليـاهوساسون» و«عبداللـه التل» على درجة كـبيرة من الخطورة والأهمية!

كان الدكتور «شوكت الساطى» قد حضر إلى القدس بعد ظهر الاثنين ١٣ ديسمبر ١٩٤٨ واجتمع به «التل» قبل الذهاب للقاء «ساسون»، وفى هذا الا... القصير «اتفقنا على أن نسمع منهم فى هذه المرة، ولا نقدم أية ملاحظات، و... لجس النبض والاطلاع على بعض ما يكنونه».

وفى الساعة السادسة والنصف وصلنا إلى المكان المقرر فى المنطقة الحرام، فألفينا «ساسون» ومساعده «ديان» فى انتظارنا، وبعد أن بلغ الدكتور سلامات سيدنا (الملك) وتحياته لساسون كالمعتاد، رد «ساسون» مبلغاً تحيات «بن جوريون» و«شرتوك» (شاريت) لجلالته.

ثم بدأنا الحديث الرسمى عن النقاط. عندها أخرج «ساسون» ورقة من جيبه ورجا الدكتور أن يسجل الملاحظات الواردة فيها ليقدمها للملك فى الشونة.

فبدأ «ساسون» يملي، والدكتور يكتب، وكانت تلك الملاحظات كما يلى حرفياً:

١ - إذا كان جلالة سيدنا يرغب فى تنفيذ مقررات أريحا فلا اعتراض لنا على ذلك، ونظن أن المستحسن أن ينفذها فى أسرع وقت ممكن حتى يضع خصومه وأصدقاءه أمام الأمر الواقع. وللأمر الواقع أهمية كبرى عند دول أوروبا وأمريكا وقد جربنا ذلك بأنفسنا.

٢ - فى حالة إقدامه على تنفيذ هذه المقررات نرجوه ألا يتعرض للناحية اليهودية لا بخير ولا بشر، ويكتفى بالقول بأنه يقدم على ذلك لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ولإعادة الهدوء والسعادة إلى الشعب العربى الفلسطينى.

٣ - نرجوه فى حالة إقدامه على تنفيذ المقررات ألا يحدد موقفه النهائى من ناحية مصير القدس - لا القديمة ولا الجديدة أننا نعتقد أنه يجب ترك مصيرها إلى مباحثات واتفاقات بيننا وبين جلالته مباشرة فى القريب العاجل، ونعتقد أن هناك حلاً يرضيه ويرضينا.

٤ - ننصح لسيدنا بإعلان الهدنة الرسمية الطويلة - هدنة دائمة - وهذا يساعد على

سحب جيوشه من جميع الجبهات واستخدامها فى جهات أخرى، إذا ما اقتضت الحاجة لذلك، وإذا كانت الظروف الحاضرة تحول دون إعلان ذلك فبالإمكان الاتفاق على ذلك سراً بيننا. وفى مثل هذه الحالة نؤكد له بأننا لن نتعرض بسوء إلى مراكزه فى جميع الجبهات ونحترمها كل الاحترام، حتى نهاية المباحثات ولو طال الأمر شهوراً.

٥ ـ نحن ننصح لسيدنا أن يعمل بسرعة على سحب القوات العراقية من الحدود وإحلال قوات أردنية محلها للمحافظة على الأمن الداخلى فقط، وإذا فعل ذلك فإننا نؤكد له بأننا لن نمس هذه الأماكن بسوء حتى نهاية المباحثات، أما إذا بقيت القوات العراقية فى مراكزها فنخشى أن نصطدم بها يوماً من الأيام.

٦ ـ ننصح لسيدنا أن يسعى جهده لسحب القوات المصرية من جنوب القدس والخليل ليخلص من المتاعب السياسية التى يخلقها وجود هذه القوات فى أى وقت.

٧ ـ ننصح لسيدنا أن يتجنب قدر الإمكان وساطة الأجانب لتسوية الأمور بيننا وبينه، وأن يفضل مثلنا المباحثات المباشرة فإن هذا فى نظرنا أدعى للنجاح. سواء كان من الناحية العسكرية أو السياسية.

٨ ـ إذا أعرب سيدنا عن موافقته على النقاط السبع السالفة فإن فى استطاعتنا أن نؤكد له بأننا سوف نقوم بالدعاية لمقررات أريحا فى جميع أرجاء العالم.

ويمضى «عبدالله التل» قائلا فى مذكراته: انتهى «ساسون» من إملاء ملاحظاته، أو بالأحرى نصائحه، وتجاهل بحث النقاط الرئيسية التى قدمناها له فى الاجتماع الأول. ولا شك أن القارىء يلاحظ من هذه النقاط اهتمام اليهود بالتعليق على مقررات أريحا مع أنه لم يرد لها ذكر فى النقاط التى قدمناها مما يدلنا على خيط من خيوط الخلوة السرية التى تمت بين «ساسون» والدكتور فى الاجتماع السابق.

وحينما تصافح الدكتور و«ساسون» للوداع ابتعدا قيد خطوات منا وتهامسنا لبضع دقائق استطعت خلالها أن أسمع بعض الألفاظ تدور حول المادتين (الخامسة والسادسة) من ملاحظات اليهود للملك.

وأخيراً افترقنا على أن نعود لساسون برأى الملك.

■ ■

كان ما يجرى كله وليس بعضه أشبه بما يحدث فى الأفلام البوليسية، ولكن هذا ما جري بالفعل!!

وكان أكثر الناس قلقاً وحيرة على معرفة ما دار فى ذلك اللقاء هو الملك عبدالله!

كان من عادة الملك أن ينام مبكراً ويستيقظ مبكراً!!

لسنوات طويلة لم يكن هناك شىء يدعو الملك عبدالله لتغيير هذه العادة إلا فى تلك الليلة وحدها!!

فى تلك الليلة سهر الملك «عبدالله» على غير عادته!!

كان الملك ساهراً فى قصره ينتظر وصول الدكتور «شوكت الساطى» ليعرف منه ماذا جرى فى اللقاء مع «إلياهوساسون»!!

وعند الحادية عشرة ليلا وصل أخيراً د. شوكت، وهنا فقط هدأ بال الملك، وفى الحال أخرج د. شوكت الرسالة التى حملها معه وقرأ موادها الثمانى التى سبق وأن قام بإملائها «ساسون»، وكان الملك يعلق على كل مادة من هذه المواد بجملة مختصرة يسطرها على هامش الرسالة.

وفى مذكراته كتب «التل» يقول: وفى فجر الثلاثاء ١٤ ديسمبر ١٩٤٨ اتصل بى جلالة الملك هاتفياً وتكلم باختصار قائلا: الباشا يجيك اليوم مع جوابنا للجماعة أوصلوه لهم!!

والجماعة هنا تعني «اليهود» وكان جلالته يرمز إليهم بهذه الكلمة عندما يكون الحديث سرياً.

وفى العاشرة صباحاً وصل الدكتور وأطلعنى على تعليق الملك على هامش الرسالة وقد كان هذا التعليق بحسب كل مادة كما يلى:

١ ـ هذا رأى حسن.

٢ ـ هذه خطتنا من زمان.

٣ ـ القدس القديمة للعرب والجديدة لليهود وتترك المسألة للمباحثات.

٤ ـ أوافق على ذلك سراً بشرط أن يسرى على الجبهة العراقية.

٥ ـ للمباحثات مع سمو الوصى.

٦ ـ ممكن عند انتهاء المشكلة بيننا وبين مصر والجامعة العربية، أفضل قبول الهدنة السرية.

٧ ـ للمباحثات السرية مع الباشا فيخبركم عن رأيى.

٨ ـ نعم.

ويعترف التل قائلا فى تعليقه على ما كتبه الملك عبدالله بقوله: وقد هالنى فى هذه الشروح الملكية أن أجد فى المادة الثالثة أنه لا يزال يقنع بالقدس القديمة للعرب، فأقنعت الباشا أن نضع كلمة «العربية» بدلا من القديمة واليهودية بدلا من الجديدة، فتكون الفقرة «القدس العربية للعرب، واليهودية لليهود».

أما الألغاز التى وردت فى المادتين الرابعة والسابعة فلم أعرها اهتماماً لأننى لم أكن أتوقع أن يتآمر الملك على حلفائه العرب الذين ورطهم فى فلسطين ثم خانهم واتفق مع اليهود على قهرهم حسب اعتراف جلالته نفسه، وكما سيرد فيما بعد.

بعد ذلك يروى «عبدالله التل» كيف بقى د. شوكت فى القدس حتى الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر الثلاثاء ١٤ ديسمبر ١٩٤٨ واجتمع بساسون للمرة الثالثة وأطلعه على رد الملك على الملاحظات والنصائح.

والملفت للانتباه هو عدم حضور «التل» هذا الاجتماع بسبب استدعاء الملك له «لسبب ظاهرة استشارتى فى أمر تعيين أحد أنجاله نائبا للملك فى فلسطين، وباطنه إبعادى عن اجتماع الدكتور بساسون هذه المرة».

وبعد عودة التل من الشـونة تقابل مع الدكتور الساطى وسأله عن نـتيجة اجتماعه مع «ساسـون» فأكد له أنه عرض لـساسون الرد الملـكى بحسب اتـفاقنا ولـم يزد عـليه شيئا.

■ ■

وعاد «التل» ليقول فـى مذكراته: «طلب اليهود الاجتماع بالـدكتور (الساطى) فى السادسة والـنصف من مساء الخمـيس ٣٠/ ١٢/ ١٩٤٨، ولما وصل الدكتـور للقدس توجهنا لمكـان الاجتماع، وقد أدهشنا ألا نجد هذه المرة «سـاسون» و«ديان»، بل وجدنا «ديان» ومـعه شخص آخـر عرفنا بـنفسه وكـان «روبين شيلـوح» من مساعـدى وزير خارجية إسرائيل، وكان يجيد العربية كذلـك، وقد بادرنا شيلوح قائلا: مع إننا نثق فى جلالة سيدنا ونعلـم تماماً إنه يحافظ على كلمته، إنما الأصول تـقضى بأن نتبادل أوراقا رسمية تثبت تفويضنا وتفويضكم للكلام عن إسرائيل وجلالة سيدنا».

وحسـب كلام «التـل» فقد وعد الـدكتور بـإحضار الـتفويض المطلوب عـلى أن يحضر اليهود مثله.

وعاد الدكتور «شوكت السـاطى» إلى الملك عبدالله وأطلعه على نـتيجة الاجتماع وكيف أن «ساسون» اختفى وحـل محله «شيلوح» واتصل الملك هاتفيـاً بعبدالله التل وأمره بأن يقابله صباح الجمعة ٣١ ديسمبر.

وذهب الـتل لمقـابلة المـلك الذى كـان يجلـس معـه الدكتـور و«تباحـثنا فـى شأن التفويض المطلوب».

قال الملك: «يا عبدالـله. الدكتور ما يعرف شىء والله أحاكيه مـا يجاوبنى، نريدك أن تخدمنا وتحكى بلسانا مع الجماعة».

وأجاب «التل» قائلا: «أمركم مولاى، إنما المباحثات مع اليهود من واجب الحكومة المسئولة، وأنا عسكرى بالدرجة الأولى».

قال الملـك مستغـرباً: «إيش الحكـومة ـ خليك مـن الحكومة، أنـا المسئول قـبل كل إنسان، وأنت لا تخاف من شىء وأريدك أن تحس لى نبض الجماعة.

قال «التل» للملك: أمركم مولاى سأجس نبضهم بصورة غير رسمية.

وقام الملك عبدالله ـ بنفسه بوضع صيغة كتاب التفويض وأمر بطبعه ومضى «عبدالله التل» يقول: تقرر أن نجتمع لنتبادل وثائق التفويض الأربعاء ١٥ يناير ١٩٤٩، وحضر الدكتور «الساطى» ومعه الوثيقة الملكية التى تفوضنى بالتحدث باسم جلالته فتسلمتها من الدكتور، وذهبنا فى السادسة مساء لمكان الاجتماع فى «ماندلبوم» بالمنطقة الحرام، وهناك وجدنا «شيلوح» و«ديان» فقدما إلينا وثيقة تفويضهما مكتوبة باللغات الثلاث العربية والإنجليزية والعبرية وهى بتوقيع «بن جوريون» وشرتوك «شاريت» فتسلمتها واعتذرت لهما عن عدم إنجاز الوثيقة الملكية لأن جلالته يريد صوغها طبقا لما يرد فى وثيقتهم، فلم يعترضا على ذلك.

أما الوثيقة الملكية ـ فيعترف التل ـ بأنه قد احتفظ بها ولم يقدمها لليهود، وحسب الصورة الزنكوغرافية التى نشرها التل فى مذكراته للوثيقة فقد كانت كالتالى :

عبدالله بن الحسين

عمان فى ربيع الأول ١٣٦٨

الموافق اكانون الثانى ١٩٤٩

قائد القدس العسكرى السيد عبدالله التل

أفوضكم للتذاكر مع الجانب الإسرائيلى فى الأسس المرغوب التفاهم عليها تذليلاً لكل صعوبة قد تظهر فيما بعد عند التفاوض الرسمى. وإن تفويضكم هذا هو تفويض شخصى، وسيتلو هذا التفويض الرسمى مع رفاق آخرين وبالشكليات الحكومية المعتادة فى مثل هذه المسائل.

وبما أن الغرض من التذليل هو إيجاد سبل السلام الحقيقى، فلا يجب إجراء أى أمر بدون أن يتفق عليه.

وهكذا جرى تبادل الوثائق من طرف واحد، كانت الجلسة لجس النبض، وفيها كشف «عبدالله التل» عن نوايا اليهود الحقيقية.

وكانت المفاجأة فى اعتراف الدكتور شوكت الساطى للتل بقوله «الجماعة ـ يقصد اليهود ـ تغيروا عما كنا نعرفهم».

وسافر الدكتور لمقابلة الملك عبدالله وأطلعه على ما جرى فى الاجتماع السابق، لكن الملك لم يطمئن لشرح الدكتور، وطلب التل لمقابلته مساء السبت ٨ يناير ١٩٤٩، لكى يستمع منه أيضا.

ويقول «التل» فى مذكراته:

وفى صباح الثلاثاء ١١/ ١/ ١٩٤٩ دق جرس التليفون وكان المتكلم جلالة الملك، فبدأ الحديث بنغمة جديدة لها شىء من الاستلطاف والمداعبة وأخيراً قال: أريدك أن تجيب لنا صديق الدكتور والأعور. وهنا نحكى بصراحة!!

ويعنى بصديق الدكتور «إلياهوساسون» وبالأعور «ديان». ولما كنت غير قادر على مناقشته فى التليفون أجبت فى الحال: يا مولاى أنا أتشرف بمقابلة جلالتكم لأخذ الأمر مفصلا!

ونسى «عبدالله التل» أمر هذه المحادثة التليفونية، وتأخر عن السفر بضعة أيام، وسرعان ما استدعاه وزير الدفاع فوزى باشا إلى مكتبه بعمان يوم السبت ١٥ يناير ١٩٤٩ ودار بينهما حديث مثير كان مؤداه أن الملك زعلان من التل لأنه لايصغى إلى أوامره بل إن «التل» لا يريد جمعه مع «ساسون» و«ديان»!

وقال التل لوزير الدفاع: هل يليق بجلالة سيدنا أن يجتمع باليهود فى قصره، ألا يخشى افتضاح أمره فى العالم العربى؟!

وكان رد وزير الدفاع هو: «شويهمك يا عبدالله. سيدنا له أسلوبه الخاص، وكلنا لا نرى لزوماً لكثير من أعماله وأدائه، ولكننا نسير معه حتى النهاية طالما أنه مستعد لتحمل مسئولية كل شيء».

وأخيرا قال التل له: «سأمر على سيدنا عند عودتى اليوم للقدس لأسمع منه ما يريد بالتفصيل».

وهكذا وصل «التل» لمقابلة الملك عبدالله الذى خرج لمقابلته مرحباً فلم يعاتبه أو يلومه. ثم قال له: والله أنى أحبك فلا تعاندنى، وقلت لك إنى لاأكترث بالحكومة لأنى أغيرها بجرة قلم ولاأركن لأساليب الحكومات المطاطة فى حل المشاكل.

وأضاف الملك قوله: «ولابد من اجتماعنا بساسون فهو صديق قديم غير متطرف، وإن أردتنى المجىء للقدس لمقابلته سراً فعلت، والأفضل أن تأتى به إلى هنا، وأحب أن يكون معه ديان».

وأجاب التل قائلا: «أمركم يا مولاى، سأبلغهما غداً، وإنما أرجو أن يكون الجيش مسئولا عن حراستهما فى الذهاب والإياب»!!

وفى اليوم التالى (الأحد ١٦ يناير ١٩٤٩) طلب «التل» من المراقب الدولى أن يجمعه «بديان» فى المنطقة الحرام ففعل، وقام «التل» بلقاء ديان وعرض عليه رغبة الملك فى الاجتماع به، وأيضا «بساسون» فى الشونة الليلة «لتبادل وجهات النظر وتناول طعام العشاء مع جلالته».

طلب ديان إمهاله مدة ساعة حتى يتصل بتل أبيب ويتأكد من وجود «إلياهوساسون» بها، وكذلك لاستشارة الحكومة!!

وبعد ساعة بالضبط قام ديان بإبلاغ «التل» عبر رسالة ـ بأن سلطات تل أبيب ترحب بفكرة الاجتماع، وأن الشخصين المطلوبين «ساسون» و«ديان» على استعداد للسفر للشونة مساء.

وبالفعل وصل ديان و«ساسون» حسب الموعد المتفق عليه، وحسب ما روى «التل» تحركنا معاً إلى الشونة فوصلناها فى الثامنة إلا عشر دقائق، وقبل وصولنا للقصر قابلتنا إحدى سيارات المقر العالى، وبها «هاشم الدباسى» مرافق الملك للاطمئنان على سرية الرحلة وسلامتها. ولما وصلنا للقصر قابلنا الدكتور شوكت باشا فتعانق مع «ساسون» وصافح ديان وأدخلهما الصالون.

وبعد برهة وجيزة صاح أحد أفراد الحاشية: جلالة سيدنا!!

فنهـضنا جميعـاً ودخل جلالته بلـباسه العربـى وعمته «الهاشـمية» فتقدمـت إليه وقبلت يـده، وتبعنى «ساسـون» و«ديان» فصافحاه، ثـم أمسك جلالته بـيد «ساسون» ونحن لا نزال وقوفاً وخاطبه قائلا: هيك يا أخى والله ما عهدت فيك الجفاء!

فخجل «ساسون» وقال: عفواً. مولاى!

ثم جـلس الملـك و«ساسـون» عن يمينه، وأخذ كـل منـا مقعـداً، ومعنـا الدكـتور «شوكت» باشا و«هاشم الدباسى».

وبدأ جـلالتـه الحديث سـائلا «ساسـون» عن صـحة «بن جـوريون» و«شـرتوك» (شاريت) فرد «ساسون» بأنهما بخير وقد حملاه سلاماً عاطراً لجلالته.

■ ■

كانت هذه هى المـرة الأولى التى يتاح فيها «لـعبدالله التل» أن يرى الملـك عبدالله مجتمـعاً مع اليهود، وكان يـتوقع حسب كلامـه أن يكون الملك «لبقـاً حذراً يأخذ ولا يعطـى، يرهب ولا يرغـب» ولكن الملك خـيب ظنون «الـتل» لأنه كشـف عن أوراقه بشكـل مخيف، وتحدث بأسـلوب رقيق سخـيف كأنه يتـحدث إلى أبنائه، وكـان التل يذوب خجلا!!

وحسب ما جاء فى مذكرات التل، ومن جملة ما قاله الملك أمام ساسون وديان هو قولـه: أنا ملـك عربى لا أخـلف وعداً ولا أخـون عهـداً، تعرفـون نواياى وشـعورى نحوكم، ورأيي ألا يقف أحـد بيننا الآن بعد أن خمدت الفتنة، وانـتهى لكم الأمر فى الجنوب.

«وأنت تعلم يا«ساسون» إننا لـم نحاربكم ولـم نعتد على ما خصص لكم، وأنا الآن لا أصغى لنـصائح حلفائـى الإنجليز. فهـم أصدقـاؤكم المخلصون، وقد أحـجموا عن مساعدتنا ولـم يبعثوا لنا خرطوشة واحـدة منذ نشوب الاضطرابات، وكانت تـنقصنا الذخيرة ولا تزال».

وكان تعـليق «عبداللـه التل» على مـا قاله الملك هـو «قال جلالته كل هـذا، وأفهم

اليهود بعبارات موجزة أنه لم يخن العهود، والخلاصة لقد دون على نفسه فى أقل من خمس دقائق اعترافات خطيرة، كل هذا و«ساسون» و«ديان» يستمعان»!!

ومضى الملك عبدالله يقول مخاطباً «ساسون»:

ـ «أنت تعلم يا أخى أننا اتفقنا على أسس سبقت، ولكم الآن مطالب حقة، ولنا مطالب حقة والقدس المقدسة فى عهدتنا، ولكم حرية المرور لمعابدكم، وما بأيديكم لاننازعكم عليه».

■ ■

ومضى «التل» يقول فى مذكراته:

والغريب فى الأمر أن جلالته ـ أى الملك ـ لم يعط فرصة لساسون ليرد عليه بشىء، فقد أنهى حديثه قائلا: هيا نتعشى!!

وسار الملك إلى قاعة الطعام، وأجلس الملك «ساسون» عن يمينه، و«ديان» عن شماله، وعلى العشاء انقطع الحديث السياسى ودار حديث عادى أغلبه عن قصر «المصلى» وبناته من اليهود، واستفسر الملك من «ساسون» عن أولئك البنائين وأظهر رغبته فى رؤيتهم يوما ما.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام نهض الملك وقاد «ساسون» بيده إلى غرفته الخاصة وأقفل بابها، وبعد دقيقتين على دخولهما نادى جلالته الدكتور «شوكت» وأشركه فى الخلوة التى دامت عشر دقائق.

ويقول «التل»: لم أكترث لتلك الخلوة لأن جلالته لم يترك سراً فى صدره ولم يعد يخفى سياسته على أحد.

ولم تكن الغاية من الاجتماع ـ حسبما يقول التل ـ فى نظر الملك سوى إبداء ولائه وإخلاصه لأصدقائه القدماء، وإظهار نواياه وشعوره على حقيقته، ولم يكلف «ساسون» إلا بنقل هذا الشعور وتلك النوايا إلى تل أبيب كخطوة جديدة للتفاهم وعربوناً للصداقة الجديدة. التى اعتورها الوهن بعد نشوب الاضطرابات فى فلسطين.

تغيرت لهجة اليهود تماماً!!

ولم يكن ذلك التغير خافياً على «عبدالله التل»، لكن اللافت للنظر هو أن ذلك التغير وجد طريقه إلى العلن ولم يعد سراً!

وجاء تصريح «ديان» فى ٢٣ يناير ١٩٤٩ دليلا حاسماً على الهواجس التى بدأ التل يشعر بها، فقد جاء فى تصريحه.

«إن القدس لاتربطها بإسرائيل روابط روحية. فهى هدف يهود العالم منذ آلاف السنين، بينما لا تربطها بالعرب روابط قوية (!!) كانت القدس لنا وستبقى لنا».

وطلب «التل» أن يجتمع بديان، الذى تأكد له تمسك اليهود بالأمر الواقع، وأن لهجة ديان أصبحت أقوى بكثير من ذى قبل.

وفى الحال رفع «التل» تقريراً مفصلاً إلى وزير الدفاع، ثم اتصل بالملك الذى دعاه لمقابلته مساء ٢٦ يناير ١٩٤٩، وفى هذا الاجتماع قال التل للملك.

الجماعة (اليهود) تغيروا والحالة تطورت!!

ورد الملك ببساطة: توكل بالله إن شاء الله مايتغيروا، أنا أريد أشوفهم مرة ثانية!!

واتصل «عبدالله التل» برئيس الوزراء «توفيق أبو الهدى» الذى نصحه بتلبية أمر الملك. بل قرر رئيس الوزراء أن يحضر الاجتماع مع اليهود ربما نجح فى كبح جماح الملك.

وبدأ الاجتماع بأن قام الملك بتحية «ساسون» و«ديان» وصافحهما، ورد «ساسون» التحية بمثلها، وزاد من عنده تحيات «بن جوريون» و«شاريت» لجلالته.

دار الحديث ـ كما يقول التل ـ بعد ذلك وكان أغلبه حول المادة الخامسة من رسالة ساسون ونصائحه للملك. وكرر «ساسون» رأى «بن جوريون»، ونصيحته للملك عبدالله بسحب الجيش العراقى من لواء الساحرة، ووضع قوات من البوليس مكانه، ويتعهد اليهود بعدم التعرض للمنطقة بسوء، وبذلك يتجنب اليهود الاحتكاك بالعراقيين، وهم جيش هاشمى أمره يهم سيدنا كثيراً، وحينما سمع الملك حديث

«ساسون» قال: إن شاء الله نشوف «عبدالإله» فى (H.3) (اتشترى) بهذين اليومين وسيكون ما ترغبون.

لكن أخطر اعترافات الملك عبدالله لساسون والتى يسجلها «التل» فى مذكراته وبحسب وضعه أيضا أنه قال بكل جرأة ولم يخجل من أحد حتى ولا من رئيس الحكومة الذى تحمس لحضور هذا الاجتماع.

قال جلالته لساسون: كنت والله أريدكم أن تأخذوا لنا غزة فهى منفذنا على البحر، ولابد لنا من ميناء ولتكن مجدل وعسقلان».

وطرب «ساسون» و«ديان» لسماع تصريحات كهذه وقال «ساسون»:

الله يقدرنا على تنفيذ ما يرغب فيه سيدنا (!!)

وأخيراً انتقل الحديث إلى رودس، وأعلن الملك استعداده لإرسال وفد أردنى حالما ترد الإشارة من الدكتور «بنش» وأشار الملك ناحية عبدالله التل وقال:

هذا ولدنا وسيفنا يكون رئيس الوفد بإذن الله.

كان حديث الملك مفاجأة تامة لعبدالله التل. فلم يرد بكلمة واحدة، وسرعان ما نهض الملك وقال: هيا للعشاء!!

وجلس «ساسون» عن يمينه، و«ديان» عن شماله، وأمامه مباشرة جلس رئيس الوزراء:

ويمضى «التل» فى وصف ما جرى بعدها فيقول: بعد الانتهاء من تناول العشاء نهض جلالته ونهض الجميع، وكرر ما فعله فى الاجتماع الأول بأن أمسك جلالته بيد «ساسون» وقاده إلى غرفته الخاصة ونادى خلفهما الدكتور «شوكت» ودامت الخلوة ربع ساعة خرج بعدها جلالته وصافح «ديان» و«ساسون» وحملهما السلامات المعتادة إلى «بن جوريون» و«شرتوك».

■ ■

ومضى «التل» يقول فى مذكراته:

كان من المعلـوم فى الأردن أن «إلياهو ساسون» قد سـافر فى أوائل مارس ١٩٤٩ إلى باريـس ولندن ليـكون على اتصـال دائم بعمر زكـى الوزير المفـوض الأردنى فى باريس، و«عبدالمجيد حيدر» الوزير الأردنى فى لندن.

وكانت اتصالاته مع الملك تتم بواسطة البـرقيات السرية من المفوضيتين فى باريس ولندن.

وكان مـن أخطر الـرسائل المـتبادلـة بين ساسون والمـلك. الرسـالة التـى بعث بـها «ساسون» لجلالتـه من لندن، وأطلع عليهـا أغلب الضباط العرب الذيـن يتدربون فى إنجلتـرا، وقد أصبح كل ضابـط عربى فى بريطـانيا على علـم بمضمون تلك الـرسالة. وجاء كل منهم يروى القصة حينما يعود من إنجلترا إلى عمان.

وقد روى لى ـ أى للتل ـ تلك القصة أكثر من ستة ضباط أذكر منهم القائد «على الحيارى»!!

يضيف «التل» فى مذكراته قوله:

إن «ساسون» تعود الاتصال بـالملك عبدالله كلما أراد بواسطة لاسـلكى المفوضية الذى ينظم البرقيات بالشفرة أو بواسطة البريد السياسى السرى.

وحدث فـى أواسط مارس ١٩٤٩ أن بعـث «ساسون» بـرسالة مـطولة إلى المـلك يشرح فيها خطة تطويق الجيش العـراقى لإرغامه على الخروج من فلسطين إذا ما أصر على البقاء فى المثلث.

وقد كان ما ورد فى الرسالة (التى بعث بها ساسون للملك) يتلخص فيما يلى:

١ ـ تبدأ القـوات اليهودية بمناوشـة الجيش العراقى فى المثـلث فى اليوم الذى تعـينونه جلالتكم.

٢ ـ تحتشد القوات الرئيسية للجيش الإسرائيلى فى غور بيسان!

٣ ـ تزحف هذه القـوات من بيسان إلى الجفتلك، وتحـتل المرتفعات التى تسـيطر على طريق نابلس الجفتلك لتقطع خط انسحاب الجيش العراقى بأكمله.

٤ ـ تمنع حكومة شرق الأردن الجيش العراقى من الانسحاب عن طريق رام الله ـ القدس أريحا، لئلا يضرب القوات الإسرائيلية المرابطة فى الجفتلك أو يطوقها.

٥ ـ لا بأس من أن تقع مناوشات بين القوات الأردنية والإسرائيلية للتغطية، وعلى كل حال يمكن لحكومة صاحب الجلالة الهاشمية أن تحتج بأن توقيع الهدنة مع إسرائيل يمنع من الاشتراك الفعلى مع الجيش العراقى.

٦ ـ عندما يدرك الجيش العراقى أنه وقع فى الطوق، سيطلب حتماً الانسحاب من فلسطين بدون قيد أو شرط.

هذه خلاصة رسالة «ساسون»!!

لكن المثير فى الأمر أن رسالة ساسون لم تصل إلى الملك عبدالله فى الشونة، لأن إحدى الشخصيات العربية فى المفوضية الأردنية بلندن اطلعت على محتويات الرسالة وقامت بالخطوات التالية وفقاً لما جاء بمذكرات عبدالله التل:

طلبت تلك الشخصية مقابلة السفير العراقى فى لندن الأمير «زيد» فى الحال، وحينما تمت المقابلة عرضت الشخصية على سموه خلاصة البرقية فبكى الأمير وبكت الشخصية.

وفى اليوم التالى طار الأمير زيد إلى بغداد وبالطبع فإنه أحاط الوصى والحكومة العراقية بما يجرى وراء الستار من مؤامرات ودسائس خطيرة!

وبدلا من أن يتخذ الوصى وحكومة العراق إجراء صارماً مع الملك عبدالله حققا له رغبته فى الانسحاب الفورى من فلسطين.

وفى أواخر شهر أغسطس ١٩٤٨ اجتمع الملك «عبدالله» وحكومته بقنصل بلجيكا العام فى القدس «نوفنوز» وقرروا قبول نصيحته بإيفاد مندوب رسمى لمفاوضة اليهود فى باريس سراً.

وقنصل بلجيكا صديق حميم للملك ويعرف أهل القدس. أن هذا القنصل هو الرسول الأمين بين الملك واليهود منذ زمن الانتداب البريطانى على فلسطين. ولم

ينقطع قنصل بلجيكا عن زيارة الملك، وكثيراً ما كان الملك يطلبه فيؤمن إحضاره من الجانب اليهودى بواسطة دائرة الارتباط فى القسم العربى.

وتنفيذاً لنصيحة قنصل بلجيكا لم تجد حكومة الأردن أصلح من السيد «عبدالغنى الكرمي» ولا أخلص وطنية منه فى الاتصال باليهود سراً.

وحسب شهادة عبدالله التل نفسه فقد كان «عبدالغنى الكرمى» متزوج من يهودية وله أخ قتل فى فلسطين لاتهامه بالتجسس لليهود ومساعدتهم فى كل شىء. فأوفدته إلى باريس للاتصال بالوفد اليهودى الذى ذهب للاشتراك فى دورة الأمم المتحدة، ولما كان «الكرمى» من موظفى قصر رغدان ومن أمناء الملك فقد أدرك الناس السر فى هذه الرحلة المفاجئة!!

وفى باريس اشترك الوزيران الأردنيان المفوضان فى لندن وباريس مع «عبدالغنى الكرمى» فى مفاوضة اليهود، وعلى رأسهم «إلياس ساسون» صديق الملك «عبدالله» منذ زمن بعيد.

واستمرت المفاوضات أكثر من شهر ونصف الشهر، كانت الرسائل ترد تباعاً للملك والحكومة لإطلاعهما باستمرار على ما يجرى فى باريس.

ومن باريس أعطيت للملك ولحكومته أول إشارة سرية عن احتمال اعتداء اليهود على المصريين فى النقب، وأرسل الجواب من عمان لباريس بوعد قاطع باتخاذ موقف الحياد، وعدم التدخل فى أى حرب ضد اليهود.

ويضيف عبدالله التل قوله:

كشف «عبدالغنى الكرمى» نفسه النقاب عن هذه الناحية من المفاوضات بعد بضعة أشهر من وقوعها يوم ظن بأن العالم قد نسيها ولم يعد لها أية أهمية أو خطورة، فأفضى إلىَّ بسرها.

أما اليهود فقد كانوا لا يخفون أمر هذه المفاوضات الدائرة بينهم وبين الأردن فى باريس، وقد التقطت من أخبارهم ونشراتهم السرية البرقيات التالية التى تؤيد وقوع تلك المفاوضات:

١ ـ برقية التقطت الساعة ٢٠٠٠ تاريخ ٧/ ١١/ ١٩٤٨.

«أرسل الصحفيون الأجانب فى إسرائيل البرقيات الصحفية إلى الخارج يؤكدون فيها قيام محادثات للصلح بين إسرائيل والعرب. ويقولون إن مركز هذه المحادثات انتقل من عمان إلى إحدى المدن الفرنسية، وأن من المنتظر أن يعرج عليها شرتوك فى طريقه إلى باريس، وأن سفره الأخير ذو علاقة بهذه المحادثات».

٢ ـ من نشرة الأخبار العبرية الساعة ٧١٥ تاريخ ١٠/ ١١/ ١٩٤٨.

«علمت حكومة إسرائيل من مصادر عليا أن الملك عبدالله أرسل برقية إلى بشارة الخورى رئيس جمهورية لبنان يخبره فيها أن الحالة فى فلسطين حرجة تتطلب إجراء مفاوضات مباشرة مع اليهود.

وقد كشف الستار فى تل أبيبَ أمس أن المفاوضات بين العرب واليهود كانت تجرى على فترات متقطعة منذ سبعة أشهر، وأن مفاوضات تجرى الآن بين شرق الأردن وإسرائيل».

٣ ـ التقاط الساعة ٧١٥ تاريخ ١١/ ١١/ ١٩٤٨.

«ذكر فى بارس أن إلياهو ساسون مدير دائرة الشرق الأوسط لحكومة إسرائيل اجتمع فى باريس مع ممثل الملك عبدالله. وذكرت وكالة يونايتد برس أن الملك عبدالله أجاب إجابة غامضة عن سؤال صحفى حول صحة وجود مفاوضات سلمية قائلا أنه قرر إعادة السلام إلى فلسطين».

٤ ـ التقاط الساعة ٨١٠ تاريخ ١١/ ١١/ ١٩٤٨

«صرح مصدر إسرائيلى كبير أن مندوب إسرائيل لدى هيئة الأمم فى باريس قد تقابل مع مندوب شرق الأردن، وتحدث معه طويلا بشأن المفاوضات المباشرة بين الدولتين، وقد تم الاتفاق على ذلك».

٥ ـ من نشرة الأخبار العبرية الرسمية الساعة ٧١٥ تاريخ ٢٢/ ١١/ ١٩٤٨.

«أعلن رسميا فى مقر حكومة إسرائيل فى تل أبيب أن المحادثات الرسمية التى تدور الآن بين إسرائيل وبعض الدول العربية، تتقدم بنجاح، ومع أن هذه المحادثات

لا تدور حول السلم النهائى، ولكنها ستؤدى إلى عقد هدنة دائمة بين العرب واليهود. وقد صرح الدكتور بنش بأن هذه المحادثات خطوة كبيرة فى سبيل السلام، كما أعلنت أوساط الوفد الإسرائيلى فى باريس أن الأمور سائرة على ما يرام».

■ ■

وينتهى أخطر وأهم ما جاء بمذكرات «عبدالله التل» خاصة فيما يتعلق بمهمة «إلياهو ساسون»!!

كانت مذكرات «عبدالله التل» هى أول من كشفت أسرار كل التفاصيل واللقاءات التى دارت بين «ساسون» و«الملك عبدالله»، كما شارك فيها بنفسه ودونها فى أوراقه!!

وكان من الطبيعى أن تحفل الوثائق الإسرائيلية بتفصيلات أخرى عن تلك اللقاءات أكثر صراحة وإثارة مما نشره «عبدالله التل»!

فى البداية تأتى مذكرات «موشى ديان» [الجزء الأول] الذى وصف «التل» بقوله: «كان عبدالله التل شاباً طويل القامة قوى البنية، وسيماً، أشقر البشرة، وفيه استقامة. إذ ينظر إلى عينيك مباشرة بابتسامة صريحة وودية.

وعندما التقيت به فإنه أثر فى نفسى لكونه أجدر وأكفأ كثيراً من الضباط العرب الآخرين والموظفين السياسيين الذين صادفتهم فى تلك الحقبة، وفى مشاوراتنا الخاصة سوينا خلافاتنا بسرعة.

ثم يشير «ديان» إلى موافقة «التل» الفورية على مد خط تليفونى مباشر بين ديان وبينه دون أن يتم الاتصال عن طريق الأمم المتحدة.

وتحت عنوان «محادثات مع ملك عربى» كتب «ديان» فى مذكراته يقول:

أبلغنى «عبدالله التل» عقب توقيع على «اتفاقية وقف إطلاق النار المخلصة» مباشرة بأن الملك «عبدالله» فوضه فى الدخول فى مفاوضات معنا حول كل الموضوعات المتعلقة بمنطقة القدس بما فى ذلك «بيت لحم» «ورام الله» و«اللطرون».

وكانت مقترحات «التل» التى تعكس وجهات نظر الملك بكل تأكيد مبنية على تبادل الأراضى وعلى السيطرة المشتركة. وكان «بن جوريون» يريد من كل قلبه التوصل إلى معاهدة سلام رسمية كاملة ونهائية، وكان على استعداد للموافقة على عمليات معينة لتبادل الأراضى، ولكنه لم يكن يعتقد أن السيطرة المشتركة أمر يمكن تنفيذه من الناحية العملية.

وكان «بن جوريون» يعارض أساسا الترتيبات الجزئية، وكان الرد الذى طلب منى أن أنقله إلى الملك عن طريق «التل» هو أننا لن نستمر فى المباحثات على أساس الهدنة وحدها. لقد كنا مستعدين. بل فى الحقيقة متلهفين على التفاوض من أجل شروط سلام حقيقى مع ممثل سياسى.

وبعد أن أبلغت «التل» برد «بن جوريون» الصريح بأننا لن نكون مستعدين للدخول فى مباحثات إلا من أجل تسوية شاملة للسلام تلقيت مكالمة تليفونية منه يوم ٢٩ من ديسمبر يقول فيها: إنه قابل الملك وإنه قد عين ممثلا للملك ليصوغ معنا مشروعا للسلام، وأنه فى محادثاته معنا سوف ينضم إليه طبيب الملك، وأنه عندما تستكمل صياغة المقترحات فإن الملك سوف يطرحها على وزرائه للموافقة عليها. فإذا رفضت فإن الملك سوف يغير تشكيل الوزارة. لأن الملك يتمتع بسلطان قوى، واقترح «التل» أن تبدأ المحادثات فى مساء اليوم نفسه، وأن يجريها فى أحد مبانى القدس القريبة من الأرض الحرام بين الخطوط اليهودية والعربية. فإذا استمرت الجلسات فتعقد بالتناوب مرة فى مبنى أردنى ومرة فى مبنى إسرائيلى.

وقرر أن يعقد الاجتماع الأول مساء اليوم التالى فى الساعة السادسة والنصف فى الجانب الأردنى، وطلب «التل» أن نحضر مرتدين ملابس مدنية، وأن نحضر معنا الخرائط والوثائق اللازمة.

كان الاجتماع الأول مع التل والطبيب هاما للغاية، ولم نركز على المحادثات الأساسية إلا فى الاجتماع الثانى، وقد اجتمعنا فى الساعة السابعة مساء يوم ٥ من يناير ١٩٤٩ فى مبنى عند طرف بوابة مندلوم، وكان الجانب الإسرائيلى يتألف من

ثلاثة أعضاء هم «شيلوح» من وزارة الخارجية ومساعدى وأنا، وأما الجانب الأردنى فلم يحضر منه سوى «عبدالله التل» ولم يظهر الطبيب لسبب ما.

تبادلنا خطابات الاعتماد وكانت خطاباتنا مكتوبة باللغة العبرية واللغة العربية والإنجليزية، وموقعا عليها من رئيس الوزراء «ديفيد بن جوريون» ووزير الخارجية «موشيه شاريت». وكان «التل» يحمل خطابات مكتوبة بخط يد الملك عبدالله شخصيا، ومن المشكوك فيه أنه كان يمكن أن تقبل للصياغة والأسلوب المستخدمين فى تلك الخطابات فى محكمة قانونية.

وعندما حدد «التل» مقترحات الأردن كان واضحا أن هناك هوة حقيقية بين أفكار كل منا عن التسوية.

وقد قدمنا تقريرنا إلى «بن جوريون» وقلنا: إنه من الواضح أن ليس هناك ما يدعو للاستمرار فى المحادثات، ولكنه أمرنا بالاستمرار فيها قائلا: «يجب علينا أن نتلمس أية إمكانية لتحقيق السلام الذى نحن فى حاجة إليه ـ ربما أكثر من الأردنيين».

اتبعت أوامر «بن جوريون» وأن يكن دون حماس كثير، واتصلت تليفونيا «بالتل» للاتفاق على اجتماع آخر. فتقرر عقده فى ١٤ من يناير. غير أننى قررت أثناء المحادثات التليفونية أن أبلغه برأيى فى مقترحاته مبينا وجهة نظرى الشخصية وهى أنه إذا لم يحدث تعديل فى منهج الأردن فإنها سوف تؤدى إلى الحرب وليس السلام.

ظهر بعد ذلك أننى لست وحدى الذى يدرك أنه ما من منفعة ستعود من مواصلة المحادثات عند «بوابة مندليوم» وإنما كان «التل» أيضا يدرك ذلك، فقبيل الموعد المحدد لاجتماعنا بيوم واحد اتصل بى ليقول إن الملك يدعونا لنذهب ونتحدث معه فى «قصر الشونة» حتى يمكنه أن يظهر شخصيا رغبته المخلصة فى السلام، فاتصلت بـ«بن جوريون» وتلقيت موافقته.

عقدنا اجتماعين مع الملك عبدالله الأول يوم ١٦ من يناير سنة ١٩٤٩، والثانى بعد ذلك بأسبوعين وقد مثل إسرائيل «إلياس ساسون» من وزارة الخارجية وأنا، وفى الاجتماع الأول كان مع الملك «التل» وطبيبه، وفى الثانى انضم إليهم رئيس وزراء

الأردن «توفيق أبو الهدى»، وقد وصلنا إلى القصر فى سيارة المقدم عبدالله التل التى كان يقودها بنفسه، ومع أنه كان ينطلق بسرعة فإن الرحلة استغرقت أكثر من ساعة.

عقدت هذه الاجتماعات بينما كنا نتفاوض مع مصر فى «جزيرة رودس» حول اتفاقية للهدنة تحت رياسة الدكتور «رالف بانش» القائم بأعمال وسيط الأمم المتحدة وكانت تلك المفاوضات قد بدأت يوم ١٣ من يناير.

فى ذلك الوقت كانت المحادثات مع ملك الأردن يوم ١٦ من يناير ويوم ٣٠ منه ما تزال استطلاعية وغير رسمية، ولم تسفر عن نتائج ملموسة بمعنى أنها لم تحقق تغييرا مباشرا فى الموقف. وقال الملك.. إن ذلك التغيير سوف يحدث على الرغم من الفجوة الواسعة بيننا عندما تبرم الأردن اتفاقية للهدنة معنا تحت إشراف الأمم المتحدة مثلها فعلت الدول العربية الثلاث الأخرى التى حاربتنا. وكان الملك مفعما بالأمل فى أنه سيتم التوصل إلى هذه الاتفاقية، وقال إنه بعد ذلك مباشرة يسره أن يبدأ مفاوضات لعقد معاهدة للسلام، وأن هذا يحدث علانية لا سرا فى القدس دون حضور الأمم المتحدة، وأنه ستعقد جلسة افتتاحية رسمية فى قصره فى «الشونة»، وفى ضيافته، بل إنه اقترح أن يشكل وفدنا فى المفاوضات من وزير خارجيتنا «موسى شاريت ومن ساسون» ومنى.

وجرت إشارة عابرة إلى المحادثات الجارية مع المصريين فى «رودس» وفجأة ظهر على الملك نوع من القلق، وحثنا بكل ما يمكنه من قوة على ألا نعطى «غزة» لمصر، لأنه هو نفسه يحتاج إليها كمنفذ له إلى البحر المتوسط. ولم يكن يساوره أى شك فى إمكان التوصل إلى اتفاق معنا حول هذه النقطة.

وكان الأمر المهم بالنسبة له هو ألا نسمح بإعطاء غزة للمصريين، إذ قال «خذوها أنتم أعطوها للشيطان، ولكن لا تسمحوا لمصر بأن تأخذها!!»

كنا نتغذى مع الملك قبل أن نبدأ العمل، وقبل الغداء بساعة أو نحوها كان يدور حديث سياسى عما يجرى فى عواصم العالم، وكنا من آن لآخر نلعب الشطرنج أو تكون هناك قراءة فى الشعر، أما فى الشطرنج فكان من المتحتم ألا ننهزم أمام الملك

فحسب، وإنما أن نظهر دهشتنا من تحركاته غير المتوقعة، وعندما كان يقرأ أشعاره فى لغة عربية فصحى فإنه كان على المرء أن يعبر عن إعجابه بالتنهد من أعماق النفس. وعلى الرغم من ذلك فإنى لم أقلل قط من منزلة عبدالله، فلقد كان رجلا حكيما وزعيما يستطيع اتخاذ قرارات خطيرة، فعندما كانت تعترضنا مشكلة عسيرة لم يكن يحيلنا أبدا على وزرائه وإنما كان يطلب أن تعرض عليه المسألة ويتحمل هو المسئولية الكاملة عن القرار، ثم إنه لم يفقد حيوية البدوى فكان كل طبق من الطعام يوضع أمامه يكون مصحوبا باللبن الزبادى الذى يضيف إليه عشبا غريبا، وكان يطلق الحكم والأمثال فى أثناء مناقشاتنا، ولم يكن يحصل دائما على ما يطلبه، ولكنه كان دائما يعرف ما يريده كما عرفنا من محادثاتنا السرية المتصلة معه فى قصره، بينما كانت تدور المفاوضات الرسمية مع مندوبيه فى «جزيرة رودس».

■ ■

ومضى.. موشى ديان.. يقول فى مذكراته:

وواظبت على تتبع أخبار «التل» زمنا طويلا بعد أن تركت قيادة القدس، ولقد انتهت حياته العسكرية والسياسية فجأة عندما اختلف مع الملك «عبدالله» حول موقفه من البريطانيين لأن «التل» كان يريد طردهم من الأردن، أما الملك فلم تكن لديه رغبة فى ذلك، ولم يكن قادراً على الموافقة. وفى يونيو ١٩٤٩ استقال «التل» وحاول الملك ترضيته بل وعده بالترقية، ولكن «التل» رفض وغادر البلاد إلى سوريا حيث قابل «حسنى الزعيم» الذى كان قد تزعم انقلابا قبل ذلك بأشهر قليلة فى شهر مارس، وأصبح الآن رئيسا لنظام عسكرى حاكم. وقد تأثر «التل» به كثيرا وبفكرة قيادة ثورة مماثلة فى وطنه الأردن. ولكن الزعيم نفسه راح ضحية انقلاب وقع بعد ذلك بوقت قصير. حيث أعدم رميا بالرصاص فى ١٤ من أغسطس سنة ١٩٤٩ فرحل «التل» إلى القاهرة.

وقد تلقيت رسالتين من «التل» بعد ذلك، المرة الأولى عن طريق ضابط جيش مصرى فى حفل بلندن سنة ١٩٥١ حيث أبلغنى تحيات «التل» وقال إنه يرأس كتيبة فدائيين تقوم بمناوشة القوات البريطانية المعسكرة فى منطقة القنال فى ذلك الوقت.

والمرة الثانية عندما بعث إلىَّ بتحيته الودية عن طريق رجل دين أمريكى زارنى فى القدس، وأضاف رجل الدين أن «التل» يود أن يرانى لنبحث «موضوعا معينا»، وتطوع الأسقف الكاثوليكى لترتيب اللقاء السرى، إلا أن هذا اللقاء لم يتم أبدا، ولم أكتشف قط ما الذى كان يدور بخلده، إلا أنه لم تكن له أهمية سياسية، فرسائله كانت مجرد تعبيرات إنسانية عن التحية، وهذا فى ذاته شىء له قيمته لصدوره من ضابط عربى لإسرائيلى.

انتهى ما كتبه «ديان» بالحرف الواحد فى مذكراته!!

■ ■

وصدرت مذكرات «ديفيد بن جوريون» [يوميات الحرب] ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ وجاءت حافلة بخفايا وخبايا ما جرى فى تلك الأيام!

حرص «بن جوريون» رئيس الوزراء الإسرائيلى على تدوين وتسجيل كل صغيرة وكبيرة فى يومياته. حتى لو كانت أمراً هامشيا، وتافهاً لا يستحق عناء الكتابة!!

وكانت كل خيوط الاتصالات والأحداث تصب فوق مكتبه، وفى المقدمة منها اتصالات «ساسون» نفسه بكبار رجال السياسة والحكم فى العالم العربى!!

وكان «ساسون» نفسه ـ وكما سبق أن قرأنا فى الفصول السابقة ـ حريصاً على إبلاغه أولا بأول تفاصيل وتطورات تلك الاتصالات!!

لكن ما يلفت النظر فى يوميات «بن جوريون» هو حرصه على إخفاء بعض الأسماء العربية التى كانت مشاركة فى تلك الاتصالات، ويكتفى بالقول مثلا «رجل الملك»!! وكان يقصد رجل الملك فاروق!!

وحدث نفس شىء مع «عبدالله التل» إذ كان اسمه السرى هو «ويلهلم»!!

فى يوميات ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧ كتبت بن جوريون:

«الجامعة العربية» بمقدار ما نعرف من الصحافة ومن عرب ومن مكالمات هاتفية اتخذت ١٧ قراراً، «ساسون» يعرف تسعة منها (لا يعرف مضمونها بدقة بل بصورة

تقريبية)، ربما سنعرف من أحد الأشخاص فى شرق الأردن ما إذا كانت القرارات نهائية! أم أنها بحاجة إلى موافقة الحكومات ومجالس النواب.

فى الثانية عشرة والربع عاد «ساسون» بعد أن تحادث مع رجل شرق الأردن، «شمعونى» و«ساسون» التقيا الطبيب د. السطى وتكلما أكثر مما استمعا (!!)

وشرح «ساسون» و«شمعونى» له (للطبيب السطى) الوضع فى الجامعة (العربية) وما اتخذ من قرارات!! أقر (الطبيب) على أن كل ذلك تقرر (والقرارات بين يدى) وأضاف: مصر لن تقدم سوى المال والدعاية والعمل السياسى لكن لا سلاح ولا جيش، ربما تسمح لمتطوعين!

وهنا قام «ساسون» بتسليم طبيب الملك عبدالله برسالة أعدها مسبقاً تتعلق بالفيلق العربى، وقال الطبيب لساسون: «حبذا لو أن صحافتكم أثارت ضجة فى شأن الفيلق».

كما تحدث «ساسون» إليه عن طلب سوريا السلاح من تشيكوسلوفاكيا، وذُهل طبيب الملك وسأل «ساسون» بماذا تنصحون الملك!!

وكان رد «ساسون» هو قوله: ألم يحن الوقت كى يتكلم الملك بوضوح مع الإنجليز وإسرائيل ليسألهم عما يجب عمله؟!

كان الطبيب يستمع لما يقوله «ساسون» ودونه ليرسله إلى الملك بعد ذلك (!!) لكن أخطر ما قاله ساسون لطبيب الملك هو إنه إذا جرى تنسيق (بين الأردن وإسرائيل) فسنوجه نحن ضربة جديدة، ويهب الملك إلى مساعدة الجزء العربى، وعندها نساعده بالمال!!

■ ■

وفى يوميات أول يناير ١٩٤٨ كتب «بن جوريون»·

«ساسون» لا يؤمن بأننا سنخضع العرب بالقوة، لأن المسألة ليست مسألة (عرب أرض) إسرائيل وحدهم، بل هى قضية العالم العربى!!

وفيما يتعلق بمسألة الملك «عبدالله» فقد توافرت فى المدة الأخيرة معلومات من شأنها أن تغير رأينا فى الملك.

وتذكر «ساسون» ما قاله الملك (فى منتصف نوفمبر فى اجتماع حضرته جولدا مائير بحضور ساسون نفسه): تقسيم لا يخزينى فى العالم العربى، ما رأيكم فى جمهورية صغيرة؟!

جاء موفد الملك (عبدالله) إلى «ساسون» ليبلغه أنه ملتزم وعوده لنا، على الرغم من كل ما تنشره الصحف من كلام وأخبار.

وفى يوميات ١٩ يناير ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

فى المساء حديث مع «ساسون» وبحسب جميع المصادر هناك كما يبدو تغيير فى تكتيكات العرب!!

وفى يوميات ٩ فبراير ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

فى التاسعة مساء مشاورات، لم يكن فى استطاعة «ساسون» الحضور، لأن الصديق القبطى (لم يذكر بن جوريون اسمه) وصل من القاهرة، موفد بحسب قوله من قبل المسئولين عنه (بلاط الملك) إنه يبلغ ثلاثة أمور:

١ - إنجلترا تضغط على الدول العربية بالخطر الشيوعى اليهودى!

٢ - تطلب إنجلترا بدعم من أمريكا، من الدول العربية أن تعلن أنه فى حال نشوب حرب بين الدول العظمى، فإنها ستلتحق بالجانب الأنجلو - سكسونى، وهم سيكتفون بهذا الإعلان وسيواصلون تأييده!

٣ - تريد إنجلترا بواسطة أمريكا عقد تحالفات اقتصادية مع العالم العربى، بدلا من تحالفات سياسية، وبالتالى فإنهم سيحافظون على نفوذهم فى الشرق.

بحسب كلام إلياهو ساسون فإن الوضع سيتفاقم!!

وفى يوميات ١٦ فبراير ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

بحسب تقرير أرسلته مفوضية مصرفى واشنطن إلى القاهرة، تنصح أمريكا إنجلترا بتوقيع معاهدة إقليمية مع الجامعة العربية فتتخلص بالتالى من معاهدات منفصلة مع مصر، العراق، إلخ وفى رأى «ساسون» أن هذا يشمل أرض إسرائيل كدولة عربية(!!) مع أن هذا لم يرد ذكره فى التقرير!

يظن «ساسون» أن العرب لن يقوموا بأى ترتيب إذا كانوا لا يعرفون ماذا سيحدث بشأن البلد!!

وفى يوميات ٧ مارس ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

«ساسون» يقول: لا يوجد حتى الآن اتصال بالملك (عبدالله).

ويقول ساسون: إن النزاع مع العرب لن يحسم بالقوة حتى النهاية، ويجب المحافظة على نقاط ثلاث يمكن بواسطتها التكلم عن التفاهم.

يستحيل بصورة مطلقة الالتقاء بالعرب فى بلادهم. يجب محاورة مصر ولبنان وسوريا فى الغرب: فى فرنسا، فى سويسرا، فى إيطاليا.. إن مندوبى الحكومات العربية فى القدس لا يستطيعون تقديم تقرير صحيح إلى الحكومة، لأنه ليس لهم أى اتصال باليهود. وهذا الاتصال غير متاح إلا فى الخارج.

«رؤوفين» يقترح أن يسافر «ساسون» إلى روما أو إلى باريس للاتصال بالعرب!!

وفى يوميات ١٦ أبريل ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

«يولندا» (يهودية مصرية) تبلغ أن رجل فاروق (ملك مصر) يريد الاجتماع إلى إلياس ساسون بمعرفة الملك (!!)

وفى يوميات ٧ مايو ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

إن «عبدالله» (ملك الأردن) يريد الاجتماع إلينا، نصحت بالتعجيل فى الاجتماع، لكن ينبغى ألا يعقد بصورة مكشوفة ورسمية كما اقترح «ساسون» ذلك لسبب ما!!

■ ■

وفى منتصف مايو ١٩٤٨ كانت الحرب قد بدأت بين العرب وإسرائيل، وبعيداً عن تفصيلات ما جرى، نواصل تقليب أوراق ويوميات ديفيد بن جوريون!

وفى يوميات ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

«إلياهو ساسون» وصل [من باريس] وبحسب قوله، ثمة فرص سانحة للسلام. إن

رياض الصلح (رئيس حكومة لبنان، سنى ـ مسلم) مستعد للعمل من أجلنا. ليس للبنان مطالب وتطلعات إقليمية. إذ أن عبء الحرب ثقيل عليهم، لكنهم لا يريدون الخروج منها وحدهم، ولذا كان يريد أن يخرج الجميع ـ ليس لرياض الصلح أية فرصة للترقى ـ وصل إلى أعلى منصب يمكن أن يصل إليه مسلم فى لبنان. وليس له أى أمل خارج لبنان.

ثمة غليان فى سوريا؛ إذ قامت حكومة موالية للعرب [تؤيد التعاون مع الدول العربية] بيد أن الإنجليز خسروا اللعبة، كما يعتقد ساسون. مصر ضدهم. وازدادت الكراهية لهم فى مصر بسبب السودان (جرى [هناك] تنظيم انتخابات للبرلمان، وستقوم حكومة سودانية موالية للإنجليز). قيل لساسون إن الجيش الإنجليزى فى مصر ازداد حجما من عشرة آلاف إلى ستين ألف شخص، بموافقة النقراشى [رئيس الحكومة] لكن ضد الشعب. يسود فى العراق غليان، الشيوعيون أقوياء، وليس هناك أى إمكان لتوقيع معاهدة مع بريطانيا، وبالتالى من الجائز أن يسمحوا لعبدالله بعقد سلام معنا.

يعتقد ساسون أنه يجب الإصرار الآن على إنهاء الحرب ـ خروج الجيوش العربية، علما بأن السلام لن يحل ـ ربما بعد إنهاء الحرب ـ وربما ستكون هناك حاجة إلى بذل جهد كبير من أجل هذا الغرض. وهذا لا يمكن إحرازه إلا بواسطة الحكومات الحالية التى أعلنت الحرب علينا وأخفقت. إن حكومات جديدة ستحاول محاربتنا.

فى ٢٨ أو ٢٩ كانون الثانى ـ يناير، اجتمع ساسون إلى مبعوثى عبدالله ـ عبدالمجيد حيدر، ممثل شرق الأردن فى لندن، وعبدالغنى الكرمى الذى جاء من شرق الأردن. سأل ساسون: إذا كانت هذه مفاوضات، فمن الضرورى أن يكون هناك محضر، وعليهم أن يقولوا ما هو موقف إنجلترا ـ هل هى مؤيدة، أم أن الأمر كله قد رتب من دون معرفتها؛ وما هو موقف العراق ـ نظرا إلى وجود اتفاق سياسى وعسكرى بين البلدين. فإذا عقدوا سلاما، فهل سيسمحون للعراق بنقل جيشه؟ أجاب كلاهما إنهما لا يتمتعان بسلطة البحث فى أمور مهمة، بل فى مشكلات يافا، والرملة، واللد،

واللاجئين، والمخرج إلـى البحر. وقد وعدوا بأنهم سـيتصلون بالملك للـحصول على ردود على أسئلة ساسون. وسافر أحدهما إلى لندن للاتصال بشرق الأردن عن طريق مكتب خاص بهم لهذا الغرض.

واصلت المداولات السياسية [مع ساسون]. مصيـر غزة؟ طبقاً للمنطق الجغرافي، يجب أن تكون داخل إسرائـيل، ويمكن منح عبد الله ميناء حرا هنـا. يعتقد ساسون أن مصـر تخـاف الآن من قوة شـرق الأردن العسـكريـة، وهي لا تريـد أن تكـون جارة لها.(ألا تخـاف من إسرائيل؟). إن إنجلترا لـن تتخلى في أية حال مـن الأحوال ـ كما يعتقد ساسون ـ عن غزة، [وستطالب بها] لإعطائها لعبد الله، أي لنفسها، لأن السويس ستنتقل إلى مـصر بعد بضعة أعوام. إنهم يقاتلـون من أجل السودان ـ ومن دون غزة لن يحصلوا على هدفهم، لأنهم من هنا فقط يستطيعون تقديم مساعدة إلى العراق في حال نشوب نزاع عالمي.

بلّـغ رياض [الصـلح] ساسـون أن البريـطانيين وعـدوا الدول العـربية بـإعطائـها كميـات كبيرة من الأسـلحة، ومدربين، وفي الـلحظة الأخيـرة ـ أيضا تدخل مـباشر، عسكـري. توقع البريطـانيون منا أن نعـطي ردا سلبيا عـلى قرارات ٤ تشرين الـثاني/ نوفمبـر، والرد الذي قدمناه صدمهـم وأذهلهم وحطم جمـيع خططهم. كما أن بـياننا الذي جاء فيه أننا سنخرج من لبنان أربكهم.

يُجـمل ساسون قـضية [الجمـعية العـامة التـابعة لـ] الأمم المتحدة: دخلـنا الأمم المتحدة عن طريـق مشروع برنادوت ـ خرجنا من دون برنادوت والنـقب والجليل في حوزتنا. ونشاطنا العسكري في النقب والجليل رفع من شأننا في نظر الجميع.

وفي يوميات ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ كتب«بن جوريون».

ـ تسلمت من [إلياهو] ساسون الموجود فـي القدس خبر أنه أرسل عن طريق [عبد الله] التـل رسالـة إلى المـلك. زاره الـتل أمـس باسـم الملـك، وبلّـغه أنـه يريـد إجراء مفاوضـات بشأن الـسلام ـ لا فورا، بل بعد مرور ١٠ أيام، بعد أن يـحاول جلب سائر الدول العربية إلى محادثات السلام. وإذا رفـضتْ ذلك ـ فإنه سيقوم بها وحده. سأل

ساسون إذا كان سيتدخل فى الحرب بيننا وبين أية دولة عربية أُخرى، كالعراق. أكد التل أنه سيأتى برد الملك. أرسل ساسون فى ١١ كانون الأول/ ديسمبر تقريرا خاصا بالاتصال بالملك عبد الله بشأن الصلح، وبشأن محادثاته مع عبد الله فى اليوم نفسه.

خلال اللقاء مع موشيه [دايان] والتل، بلّغ موشيه قرارى (بعد أن قال ذلك فى حديث خاص إلى التل)، أن المحادثات لن تستمر فى نطاق التوقف المؤقت للقتال بل فى نطاق هدنة، باستثناء قضية بيت لحم والميلاد المسيحي.

وفى يوميات ١٦ ديسمبر ١٩٤٨ كتب«بن «جوريون».

"ساسون" ذهب بعيداً فى حديثه مع"التل" بشأن الضم.[الملك عبد الله] مستعد لكل شىء، ويريد التحادث بشأن الهدنة وبعد ذلك بشأن السلام.

وفى يوميات ١٨ ديسمبر ١٩٤٨ كتب"بن جوريون":

يعتقد "ساسون" أنه عن طريق"الملك "عبد الله" وحده أو بصورة أساسية نستطيع التوصل إلى إنهاء الحرب».

وفى يوميات ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ كتب"بن جوريون":

وصلت من [موشيه] دايان برقية (صدرت هذا الصبح ٥:٣٠.)هذا نصها: «ويلهلم[الاسم السرى لعبد الله التل - بموجب إشارة إلى ويلهلم التل] اتصل هاتفيا هذا الصباح وقال إنه كان عند الملك[عبد الله] أول من أمس، وهذا عيَّنه ممثلا للملك لإعداد مشروع سلام معنا. وسينضم إلى المحادثات الأخيرة أيضا الدكتور[الساطي]. وعندما يتم استكمال مشروعهم، سيعرضه الملك على مجلس الوزراء لإقراره. وإذا رفض مجلسَ الوزراء المشروع سيغير الملك الوزارة، نظراً إلى أن الملك هو الحاكم بأمره. اقترح بدء المحادثات منذ هذا المساء. مكان المحادثات فى القدس، فى موقع قريب من المنطقة الحرام، فى مبان تابعة لهم ولنا بالتبادل. جزمت بأن تبدأ المحادثات غدا مساء ٣٠/ ١٢، الساعة ٣٠: ١٨. طلب أن نحضر خرائط، وأوراقا، وما إلى هنالك، وأن نحضر بثياب مدنية. ساد هذه الليلة هدوء تام فى القدس. جنود الفيلق

يتجولون مكشوفين خارج مواقعهم. ويلهلم يشكو من أن جنودنا يطلقون النار على البدو وقطعانهم فى الجانب الشرقى من نهر الأردن قرب جسر الشيخ حسين والعدسية [القريبة من أشدوت يعقوف]، طلب وقف ذلك، وأكدت له أننا سنعالج الأمر. [تشاورت] مع [إلياهو] ساسون، و[يعقوب] دوري، ورؤوفين شيلواح، ساسون يقترح أن يذهب رؤوفين مع موشيه [دايان]. أعددت قائمة بالموضوعات التى ستطرح فى المحادثات.

وفى يوميات ٣٠ ديسمبر ١٩٤٨ كتب"بن جوريون":

ساسون"يحلل الوضع فى مصر، والعراق وسوريا ويتوصل إلى استنتاج مؤداه أن شرق الأردن الدولة المستقرة الوحيدة فى الشرق العربي، لأن الدولة هى الملك"..

ويعتقد ساسون"أنه لا ينبغى الخوف من وحدة شرق الأردن والعراق"

وفى يوميات ١٥ يناير ١٩٤٩ كتب "بن جوريون":

ـ فى الخامسة والنصف حضر يغئيل [يادين]. عاد من رودس بعد الظهر مع إلياهو ساسون. متفائلاً. المصريون يريدون السلام. وفدهم عسكري، لكن أحد العسكريين سيتزوج شقيقة الملك فاروق الكبرى، ونائب عزام [باشا] فى أمانة الجامعة العربية. سير المداولات جيد حتى الآن. يغئيل يحتج على بيان موشيه [شاريت] المرتبط (؟) [علامة الاستفهام فى المصدر] بالتزام جلاء المصريين قبل الهدنة. يعتقد يغئيل أنه يمكن السماح للمصريين بالبقاء فى الشريط الساحلى خلال فترة الهدنة. وفيما يتعلق بالفالوجة، فهو يؤيد تحريرها جزئيا، شرط أن يُرسَل [المسرحون] إلى خلف الحدود لا إلى غزة.

اقترحت على ساسون أن يعرب للملك عن احتجاجنا على دعوة البريطانيين ـ فى الوقت الذى تدور محادثات سلام؛ فهذا عمل عدائى وتهديدي، كما أنه يظهر تعلقه بالبريطانيين . سيطلب منه [من الملك] موافقة على ذهابنا إلى إيلات. وإذا طلب منه الضم، فعليه عدم إعطاء رد إيجابي، ولا رد سلبى أيضا.

لدى ساسون انطباع واضح أن المصريين يريدون السلام، وأنهم ضاقوا ذرعا بتورطهم فى سياسة عربية شاملة، وأنهم ذاقوا طعم الهزيمة المر.

وفى يوميات ١٦ يناير ١٩٤٩ كتب "بن جوريون":

العجوز "عبد الله" (الملك) يشكو من الإنجليز، ويطلب عدم ترك المصريين ـ لا سمح الله ـ فى غزة ومن المفضل أن نسلمها إلى الشيطان، أن نأخذها نحن شرط ألا يأخذها المصريون(!!).

وفى يوميات ١٧ يناير ١٩٤٩ كتب"بن جوريون":

ـ جاء موشيه دايان و[إلياهو] ساسون. سافرا إلى الشونة عبر الطريق العادي. وكان باب العمود خاليا من أى شخص خلال ذهابهما وإيابهما. ترتيبات الحراسة فى المدينة ممتازة قرب جسرا اللنبى جمرك وحراسة ممتازة. لم يتم توقيفهما سوى ٣ مرات: فى المدينة، وعلى جسرا اللنبى، وفى الشونة. وبينما كانا فى طريقهما، تحدث موشيه مع[عبد الله] التل بشأن حرية الانتقال إلى الخليج[خليج إيلات] وسيتحدث مع الملك فى هذا الشأن. عارض التل ذلك، قال إن عندهم بشأن الخليج خطة ـ مفادها أنه سيكون كله فى أيديهم، وسيسمحون لنا بالوصول إليه، كما فى حيفا ـ تأمين حرية الوصول إليهم. "إنهم لا يزمعون على التقدم، وهم مستعدون لتوقيع اتفاق عدم اعتداء، وعدم تقدم. كان الحديث مع الملك شاقا. كان عنده ـ بصورة غير متوقعة ـ بعض الضيوف، القنصل الأمريكى وآخرون. حضر الملك فى منتصف تناول الطعام. كان الحديث متوترا. تكلم ساسون والملك بالعربية. استمر الحديث ثلاثة أرباع الساعة، استهل الملك كلامه: يقال إننا أعداء ـ يشهد الله أننا لسنا أعداء.

سأل عن موشيه [دايان]، من هو، وطلب إرسال التحية إلى شرتوك ووايزمن وغولدا. غضب على غولدا، لأنها كانت قادرة على الحؤول دون الحرب ولم تفعل، وحسنٌ أنها أُرسلت إلى موسكو. قال ساسون إن لديه (لدى الملك) انطباعا مغلوطا فيه بشأن غولدا، ربما لأنها لم تكن قادرة على التكلم بالعربية. صب (الملك) جام غضبه على الدول العربية. إنه لا يعترف بحق أية دولة فى أن تكون موجودة فى البلد،

باستثناء اثنتين ـ إسرائيل وشرق الأردن. استخدم أيضا عبارة حكومة إسرائيل. إنه يتخوف من شيء واحد فقط ـ من الشيوعية ومن العلاقات بروسيا. رد ساسون [بأن إسرائيل] خائفة من إنجلترا: إنه لا يريد محادثات مشتركة مع الدول العربية. وهذه عليها المغادرة. مجلس وزرائه ومستشاروه البريطانيون يؤيدون محادثاته فى رودس بشأن الهدنة. إنه متردد. ليس مع الآخرين، وليس فى رودس. لماذا لا يجرى الأمر عنده؟ دعا ساسون وموشيه إلى الحضور إليه مرة أُخرى خلال أسبوعين. إنه الآن يدرس المشروع. وبعد أسبوعين سيرد علينا. وبالنسبة إلى رودس، فإن لديه تحذيرا وطلبا ـ إخراج المصريين من حدود البلد. ساسون رد بأنه كان شخصيا فى رودس وأن المحادثات عسكرية فقط، ومن الجائز أن يتم الاتفاق على بقاء المصريين[فى غزة]. قال: لا تفعلوا ذلك ـ لتبقَ حكومة إسرائيل هناك، ليبق الشيطان، [ليبق] أى أحد ما عدا مصر."

أكد عبد الله[التل] خلال رحلة العودة أن الملك كان صريحا جدا. قال طبيب الملك [الدكتور الساطي]. فى حديث قصير مع ساسون: تدبروا أمر التل وكل شيء سيكون على ما يرام.

■ ■

وفجأة وقع انقلاب فى سوريا، وتسلم مقاليد الحكم"حسنى الزعيم"!

وفى يوميات أبريل ١٩٤٩ كتب"بن جوريون":

طلب"ساسون" تأجيل محادثات الهدنة كى لا تكون إسرائيل أول من يعترف بالنظام الجديد، ونصح "ساسون" بالعمل على إضعاف "حسنى الزعيم" وعدم مفاوضته بشأن الهدنة!

وفى يوميات ٢ يونيو ١٩٤٩ كتب بن جوريون عن تفاصيل لقاءات "ساسون" مع رئيس الوفد المصري" عبد المنعم مصطفى" فى لوزان [اقرأ التفاصيل الكاملة فى الفصل الرابع]

وفى يوميات ٩ يوليو ١٩٤٩ كتب"بن جوريون":

يعتقد "ساسون" أن لا خوف من قيام العرب بمحاربتنا خلال ٣ ـ ٤ أعوام حتى لو لم يحل السلام.

■ ■

وحسب ما يرويه الكاتب الإسرائيلى "توم سيغف" فى كتابه (١٩٤٩ ـ الإسرائيليون الأوائل):

وفى مقابل الاتصالات التى جرت فى القدس بين "دايان" و"التل" جرت محادثات سياسية بين ممثلين عن الأردن وإلياهو ساسون"فى باريس ولندن.

وهيأت كل هذه المحادثات الأجواء لإجراء محادثات مباشرة فى قصور[الملك] عبد الله.

أثمرت المحادثات التى دارت فى الشونة وعمان. تقارير كثيرة، كان بعضها متناقضاً، وبعضها الآخر يزخر بالفولكلور أكثر مما يزخر بالتاريخ.

كان هدف أحد الاجتماعات الأولى مع الملك العمل على إطلاق نحو ٧٠٠ إسرائيلى من سكان الحى اليهودى وغوش عتسيون. كان الأردنيون قد أسروهم خلال الحرب.

وقد درج [الملك] عبد الله على تكريم ضيوفه الإسرائيليين بمآدب عامرة. وكان يكثر من سرد النوادر والأمثال العربية. وبعد المأدبة يروى لهم النكات والطرائف.

أما "ساسون" فكان يضحك حين يجب الضحك، ويتأثر عندما يستوجب الأمر التأثر!!

ورأى "ديان" فى ثرثرة الملك هدراً مملاً للوقت!!

كان "ساسون" الذى يكبر "ديان" بأكثر من عشرة أعوام، شديد الانسجام مع تلك الأجواء، وبدا أنه نسى مسألة الأسرى لشدة استمتاعه، وأخذ "ديان" يحثه من حين إلى آخر على ولوج الموضوع: هيا بنا!!

وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل. فالترتيب المبدئي، وحتى التفاصيل التقنية، بما

فى ذلك نـفقات انتقـال المطلق سراحـهم قد بُحث فـيها مسبـقا مع "التل"، وبـحسب "ديان" فلقد اتفق التل عليها مع الملك، لكن الملك لم يقل كلمته بعد(!!)

وروى "ساسون" فيما بعد (ما جرى بينه وبين الملك عبد الله) على النحو التالي:

وأخيراً عندما حان فى رأيى الوقت الملائم قلت لديان: هيا بنا!!

قمنا أنا وهـو، وقام الملك أيضا لمرافقتنـا إلى المدخل، وكنت أعرف أنهم يـتعانقون عادة عند الوداع. هذا ما كان يجرى فى الاجتماعات السابقة بيننا!!

وعندمـا تقدم الملك لـيعانقني، أدخلت يدى فى حـزامه وأمسكت بـه، وكان هذا إحدى عادات الأرسـتقراطيـة العربيـة، فإذا ما نجحـت فى القيـام بذلك نلـت كل ما تطلبه.

رفع الملك عبد الله يديه وقال:

ـ إليـاس، اطلب ما هـو ممكن فقـط، أي: أنى تحت أمـرك وتستطـيع أن تطلـب ما تشاء!

قلت: سأطلب الممكن فقط!!

ويكمل "ساسون": وكان ذلك مشهداً مسرحياً، الجميع واقفون ومحملقون، وديان و"التل" واقفان بينهما.

قلت: سيدى الملـك، لديك ٧٠٠ امرأة وطفل وشيخ وجندي، إن حـكومتك تدفع مالا لإطعامهم من أجل ماذا؟! أعطنا إياهم."

واستجاب الملك..(!!)

■ ■

ومع الوقت كـان هناك من عزا إلى "بن جوريـون" نية التخلى عن الـسلام من أجل المحافظة عـلى التوتر المطلـوب لتوحيد المجتمع الإسـرائيلى وبلورته. وكـان هناك من اتهم إسرائيل بأنها أضاعت فرصة السلام. غير أن المحاضر التى سُجلت فى الجلسات

المغلـقة، والبرقيات الـسرية التى تـبادلها قادة الحـكم، وحتى مذكرات "بـن جور
تعكس رغبة صادقة فى التوصل إلى اتفاق لكن ليس بأى ثمن.

كان"إلياهو ساسون" يختلف فى رؤيته عن "بن جوريون" ولكن!!

تفاصيل ولكن المتعلقة "بإلياهو ساسون" يفرد لها المؤلف" توم سيغف"محطة
يقول فيها:

غير أن"إلياهو سـاسون" كان الوحيد الذى تمسك خلال تلك المحـادثات باست
الفرصة لوضع أساس للتعايش العربى ـ اليهودى فى المدى الطويل.

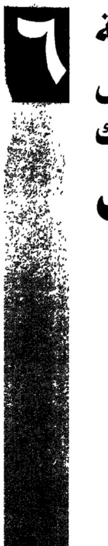
وذكر ـ أى سـاسون ـ فـى إحدى المناقـشات السـياسـية أن أمـام الدولـة طر
مفتوحين:"ففـى الإمكان مواصلة نشاطنا الـعسكرى بحيث نصد المصـريين من
وشرق الأردن من جـهة ثانيـة، والعراق من جهـة ثالثة، والسـوريين من جهـة ر
ونحصن حدودنا نقول إننا دولة غربية تتنـازل عن أية صلة لها بالشرق، فنحن لا
علاقة اقتصادية أو سياسية بالشرق ونحن داخل حدودنا، هذا هو الطريق الأول."

وكان"ساسـون" حسب رأى المؤلف ـ يعـتقد أن هذا ليس الـطريق الصحيـح.
رأيه أن على إسرائيل أن تنخرط فى العالم العربي، وأن تربطه بها".

وعنـدما وصل "ساسـون" إلى رودس فى الأيام الأخـيرة للمـفاوضات مع مـ
ساهم كثيراً فى إنجاحـها عبر محادثات غير رسمية أجراها مع المصـريين، مشيعًا
جواً مـن الثقة والـصداقة والاعتـدال والارتياح، وحـذر من أن يثقـل التصلـب
أظهره زملاؤه على استمرار العلاقات بين إسرائيل ومصر.

وكتب سـاسون فى إحدى بـرقياته إلى "شـاريت" طالبا رحـابة الصدر:"لـقد
المصريون تأكيدهم إنهم يرون فى الهدنة خطـوة واحدة فقط نحو المستقبل، فالمط
منك ومن"بـن جوريون"أن تتصرفا بـكل ما أوتيتما مـن قوة لمعالجة شئون الـسلا
كرستما نفسيكما لشئون الدفاع."

غير أن أحداً منهما لم يستجب له، إذ لم يكن رجلاً عملياً.



٦

يهودية
فى فراش
الملك

السياسة بأمر الجنس

كان الملك مبهوراً بأننى يهودية !!.

فى هـذه الكلمـات الخمس الـتى تعتـرف بها «إيريـن نجار» يكـمن فهم سـر هذه العلاقة الغريبة والمعقدة!!.

لم يكن اليهود غرباء على الملك فاروق فى يوم من الأيام!!.

منذ طفولته وسنوات عمره الأولى كان اليهود مـوجودين وبفاعلية لاتخطئها العين داخل كواليس ودهاليز القصور!.

لقد فتح فاروق عينيه ليجد أن كبيرة الوصيفات الخاصة بوالدته الملكة «نازلى» هى اليهودية مدام قطاوى، والـتى كانت بمثابة النافذة التى أطلت منهـا «نازلى» على الدنيا والعالم خارج القصر!!.

بل كـانت مدام قطـاوى واحدة من أقرب الـصديقـات لعشيـقة الملك فـؤاد وهى اليهودية مدام سوارس!!.

لقـد كانت السـيدة «سوارس» حبـيبة الملـك فؤاد وعشـيقته طـوال عشرين عـاماً، وكانت واحدة من أبرز سيدات المجتمع اليهودى فى القاهرة.

والأخطر من علاقة الحب مع الملك فؤاد «والد فاروق» أنها أجبرت الإنجليز على أن يجعلوا فؤاد ملكاً على مصر على الرغم من أن ترتيبه لم يكن طبقا للخلافة يسمح له بهذا المنصب.

والأهم من ذلـك أنه كانت لسوارس الـيد العليـا فى ترتيب زواج «فؤاد» مـن ابنة عمه الأميرة شويكار التى كان عمرها وقتها ١٩ سنة!.

كانت شويـكار من أغنى أميـرات مصر، وكان ذلك ضروريـاً وهاماً بالنسـبة لفؤاد الذى كان مـفلساً مـن لعب القـمار. وبعد حـصول فؤاد علـى أموال زوجته الأمـيرة «شويكار» قامت السيدة سوارس باستثمار هـذه النقود مع أصدقائها اليهود فى المجال الصناعى، وتحولت هذه الأموال إلى ثروة طائلة.

وفجأة ماتت السيدة"سوارس" بالسكتة القلبية فى إحدى الحفلات وهى ترقص مع الملك فؤاد!

وكذلك كان السيد "روبرت رولو" اليهودى هـو الصراف الشخصى للملك فؤاد والذى تولى نقل ثروة معقولة إلى إيطاليا لحساب الملك.

وفى كتاب "الملك الذى غدر به الجميع» كتب عادل ثابت" يقول:

"كانـت نازلـي" فى صباها فـتاة رومانسيـة قويـة الإرادة، فقد أحس الملـك فؤاد بوضوح إنه ينبغى التأكد من عزلها عن بقية العالم.

كانت كبيرة وصيفاتها سيدة يهودية هى مدام قطاوى باشا، القصيرة البدينة المرحة، والتى كانـت فيما سبق صديـقة حميمة للمـلك "فؤاد"، وواحدة من مضيـفات قصر الدوبارة.

وكانت مـدام "قطاوي" امرأة حلـوة الشمائل، لـها أنف معقـوف وشعر كستـنائى، ترتدى دائما ثياباً أنيقة، وتعد نموذجاً نبيـلا رائعاً لليهود الأرستقراطيين فى القاهرة فى ذلك الحين.

وكان آل قطاوى مـن اليهود السيفارديم مـع أصل أسبانى من بعيـد على الأرجح. الذيـن ينتمـون إلى تلـك الجالية المـتأنقـة من الأسر اليـهودية ،هـى التى أنشـأت الحى السـكـنى الـرشيـق فى قـصر الـدوبارة، وكـانـت تـشمـل آل عدس، وآل رولـو، وآل توليدانوس، وآل هراري، وكثيرين آخرين تتراوح أنشطتهم بين مناصب الدولة العليا، والبروز، فى دور الأعمال الكبرى.

وكان "قطاوي" باشا وزيراً، وابنه أصلان عضواً بارزاً فى برلمان الملك فؤاد.

وشاع فى تلك الأيام أن سر تعيين الملك فؤاد ليوسف أصلان قطاوى وزيراً للمالية فى حكومة"أحمد زيور" بـاشا هو مجاملة الملك لوصيفة شرف زوجـته الملكة"نازلي" حيث كانت زوجة يوسف قطاوى تشغل هذا المنصب الخطير والمؤثر!!

■ ■

باختـصار شديد لـم يكن "فاروق" فى طـفولته أو شـبابه غريبـاً أو بعيداً عـن نساء اليهود!!

ـ لكن علاقته باليهودية الحسناء الشابة المطلقة"إيسرين" كانت شيئا غريباً ولافتاً للانتباه، فقد اختلطت فيها السياسة بالجنس!! والمناقشات بالقبلات!!و..و

وتفاصيل الحكاية من الألف للياء تعرض لها الكاتب الصحفي"وليام ستاديم" فى كتابه الهامالذى صدرت ترجمته تحت عنوان «مملكتى فى سبيل امرأة» وقام بترجمته الأستاذ «محمد غنيم» وكتاب«القاهرة فى الحرب العالمية الثانية» تأليف «ارتيميس كوبر» وترجمة الأستاذ «محمد الخولى»..

■ ■

فى ذلك الوقت من صيف عام ١٩٤١ كانت "إيرين نجار" أجمل فتاة فى مصر".

كانت "إيرين" فتاة يهودية من الإسكندرية، حيث اعتاد نجوم المجتمع هناك ورجال السياسة والأحزاب والأجانب على متابعة نشاطها الاجتماعى البارز.

كان نجوم المجتمع وقتها يتابعون مجهودات"إيرين" فى جمع الأموال للمجهودات الحربية، وكانت أكبر وأهم هذه المناسبات هى حفلة الصليب الأحمرفى الإسكندرية!

وكان اللافت للنظر فى ذلك الوقت هو إدارة"إيرين" "لبار" حددت فيه سعر زجاجة الشمبانيا بمائة جنيه، أما سعر القبلة "الواحدة" فكان بمائة جنيه!!!

وكان الكل يتسابق على الفوز بقبلة من اليهودية الفاتنة المثيرة "إيرين نجار" تحت زعم أن هذه الأموال كلها تذهب فى نهاية الأمر إلى المجهود الحربي.

كان عمر"إيرين" فى ذلك الوقت ٢١ عاماً من عائلة يهودية عريقة تعمل بالتجارة، على وجه التحديد تجارة القطن.

فى سن السابعة عشرة حلمت "إيرين" بالتمثيل، وجاءت الفرصة الذهبية عندما عرض أحد كبار منتجى هوليوود على والدتها أن تقوم الابنة"إيرين" بتصوير فيلم فى "كاليفورنيا" وكان العقد المالى مثيراً ومغرياً.. لكن الأم رفضت. فقد كانت تعتبر أن كل الممثلات عاهرات.

بدأت الأم على الفور فى اتخاذ قرار بزواج "إيرين "الآن وليس غداً"!!

كانت الأم تتابع بقلق وسعادة وخوف وزهو جسد إيـرين الثائر الفائر المثير للانتباه والفتنة.

إن إيريـن تصف نفـسها وجـسدها بسـعادة شديدة فـتقول: بـصراحة كان قـوامى جميلاً جـداً، كنت ألعب السـباحة كثيراً، وركـوب الخيل، والتنس، وكـان أكثر شيء إثارة فى جسـمى هو صدرى (!!) لم يكن ممـتلئاً كما يـحبه الأمريكيون، ولـكنه كان جميلا جداً.

كانت الأم وابنتها "إيـرين" من رواد نادى سبورتنج السكندرى الـعريق، وبالصدفة أيضا كان من أبرز أعضائه اليهودى الإنجليزى البارز "لوريس نجار"!

يمكن القول أنه من النظرة الأولى ذاب البرود الإنجليزى ووقاره وانهارت مقاومة "لوريس نجار". وبسرعة تم الزواج!!

كان هذا الزواج مأساة كاملة "لإيرين" ذات السبعة عشر ربيعاً!!

كان عمر العريس ٢٩ عاماً، وعندما قامت الحرب ـ فى ١٩٣٩ ـ قام لوريس بتغيير اسمه إلى "جرانت" وانضم إلى الجيش الإنجليزي، كان الرجل باختصار عاشقا لكل ما هو إنجليزى وكارهاً لـكل ما هو إنجليزي، وكارها لكل ما هـو "نازى وألماني" وهو نفس ما شاركته فيه "إيرين" نفسها!!

لم يستمر الزواج سوى أربع سنوات ونصف السـنة بالضبط، لكن بداية المأساة فى هذا الزواج يرجع إلى الليلة الأولى منه!!

فى ليلة زفاف "لـوريس"(٢٩ سنة) وإيرين (١٧ سنة) ذهب الاثنان إلـى فندق المينا هاوس الذى يطل على الأهرام، والذى كان يقيم فيـه الزعيم البريطانى "تشرشل" أثناء سفره إلى القاهرة.

عشرات الأحـلام والمشاعر كـانت تتوقـعها "إيريـن"فى تلك الـليلة "لـيلة العـمر" وبسرعة جاء كل شيء سريعاً مخيباً لآمالها كأنثى وزوجة وعذراء!!

لم يبد"زوجها" أى اهتمام بجمالها الخرافي، تجاهل جسدها الفائر، لم يحاول أن يلمسها، لم يفكر أن يضمها إليه.

بهدوء شديد تقدم زوجها من حقيبة صغيرة كان يحملها، وأخرج عصا وزوج حذاء أسود حريمى بكعب مرتفع وجوربا أسود..، انتابت الدهشة"إيرين" ولم تفهم مغزى ما يفعله زوجها!!

كانت لا تزال غارقة فى أحلامها الوردية عندما فوجئت زوجها يطلب منها أن تضربه بالعصا حتى يسيل دمه!!

فوجئت إيرين واندهشت وارتبكت لهذا الطلب الغريب. والباقى معروف بالطبع!!

وفى الصباح، وقبل أن يصحو زوجها كانت قد غادرت غرفتها وجرت ناحية الأهرامات تبكي، لكن زوجها كان قد استطاع أن يصل إليها وطيب خاطرها وعادا معاً إلى غرفتهما..و.. تكرر نفس الطلب الغريب من زوجها الشاذ(!!)

واستسلمت"إيرين" وفيما بعد قالت:

لم أكن أتصور أن الطلاق شيء ممكن حدوثه، وكنت أظن أن الزواج مستمر للأبد، وكنت مضطرة أن أقوم بضربه حتى يسيل منه الدم ثم أمرر الكعب العالى للحذاء بعنف وقسوة فى هذه الجروح حتى يستطيع أن يمارس الجنس معي.. وكنت أفعل ذلك ثلاث مرات كل يوم.

وفى المرات التى كانت"إيرين" تعترض على ما تفعله كان زوجها يقول لها ببساطة وبرود: هذه هى الطريقة الطبيعية التى يتبعها الجميع.

بعد سنوات طويلة من انتهاء كل شى اعترفت "إيرين" قائلة:

ـ أصبت بالمرض والغثيان، أخذ شعرى يسقط، وأخيراً بعد أربع سنوات ونصف السنة استطعت أن أحصل على الطلاق، بعد كل هذا العناء يمكن أن تتصور السعادة التى أحسست بها عندما قابلت فاروق!!

■ ■

كانت قد مضت شهور قليلة على طلاق"إيرين"!!

وكان الملك فاروق يتابع أخبار "إيرين" أولا بأول!!

كانت"هيلين موصيري" واحدة من أصدق صديقات الملك الشاب، وكانت مقربة جداً لدرجة وجود خط تليفونى مباشر فى غرفتها يصلها بالملك فاروق!

وبتاريخ الأحد ١٠ يونيو ١٩٤٥ كتب السفير الإنجليزي"لورد كيلرن" فى يومياته يقول:

أقيم منذ عدة أيام حفل كبير ضم أصدقاء الملك المقربين من أمثال"هيلين موصيري" وغيرها،وكان لدى هيلين موصيرى تليفون خاص بجوار مخدعها.

وكان الملك "فاروق"وحده الذى يمكنه أن يتصل بها ليلاً أو نهاراً،وحدث أن اتصل بها الواحدة صباحاً لكى يقول لها إنه يرغب فى دعوة الأصدقاء للعب الميسر..إلخ".

وذات ليلة تسلل الأرق والملل إلى الملك الشاب، وكان أن طلب اليهودية"هيلين موصيري" وأوضح لها أنه يريد أن يقابل فتاة جديدة!!

وحسب نصيحة اليهودية "هيلين موصيري" فقد اختارت للملك المطلقة الشابة اليهودية "إيرين"!

وكان لابد من تدبير مناسبة لبداية اللقاء!!

ولم تكن هناك مناسبة أفضل من حفل الصليب الأحمر فى الإسكندرية لجمع التبرعات التى تذهب للمجهود الحربى.وكانت"هيلين موصيري" نفسها هى المسئولة والمنظمة لهذا الحفل!

ولم تجد "هيلين موصيري" صعوبة أو مشكلة فى إقناع "إيرين" بالمساهمة والاشتراك فى هذا الحفل الخيري!!

فى مناسبات سابقة كانت هيلين تطلب من "إيرين"أن تدير البار، وتقدم زجاجة الشمبانيا بمائة جنيه،والقبلة بمائة جنيه!!

أما فى هذه المرة فقد طلبت منها أن تقف على"بار" لا يقدم إلا عصير البرتقال!!

ولم تعـرف"إيرين" وقتها الـسبب فى جعـلها مسئـولة عن عصير الـبرتقال، عرفته فيما بعد وعلى لسان الملك فاروق نفسه!!

ببساطـة شديـدة إن الملـك فاروق سـيحـضر هـذا الحفـل وهو يـفضـل " البرتقال"!

لكن الأهم من تفضيل الملك لعصير البرتقال كان تفضيله "للألمان"!!

وهذا هو بالضبط ما كان يزعج الإنجليز واليهود فى مصر!!

منذ البداية لاحـظت وزارة الخارجيةالألمانية مدى كراهية "المـلك فاروق" لـ البريطـانى فى مصر. ولذا وضـعته منذ المراحـل الأولى من الحرب فى مقـدمة الذين يتزعمون تعبئة الرأى العام المصرى ضد بريطانيا!

والأكثر من هذا أنها اعتبرته من الجديرين بالعناية والمساعدة وقت الضرورة الملـك فاروق كان اسـم"على ماهـر" باشا فـى قائمـة الأسماء الـهامة بالـنسبـة الخارجية الألمانية.

ومن جانبه فقد حرص الملك فاروق على لفت نظر القيادة الألمانية إلى الأشـ المتفـقين معه فى المـيول المحورية بمصـر، فقد حرص عـلى إبلاغ المسئـولين فى الخارجية الألمانية بمغـزى التغيير الوزارى بحل وزارة "محمد محمـود" وتكليفـ ماهر" برئاسة الحكومـة التى ضمت عناصر معادية لبريطانـيا مثل"صالح حرب الحربية، و"عزيز المصري" رئيس هيئة أركـان الجيش، وعبد الرحمن عزام وزيرا الاجتماعية.

وقام الملك فاروق بتكليف "مراد باشا" وزير مصر المفوض فى برلين بالاجتمـ "فورمان" الوكيل المساعد بالخارجية الألمانية ومدير القسم السياسى بها، وفى الاـ الذى تم يوم ٢٨ أغسـطس ١٩٣٩، قدم"مراد باشا" بـاسم الملك فاروق التـوضـ التالية ومؤداها ما يلي:

١ - إن مصر أصبح لديها الآن مجلس للـوزراء غير متعاطف مع الإنجليز، وإن رئيس الحكومة «على ماهر» يعد موضع ثـقة الملك فاروق ومستشاره الأول، ولا يقل عن الملك فاروق فى عدائه للإنجليز.

٢ ـ إن الملك فاروق يخشى نتـيجة لعلاقته السيئة مع الإنجليـز من احتمال إجباره على التنازل عن العرش مثلما فعلوا مع الخديو عباس حلمى الثانى عام ١٩١٤.

لقد حصل مراد باشا ـ مـبعوث الملك على التأييد المعنوى فـقط، لكن"فورمان" لم يتطرق إلى الحديث عن مساندة أو إنقاذ الملك فى اللحظات الحرجة!!

ولم يترك فاروق عام ١٩٤٠ يمر إلا ويتقابل مع وزير بـلغاريا الذى يبعث لحكومته برسالة هامة جاء فيها: إن الملك فاروق استدعاه لإبلاغه القيادة الألمانية بتعاطفه معهم!

أما فـى عام ١٩٤١ فقد زاد حـماس الملـك فاروق لمزيـد من الاتصال بـالمسئـولين الألمان. خاصة بعد أن شعر باهتمام القيادة الألمانية بشخصه، وبما يجرى فى مصر!

مع بداية عام ١٩٤١ انتقل الملك إلى مرحلة الإعداد للتعاون الوثيق مع الألمان، من خلال قنـاتين، الأولى فى طهـران، وهى قناة مبـاشرة يمثله فـيها والد زوجتـه (فريدة) ووزيره المفوض فـى إيران"يوسف ذو الفقار باشـا". والجانب الألمانى يمثله وزيـر ألمانيا المفوض "إيتل"!

وكانـت القـناة الثـانيـة غير مـباشـرة. فكـانت فى بـغداد، وشـارك فيهـا أكثـرمن طرف"عزيز المصري" و"الحاج أمين الحسيني" مفتى فلسطين!

وفى نفس الوقت تجـاوبت وزارة الخارجية الألمانية مع جهـود الملك فاروق، وتابع "هتلر" باهتمام واضح الاتصالات التـى جرت مع الملك!! كما بادرت الاستخبارات الألمانية ـ التابعة للجيش ـ بالاتصال بـبعض ضباط الجيش المصرى من أصحاب الميول المحورية.

وفى مقابلة بين"يوسف ذو الفقار" (والد فريدة) وإيتل قام يوسف بإبلاغه أن الملك يعـانى من مصـاعب جمـة، وحمله رسـالة من المـلك فاروق مـؤداها"أن الملك يـكن

احتراماً عميقاً للزعيم هتلر وللشعب الألماني، ويود رؤية انتصار ألمانيا الحاسم على بريطانيا، كما يشارك الملك شعبه أمنية وصول القوات الألمانية إلى أرض مصر منتصرة ومحررة لمصر من الوجود الإنجليزى البغيض:"!

ويقول د. وجيه عتيق" فى كتابه إن الخارجية الألمانية عكفت أسبوعين على دراسة برقية إيتل ومحادثاته مع يوسف ذو الفقار، وقام وزير الخارجية" ريبنتروب" باطلاع "هتلر" على رسالة الملك فاروق. وأصدر هتلر تعليماته بالرد على رسالة الملك الذى جاء على شكل برقية مطولة وصلت طهران فى ٣٠ أبريل ١٩٤١ "إن هتلر استقبل باهتمام بالغ تصريحات الملك فاروق."

وطلب وزير الخارجية الألماني"ريبنتروب" من إيتل أن يحث السفير المصري"يوسف ذو الفقار" على سرعة إبلاغ الملك بتصريحات هتلر وإبلاغه باستعداد الجانب الألمانى لإقامة تعاون وثيق فى المنظور القريب، وأن يفوض الملك شخصا موثوقاً فيه من جانبه، وذا صلاحيات واسعة تؤهله رسمياً للتحدث باسم ملك مصر، وكذلك استعداد الحكومة الألمانية لاستماع مقترحات ووجهات نظر الملك المهمة فى هذا الصدد." وأكثر من هذا اهتمام الحكومة الألمانية بحياة الملك فاروق وببعض العناصر الأخرى الموالية لها."

ويلفت النظر اعتراف الملك فاروق للألمان بأنه أصبح تحت المراقبة الدقيقة من قبل عيون الإنجليز فى كل مكان، وأن المراقبة امتدت لتشمل قصره الخاص(عابدين) وطلب الملك من الألمان وضع أمر هذه المراقبة له فى الحسبان حتى لا يقع أدنى خطأ من جانبهم يكشفه أمام الإنجليز!

وهنا بالضبط تبدأ مهمة "إيرين نجار" اليهودية الشقراءالمثيرة!!

كانت المهمة سياسية بالدرجة الأولى، ولم يكن عصير البرتقال أوالجنس والقبلات فيما بعد إلا ستاراً لهذه المهمة المثيرة!!

■ ■

ووصل الملك فاروق إلى الحفل!!

وقادته قدماه إلى البار الذى تقف عليه "إيرين" ليتناول عصير البرتقال.

ولشدة دهشة الملك فـاروق لم يجد "إيرين" عند بار البرتقال حسـب اتفاقه السابق مع"هيلين موصيري"، ولابد أن "هيلين" قد أصابها الفزع والارتباك لعدم تنفيذ"إيرين" ما سبق أن اتفقت معها عليه!!

وفى تلك اللـحظة بالضبط كانت "إيريـن" تقف على إحدى موائد القـمار محاطة بفرقـة من الضبـاط الإنجليز فى مـلابسهم الـرسمية، والمـلفت للنـظر هو قيـام أعضاء المجتمع السكندرى البارزين بالعمل على خدمتهم.

فى تلـك الليلة كانـت"إيرين" ترتدى ثوبـاً أبيض موسلين عـليه شغل إبرة لـريشة حمـراء(علامة الـصليـب الأحمر) حـول أحرف الثـوب ومزين بـريشتـين كبيـرتين حقيقيتين لونهما أحمر.

وأحست إيرين وهـى منهمكة فى لعب الـقمار بأن هناك من يتفـحص هذا الثوب الذى أبدعته مدام "برتن" مصممة الأزياء الأولى فى الإسكندرية.

استدارات "إيرين" خلفها لتجد نفسها فى مواجهة ملك مصر فاروق وهو يرتدى بدلة عسكرية ملكية صيفية.

كانت هيئة وشكل كل منهما لا تعطى السن والعمر الحقيقى لصاحبها!!

كان شكل ومنظر"فاروق" أكثر بسنوات من عمره الحقيقى وهو ٢١ سنة!!

وكانت"إيرين" تبدو أقل كثيراً من عمرها الحقيقي أيضا وهو ٢١ سنة!!

وطال وقوف المـلك فاروق خلـف"إيرين"، وفهـمت حاشيـة الملك مغـزى رسالة الملك لهم، فجاءوا على الفور بعرش مطلى بالذهب ليجلس عليه الملك!!

لكـن الملك لـم يجـلس عـليه، وإزاء دهشـة الحاضريـن جميـعا طـلب من إيـرين الجلوس على هذا العرش، وجلس بجوارها على مقعد صغير.

كانت الحفلة بـأكملها قد انتقلت بـأبصارها إلى حيث الملك وما فـعله مع"إيرين"، وفى لمح البصر كانت "إيرين" قبلة الأنظار ومحط الاهتمام بالكامل!!

وأمام الجميع وبشهادتهم أيضا لعب الاثنان القمار،وكسبت "إيرين"!!

ولم يستطع "فاروق" أن يخفى سعادته بتعـرفه على"إيرين" واعترف لها ببساطة أنه هو الذى طلب من"هيلين موصيري" أن تجعلها تقف على بار عصير البرتقال!!

ولم يدع فاروق الفرصة تفلت منه، ودعا "إيرين" إلى السباحة معه فى منتصف الليلة فى قصره بالمنتزه!

لكن المفاجأة أن"إيرين" شكرته ورفضت الدعوة، بل تركت مائدة القمار، ونهضت من على كرسى العرش فى طريقها إلى خارج الحفل!!

كان التصرف غريباً ومدهشا ولافتاً للانتباه بشدة!!

■ ■

من بعيد لبعيد كان "سير مايلز لامبسون " السفير البريطانى يتابع ما يحدث بين"إيرين" وبين الملك فاروق!!

لقد كان لامبسون يكره فاروق ويحتقره، ويعامله كصبى أحمق، وكان شعور فاروق تجاه لامبسون أنه متعجرف ومتسلط!! كلاهما كان لا يطيق الآخر!!

كانت هواجس "لامبسون" تزداد تجاه تنامى مشاعر"فاروق" الموالية نحو الألمان!! وكان لابد من حل، وهنا بدأ دور "إيرين لجار"!

قبل أن تغادر"إيرين" مكان الاحتفال كان قد لحق بها"لامبسون" وسارا معاً إلى إحدى الشرفات التى تطل على أضواء وأنوار الإسكندرية المتلألئة.

كانت "إيرين" تكره الألمان والنازى من أعماق قلبها، وكانت تميل بعواطفها ومشاعرها إلى"الإنجليز" وكذلك للأمريكيين ! هكذا كانت معلومات السفير عنها!!

قال مايلز لامبسون لها: يجب أن تقابليه.

ردت إيرين: بعناد: لن أقابله!

بالبرود الإنجليزى الشهير عاد "السفير الإنجليزي"لامبسون" يقول:

ـ وبالطبع يجب أن تذهبى معه للسباحة فى القصر!.

وعلى ما يبدو فقد أدركت "إيرين" مغزى كلمات السفير البريطاني ودلالتها ليهودية مثلها فقالت على الفور:

ـ لست مهتمة إطلاقاً بفاروق، ولكنني سأفعل ذلك فقط لأني أكره الألمان. سأفعل ذلك لأننا يجب أن نكسب الحرب. وبأى ثمن!!

وابتسم السفير ولم تبادله "إيرين" الابتسام!

وفيما بعد قالت إيرين. كان (الملك) مولعا بالسيارات فأعطاه الألمان أجمل سيارة خاصة مرسيدس رودستر "وكطفل فضل اللعبة الأحسن، وهذا الذى أوصله إلى فكرة إخراج الإنجليز الذين قدموا له المضارب الذهب، إذا كسب الألمان الحرب وسيصبح ملكا حقيقياً."

كانت "إيرين" عميقة الإيمان فى كراهيتها للألمان، ومن هنا بدأت مهمتها التى استمرت طوال عامين! أن تنجى فاروق من قبضة هتلر الشرسة!!

تركت "إيرين نجار" السفير البريطانى فى مكان الحفل، واستقلت سيارة "رولز رويس" إلى منزلها وأحضرت "مايوه"، وفى حوالى الثانية صباحاً وصلت إلى القصر كان الملك فى انتظارها على شاطىء البحر وكان لا يزال يرتدى بذلته العسكرية!

ارتدت "إيرين" مايوها أبيض اللون فبدت مثل إحدى حوريات البحر، واندفعت بشقاوة ومرح وقفزت إلى مياه البحر، وظل الملك فاروق واقفا ينظر إليها مبهوراً ومندهشاً.

وظل الحال على هذا النحو حتى انتهت "إيرين" من السباحة، وخرجت من البحر، وذهبت إلى داخل القصر لتغير ثيابها. وفجأة تذكرت أنها نسيت "صندلها" هناك على الشاطىء، ولدهشتها فوجئت بالملك يذهب مسرعاً إلى الشاطىء ليأتيها بالصندل!!

ولم تكن تلك هى المفاجأة الوحيدة فيما جرى تلك الليلة.

كانت المفاجأة الأخرى التى حيرتها ولم تعرف سرها إلا بعد فترة طويلة أن الملك لم يفعل معها شيئا ـ أى شيء ـ وركبت السيارة الرولز رويس وعادت إلى منزلها عند الفجر!!

وكأن شيئا لم يكن.

■ ■

لم تنم "إيرين نجار" فى تلك الليلة!

كان نور الصباح قد أوشك على الطلوع عندما وصلت إلى بيتها!!

كان والدها ووالدتها قد ناما منذ فترة طويلة، وحتى لو كانا مستيقظين فالأمر لن يختلف كثيراً معها، فلم تكن تصرفاتها وسلوكها منذ طلاقها مثار دهشة أو استنكار منهما.

لقد اعتاد الأبوان على سلوكها المتحرر، وتصرفاتها الجريئة، والتى كانت مثار حديث الطبقة الأرستقراطية فى ليالى وسهرات الإسكندرية!!

كانت الأسئلة والتساؤلات تملأ رأس "إيرين" مما أطار النوم من عينيها!!

كان أكثر ما يحيرها موقف الملك منها منذ ساعات عندما دعاها إلى قصره للسباحة وتركها تسبح بمفردها ،واكتفى بالفرجة عليها!! اكتفى بالهمس دون اللمس!!

وكان أكثر ما يدهشها عندما ذهب ملك مصر بنفسه لإحضار "صندلها" التى نسيته عند الشاطىء!!

وكان أكثر من ذلك كله أن الملك لم يحاول أن يعاكسها وليس تقبيلها؟!

وقررت "إيرين" أن تريح وتستريح بنسيان وتجاهل هذه الأسئلة التى لا تجد لها إجابة.

وهنا بالضبط دق جرس التليفون بجوار سريرها، ورفعت السماعة بشىء من الكسل وربما الغيظ، من هذا المتحدث السخيف فى تلك الساعة وماذا يريد؟!

كان المتحدث هو الملك فاروق نفسه، لكنه لم يذكر اسمه.. وعندما سألته "إيرين" عن اسمه اكتفى بأن يقول لها: أنا.

عادت إيرين لتسأله بدلال أنثوي: وبماذا تريد أن أناديك يا أنت؟!

وأجاب فاروق عن سؤالها بسؤال آخر: بماذا تريدين أن أناديكِ؟!

صمتت إيرين فقال لها فاروق: سأقول لك بوتشي!!

وردت عليه إيرين بسرعة: وأنا أيضا سأناديك بوتشي!!

وعاد فاروق يقول لها: متى أستطيع أن أراك؟!

قالت بسرعة وجرأة لن تستطيع رؤيتي، فأنا مشغولة جدًا!!

صدم الملك فاروق من جوابها لكن باقى جوابها صدمه أكثر وفاجأه أيضا، فقد قالت له:

- وبالإضافة إلى ذلك أنا أكره الأشخاص الذين لديهم لحية!!

■ ■

كان الملك فاروق فى ذلك الوقت - عام ١٩٤١ - قد أطلق لحيته فى حركة سياسية أراد بها أن يتقرب من "الإخوان المسلمين" بزعامة الشيخ حسن البنا.

وكان حريصا على أن تبدو صورته للمصريين بمظهر المصرى المؤمن الورع الذى يحرص على الصلاة ومبادىء الإسلام.

ولم تكن إيرين بالطبع تفهم هذه الخلفية!!

اندهش الملك وفوجىء بكلام إيرين. إنها تكره الأشخاص الذين لديهم لحية!!

وعلى الرغم من إلحاح "إيرين" على "فاروق" بحلق لحيته لكنه كان يرفض باستماتة!!

وكان "فاروق" يتصل يومياً بإيرين ويصر على مقابلتها، لكنها كانت ترفض الذهاب إليه، وكان السفير البريطانى "لامبسون" فى قلب الصورة من هذه المحاولات بين الملك وإيرين!

ويبدو أن السفير كان قد تضايق من هذا الرفض المستمر من جانبها، وحسب ما جاء فى كتاب"وليم ستاديم" .بعد هذه المحاولات الكثيرة من فاروق ولامبسون وافقت "إيرين" على الذهاب لمقابلة الملك فى قصره بالمنتزه فى موعد غرامى حقيقى هكذا حددت هدفها منذ البداية!!

تقول إيرين بعد سنوات من هذه الواقعة:"ارتديت ثوباً دانتيل صغيراً أسود كان من الصعب خلعه، وكنت متأكدة أنه لن يستطيع الوصول إلى أى شىء وأنا مرتدية هذا الثوب".

فى تلك الليلة كان العشاء يكفى عشرة أشخاص، كان العشاء مكونا من الجمبرى والحمام وأكلات بحرية قام بطهوها شيف فرنسي، وقدمها أربعة سفرجية سودانيون فى غرفة نوم الملك الواسعة التى تطل على البحر، وكان الملك ليلتها مرتدياً بدلة عسكرية ملكية!!

وأثناء العشاء فوجئت «إيرين" بالملك يتحدث طويلا عن عائلتها وعن زواجها الفاشل.. و ...

وبعد أن استمعت "إيرين" من فاروق عن ملخص كامل لحياتها وأسرتها هنأته مثل تلميذ مجتهد فى مذاكرة دروسه وقالت له:

ـ لقد أديت واجباتك المدرسية دون أية أخطاء!

لكن «إيرين» تعلق على ذلك كله بقولها: كان لدى فاروق جواسيس فى كل مكان، إنه اكبر إنسان فضولى فى العالم، إذا عطست يجب أن يعرف ذلك.

وكان مما قالته أيضا عن شخصيته:"كان فاروق مثل طفل يريد أن يحصل على لعبة، وكلما أسأت معاملته أصر على الحصول على هذه اللعبة".

وانتهت «إيرين» من تناول العشاء وطلبت من فاروق أن تعود إلى بيتها!

قال لها فاروق: ألا ترغبين فى البقاء لبعض الوقت؟!

ردت بدلال: ماذا نفعل؟!

ببساطة أجابها فاروق: تثيريني(!!)

وكأنها لم تسمعه عادت إيرين تقول:

ـ أنا فعلا أريد أن أعود إلى المنزل!

وفى الساعة الثانية عشرة والنصف كانت سيارة كاديلاك من القصر تعود "بإيرين" إلى منزلها... وبعد عشر دقائق بالضبط كان"فاروق" يتصل بها تليفونيا ويطلب أن يراها مرة أخرى.

وتكررت اللقاءات طوال شهرين بين فاروق وإيرين!

وعندما بلغت "إيرين" سن السبعين قالت فى حوارصحفى وهى تضحك:

ـ بصراحة لم يكن الملك دون جوان!! لم يكن مهتما بالجنس!! لم تكن لديه أية شهية للجنس، ولم يكن يسعى إلى العلاقات الجنسية، كان ذلك كله بعيداً عن تفكيره!!"

■ ■

انتهت شهور صيف وبدأت أيام الخريف!!

وعاد الملك إلى القاهرة تاركاً الإسكندرية. فى نفس الوقت كانت أسرة "إيرين" فى طريقها إلى القاهرة حيث استأجرت شقة بميدان سليمان باشا لقضاء شهور الشتاء وتلقت «إيرين» دعوة من فاروق لقضاء عطلة نهاية الأسبوع بأكملها فى قصر عابدين.

واستجابت «إيرين» لدعوة الملك ولم تهتم بوالديها. فقد كانا لا يهتمان بأى أمر يخصها حتى ولوكان هذا الأمر مع الملك نفسه!!

أما «إيرين» التى عرفت الملك طوال شهرين فقد قالت معلقة:

«إذا كان الرجل يريد شيئا، لن ينتظر كل هذا الوقت» .

ونترك "إيرين" تصف ما جرى بينها وبين الملك فى قصر عابدين فتقول:

ـ لقد أمضينا ليلـة رائعة فى جناحه بالقصر!! فتح الخدم حقيـبة ملابسى فى غرفة نومه، ولكن ذلك لم يزعجني، لم أكن ألبس أى ملابس نوم، كان الجو حاراً جداً.

وسألته: هل يضايقك إذا نمت وأنا عارية؟!!

ورد الملك: لن يضايقنى لو نمتِ عارية أومرتدية لملابسك!!

وتكمل إيـرين قولها إن الملك لـم يكن يرتدى أى ملابس وهـو نائم،وقام بتقبـيلها على وجنتيها ،ونـام كل منا عارياً تماماً فى أكبر سرير رأيتـه فى حياتي، دون أن يحدث أى شيء بيننا.

وفى صباح اليوم التالى انتقلنا إلى حمام السباحة الداخلى للقصر، ولعبنا فى حمام السباحة، ونحن عرايـا مثل طفلين صغيرين فى يوم الإجازة. لم تـكن هنا أية علاقات جنسـية على الإطلاق، ولقـد كنت سعيـدة بذلك خاصة بـعدما عانيت مـن ذلك فى زواجي.

كان الجنـس هو آخر ما يفـكر فيه الملك الشاب وقتها، وكـان هذا ما يسعـد إيرين التى تقول:

"كان الجنس بعيداً عن تـفكيره، لقد كان يريد أن يضمنى مثلمـا يمسك طفل بقطة صغيرة. كـان يحضن رأسى بين ذراعـيه ويقول: يالهـا من رأس جميل أو قد يـضغط على قـدمى ويقول يـالها من قـدم جميلـة،وكان يُقبـل وجنتى كـما كان يأكـل الآيس كريم".

■ ■

وهكذا استراحت «إيرين» اليهودية الشقراء لهذه العلاقة مع الملك فاروق!!

وذات يوم أخبرها الملك أنه يحبها!!وبجنون!!

لكن «إيرين» فاجأت الملك بسؤال لم يتوقعه ولم يخطر بباله:

ـ ولكن ماذا عن فاطمة طوسون؟!

كان سؤال "إيرين" للملك يحمل طابع اللوم والعتاب، فقد كانت الشائعات وقتها تدور حول علاقة مثيرة بين الملك وبين النبيلة"فاطمة طوسون"!

وأخبر فاروق، إيرين بأن "فاطمة طوسون" زوجة ابن عمه قد ولدت بنتاً لكنه لم يعط للموضوع أى اهتمام وأرسل لفاطمة عقداً من الجواهر فى المستشفى ولم يذهب لزيارتها على الإطلاق!!

وتصور فاروق أنه بهذه الإجابة يكون قد قدم لإيرين دليلا كافياً على عدم وجود أية علاقة بينه وبين فاطمة طوسون!

ولم تكن" إيرين"على استعداد لأن تصدق إجابة الملك حتى لو أقسم لها!!

وبحسب كلمات"إيرين لجار" نفسها فقد "كانت فاطمة تريد أن يطرد (فاروق) فريدة من حياته ويجعلها ملكة لمصر، فالطلاق ممكن فى الإسلام، كل ما سيفعله فاروق أن يقول لها أنت طالق ثلاث مرات وينتهى كل شيء. وافق فاروق على ذلك ولكنه اشترط على فاطمة أن تعطيه ولداً حتى يتزوجها، ولكنه لم يكن جاداً معها، وإلا فلماذا بحث عني» .

■ ■

"كانت الأميرة فاطمة طوسون زوجة ابن الأمير عمر طوسون"أولى علاقات فاروق الغرامية غير الشرعية، وكان الأمير عمر طوسون يرقى مع الأمير محمد علي، وذلك على صعيد قمة العائلة الملكية فى البلد، وكان ورعاً مسلماً من المدرسة القديمة وقد آمن بأن مكان المرأة فى جناح النساء فى القصر الإسلامي، وبأن الشباب المستقيمين لا يجب أن يدخنوا أو يحتسوا الخمر أو حتى يضعوا ساقاً على ساق!!

وأصيب الأمير عمر بصدمة لقيام ولديه الأميرين"سعيد " و"حسن" طوسون بشرب الخمر وسباق الخيل وانتهاج سبل المعيشة الغربية، والذى صدمه أكثر هو التحرر الغربى لزوجتى ولديه" ماهاميش" و"فاطمة" اللتين صارتا صديقتين وبسرعة لابن العم الملك فاروق، كما أنهما صارتا من أشد المعجبات به! حيث كان بياض

البشرة فى مجتمع تلفحه شمس الصحراء هو الجمال الذى كانت تتمتع به فاطمة، وجسمها المكتنز باللحم قليلا، كانت تعتبر إحدى أجمل الجميلات.

ويقال ـ حسب كلام ولـيام ستاديم نفسه ـ إن جمالها يـضارع وسامة فاروق ولأنه لم يلتفت إليها على الإطلاق، ربما فقد دفعها هذا الأمر فى الحقيقة إلى أحضان أميرها الذى يكبرها بعشرين سنة أو أكثر.

وعندما رأي "فـاروق " فاطمة أخيراً لـم يمنعها الزواج مـن تبادل الشعور مـعه فلم يجذب أى أحد ببساطة انتباه الملك إليها، ودعا "فـاروق" لقضاء أمسيـات على ضوء القـمر فى أحب مـكان للقـاءاته وهو قـصر صغيـر فى غايـة الزخرفة عـلى النيـل فى حلوان، له شرفات شاملة. حيث النسمـات العليلة وروائح الياسمين والخدم والحشم المدلل الذين يجعلون أى إنسان يبدو كملك، ملك حقيقى على وجه الخصوص.

كان هـناك قيـل وقال لا ينـتهى حـيال طلاق وزواج مـرة ثانيـة، وأن الطفـل الذى تحمله "فاطمة" فى أحشائها هو طفل الملك وليس طفل الأمير، وعندما اتضح أن الطفل فتاة لُقبت فى بعض الدوائر "الآنسة الملكية". و!!

وتحولت اهتمامات فـاروق إلى الشقراء الجميلة أنيقة المظهـر إلى حد بعيد، إلا أنه من المستحيل الزواج بالمطلقة "إيرين نجار" اليهودية الإسكندرانية.

■ ■

كان الإنسان الوحيد الذى يطيعه "فاروق" هو والده الملك فؤاد!

كان أبوه بالـنسبة له هو "الحكيم"، وقد أفهمـه أبوه أن أحسن امرأة فى الـعالم هى المرأة اليهودية، وخاصة عندما تكون متعلمة!!

لـم تكن خبرة الملك فؤاد التى نقلهـا لابنه "فاروق" آتية من فراغ بل من تجربة عشق مع يهودية دامت عشريـن سنة، بل كانت نهايتها بين ذراعيه وأحـضانه عندما فوجىء بوفاة "مدام سوارس"

وإذا كان الملـك فؤاد لم ينس أبـداً قصة حبـه لمدام سوارس، فإن فاروق أيـضا لم ينس قصة هذا الحب، بـل ورأى فى الحسناء الشقراء اليهودية "إيـرين" فرصة لا تتكرر كثيراً لإحياء حكمة والده!!

يقول"وليام ستاديم":

كان فاروق يحب أن يحصل على أفضل الأشياء دائما، فالملك يمتلك كل شيء، بما ذلك عشيقة يهودية.

بدأ فاروق يخرج مع "إيرين" فى الحفلات العامة، لقد أصبحت "خليلته" الرسمية، يحلق ذقنه، وتذهب إلى حفلات الشاى الإنجليزية، ومقابل ذلك يصر على أن تصبح"إيرين" مسلمة وأعطاها إحدى هداياه النادرة، مصحفاً صغيرا مرصعاً بالجواهر.

وأرسل اليها مدرساً عربياً لمدة ساعة كل صباح ليدرس لها دروساً فى القرآن الكريم، وأطلق عليها اسماً عربياً جديداً "فتحية" وهو نفس اسم شقيقته الصغرى.

وكانت"إيرين" تكره أن تستيقظ كل صباح على دروس فى التقوى، ولكنها حاولت أن تسايره.

وكانت جائزة «إيرين» أنها أصبحت مشهورة، بل أكثر من مشهورة فى القاهرة ومجتمعاتها الراقية.

كانا ـ الملك وإيرين ـ يذهبان إلى النوادى الليلية مثل"سكاربي" و"الكيت كات"، وكانت هذه النوادى ممتلئة بالجواسيس، بما فيهم فتيات الاستعراض من المجر.

عند وصولهما كانت الفرقة الموسيقية تتوقف عن العزف وتعزف إحدى أنغام فاروق المفضلة "كل ما حظيت به منك كانت ركلة".

وفيما بعد تذكرت إيرين هذه الحفلات وغيرها فتقول:

"لقد كنت أرتدى وشاحاً حتى لا يعرفنى أحد، ولكن حتى المتسولين الصغار فى الشوارع يعرفوننى ويحيوننى بصوت مرتفع "تعيش إيرين"!

أخذنى فاروق إلى الحفلات العظيمة التى كانت تقيمها الأميرة شويكار، زوجة أبيه الأولى، وكان فاروق يحب "شويكار" لأنها كانت تتذكر عيد ميلاده دائماً.

كانت تعيش فى حديقة كبيرة وبها خيام ملونة. تقدم المأكولات الفرنسية والإيطالية والروسية، وتقدم الشمبانيا الوردية بالجالون.

وهناك ثلاث فرق موسيقية وأربعمائة مدعو، هؤلاء المدعوون بأكملهم كانوا يقفون على المقاعد لينظروا إليّ عندما نصل، ويقولون: بعد انتهاء الحرب ستكون هذه المرأة الملكة الثانية لمصر!!

وبدأت "إيرين"في تقديم الملك إلى دائرتها ـ الدائرة الإنجليزية ـ وفي أول الأمر كان فاروق يرفض الذهاب، لكن سرعان ما تراجع عن رفضه!! وتحكي إيرين:

ذات مرة ـ عندما كنت أرتدي ملابسي للذهاب إلى حفل، ركع الملك على ركبتيه وأمسك بساقي وقال لي:

ـ أنت جميلة جداً، أرجوك لا تذهبي!

قالت: لو لم تكن بهذا الغباء لذهبت معي!

ولم يأت الملك معي، ولكنه حلق ذقنه في اليوم التالي."!!

■ ■

كانت "إيرين"محبوبة من الجميع عدا والدتها التي طردتها من المنزل لتعيش بمفردها وحيدة وضائعة!!

وكان ذلك أفضل كثيراً بالنسبة لإيرين التي لم تكن على علاقة طيبة مع والدتها، ولم تستطع أن تسامحها أبداً لإكراهها على الزواج من"نجار" وقالت إيرين فيما بعد:

لو كنت قد تزوجت ملك إنجلترا نفسه لكانت والدتي قد وجدت أي خطأ في ذلك.!!

ولم أرافق فاروق فقط لأنني كنت أريد أن أصبح ملكة مصر، لقد أردت فقط أن أتحرر من والدتي.

كانت والدة إيرين، تجعل ملك مصر ينتظر في الشارع كلما جاء في إحدى سياراته الرولز" أو"البوجاني" ليأخذ إيرين. لم تكن تدعوه للصعود إلى الشقة أبداً وقالت إيرين:

"إن والدتى كانت تقول لي: إنه عندما يستولى الألمان على مصر ستكون"إيرين" أول من يعدم شنقاً فى ميدان محمد على!!

كنت أرتب رحلات الصيد فى الإجازة الأسبوعية إلى أنشاص والفيوم، كنت أدعو كل أصدقائى الإنجليز، كان الناس يرتعدون عندما يدعو نفسه إلى منازلهم، لم يرسل لأحد ورودًا. لم يدخل أى منزل ومعه هدية مناسبة.

وعندما كان يزور الأصدقاء كانوا يخبئون الأشياء الثمينة حتى لا يراه.ا لأنه إذا رأى شيئاً وأعجبه يرسل لهذا المنزل عربة نقل فى اليوم التالى ليجمعه.

عندما يريد فاروق شيئا ـ هكذا تقول إيرين ـ يظل وراءه حتى يحصل عليه تماما مثلما فعل بالنسبة لي.

وتعترف "إيرين" بأنها" لم تقابل أبداً الملكة فريدة، فهى أى الملكة لم تكن تذهب إلى هذه الحفلات، ولكنها كانت تظهر فى المناسبات الرسمية، ولم تصطدم إيرين بفريدة أو بناتها فى القصر على الإطلاق.

كان قصر عابدين يحتوى على خمسمائة غرفة، وكانت السيدات فى الحرملك، أما أنا ـ إيرين ـ فقد كنت مع فاروق فى السلاملك.

كنا نلعب ألعاب على بابا، ونمشى من خلال هذه الأبواب المزخرفة فى منتصف الليل ونحن عرايا، نفتح أبوابا سرية تقود إلى غرف تحتوى على جواهر خرافية. ولكنه لم يكن يعرف عنها شيئا. كان يفتح درجًا به جواهر بملايين الجنيهات، ودرجًا آخر به زمرد، وآخر به ياقوت، ولكنه يقفلها مباشرة لأنه يخاف أن آخذ أى شيء منها!!

تضيف إيرين: ثم ننزل إلى الجراج الملكى ويضغط على أزرار فتفتح الأبواب ويرينى جميع السيارات، كانت كلها بلون واحد هو"الأحمر" ولم يسمح لأحد فى مصر كلها غير الملك أن يمتلك سيارة حمراء. كان هناك قانون يحرم ذلك.

وكنا نذهب إلى الأهرامات فى منتصف الليل لننظر إلى الأهرامات وأبى الهول، وعلى الرغم من ذلك لم تكن له أية اهتمامات بالتاريخ أو الآثار!!

لم يستمع قط للموسيقى، كانت فكرته الوحيدة عن الثقافة والسينما، ولم يكن يلعب بأوراق اللعب حتى ارتكبت خطأ واشتريت له ورقاً للعب، وعلمته كيف يلعب فتعلق بذلك.

فقد كان فاروق مصابا بمرض الأرق، وكان لديه ثلاثة تليفونات بجانب المخدع ليطلب أصدقاءه الساعة الثالثة صباحاً، ويدعوهم للحضور للعب الورق معه، ولم يكن أحد يستطيع أن يرفض طلب الملك!

كان مغروراً لأن جميع الأشخاص المهمين كانوا ينحنون له ويقولون : "جلالتك"!

ولكن إلا أنا -أي إيرين - لم أقل له جلالتك مرة واحدة في حياتي.!!

■ ■

كان يسوق بمهارة شديدة .. يسوق ويصطاد ويركب اليخت. تلك هي هواياته المفضلة.

ولعبته المفضلة أن ينزل إلى حمام السباحة وهو عار تماما، كان دائما يلبس خاتمه الزمرد الكبير، وكنا ذات مرة يُحمي كل منا الآخر بالصابون في حمام السباحة وأمسكت الخاتم وقلت له:

- هذا ملكي الآن!!

ولكنه خرج مسرعاً من الحمام لأنه فكر أنني سآخذ الخاتم منه!!

ذات مرة قال لي فاروق يجب أن يزداد وزنك، ولكني قلت له إن هذا مستحيل لأنني أجري وأعوم وألعب چيمانزيوم. كان وزني حينئذ خمسة وأربعين كيلو جرامًا، وكان محيط وسطي هو نفس محيط رأسي، بالنسبة للشرقيين يعتبرون المرأة النحيفة فقيرة».

شغلني هذا الطلب لابد أن فاروق لديه أفكاراً أخرى، ولذلك يريدني أن أزيد وزني لكنه لم يكن يفكر في ذلك كان فقط يستفزني!

استمرت "إيرين" عشيقة فاروق الرسمية لمدة عامين!!

فى أغلب الأحيان يناماـن عاريين معاً، يلعبان ألعاب الماء فى حمام سباحة القصر ويثرثران لم يكن فاروق معقداً من شىء.. كانت عقدته الوحيدة ثقته الزائدة فى نفسه.

كان ينام عارياً دائما ولم"يشخر" أبداً.

لم نكن نتكلم فى السياسة، كنا فقط نثرثر عن الناس بكلام لا قيمة له، كان يجعلنى أقول له فكاهات مضحكة أو نكتاً جنسية!!

كان فاروق يتحدث ويتكلم معى حتى الساعة الخامسة صباحاً فى لا شىء، مجرد ثرثرة. ما الذى ستفعلينه غداً؟! من الذى يعد الحفلة ؟! من الذى خسر فى لعب القمار؟! ومن كان هناك؟! وماذا كانوا يرتدون؟! ...و...و

لم يكن غبياً، ولكنه كان غير متعلم. وكان سعيداً جداً بهذا، كان هو الملك، وكانت صحته قوية، وكان مرحاً. كل شىء كان يضحكه. كان يظن أنه ذكى جداً وخفيف الظل عندما يغيظ الأشخاص ويثبت بذلك قوته ولا يستطيع أحد أن يقاومه. كان شديد الثقة بنفسه!!

لقد كانت فكرته عن الملك ـ كما تقول إيرين ـ أنه ليس مديناً لأحد بشىء، وعندما كانت إطارات السيارات توزع بنظام الحصص لندرتها طلبت (إيرين) منه أن يأتى بإطارين لسيارة والدها.

ضغط فاروق على زرار التحكم الأتوماتيكى الذى يفتح جميع أبواب جراجات القصر وأخذ يعرض سياراته التى لا تحصى وضحك ولم يعطنى شيئا!!

ذات مرة كان أخى ـ ما زال الكلام على لسان إيرين ـ مصاباً بالتهاب رئوى ولم يكن البنسلين متوافراً ولكى أجعله يوفر لى هذا الدواء هددته بأنى سأقول للعالم أجمع أن ملك مصر كان يستطيع أن ينقذ حياة شخص ولكنه لم يفعل!!

وكان عنده ثلاثمائة شخص فى خدمته فى قصر عابدين، وكان يكافىء من يعطيه أفضل خبر لهذا اليوم ويقول له:" حسنا ياولد!! أنت صديق الملك! وفى المرة القادمة انقل لى خبراً أهم من ذلك."

ولم يكن الملك "فاروق" على هذه الدرجة من السذاجة كما تصورت "إيرين"!!

وبعد مرور سنوات طويلة أثبتت وثائق الخارجية الألمانية أن الملك فاروق يعتبر بحق أهم من ساعد الألمان على الإطلاق فى كشف أسرار الحلفاء العسكرية فى منطقة الشرق الأوسط، فقد أرسل "فاروق" مع مبعوثهم الخاص "أمين زكى" بمعلومات دقيقة وخطيرة عن الترتيبات الحربية للحلفاء فى مصر والمنطقة المحيطة، هذا الكم الهائل من المعلومات الذى فاق كل ما جمعته أجهزة المخابرات والجاسوسية الألمانية حول الحلفاء فى مصر.

وكان الألمان على ثقة تامة أن "فاروق" سوف يتعاون مع "روميل" عندما تدخل قوات المحور مصر، وأنه سوف يقبل من يرشحهم روميل - على ماهر وعباس حليم - لرئاسة الوزارة.

ولم يستفد الألمان شيئا من كنز الأسرار والمعلومات الخطيرة التى وصلتهم من فاروق، وتدهورت الأمور بسرعة على أرض المعركة.، وعندما التقى الملك فاروق بـ «أمين زكى» أعرب له عن خيبة أمله الشديدة لعدم استفادة الألمان من المعلومات التى بعث بها إليهم!

وظل الملك مخلصاً فى تعاونه مع الألمان حتى منتصف ١٩٤٣، ولم ينتهز هزيمتهم فى العامين (أكتوبر ١٩٤٣) لكى يتراجع عن ولائه لهم، بل أنه فى آخر رسائله بعث بتحياته إلى القيادة الألمانية، وشكر من أعماق قلبه هذه القيادة لحرصها على تأمين سلامته، وعبر عن تقديره للأسلوب المتميز الذى عالجت به كافة جوانب علاقته معهم!.

■ ■

كان أخطر وأهم سؤال لابد من إجابة عليه هو:

ما الذى أعجب "إيرين" فى رجل ليس له اهتمامات جنسية أو ثقافية؟!

تولت إيرين الإجابة بنفسها عن هذا السؤال فتقول:

لم يعجبنى فيه أى شىء، ولكنه كان يجب أن أبقى معه حتى أبعده عن الألمان!!

وعلى الرغم من مقاومة"إيرين" لهذه العلاقة لم يكن السفير البريطانى "مايلز لامبسون" مستعداً أن يترك هذه الأمور لـلحظ أو الغراميات، بل كان لابد من تحرك سريع وفعال!!

وهكذا جاء حصار الدبابات البريطانية لقصر عابدين فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وفرض "مصطفى النحاس" رئيس للوزراء رغم أنف الملك!

كانت هذه الحادثة صدمة مذهلة بالنسبة للدولة كلها، وليس لفاروق فقط وأدت إلى زيادة كراهية المصريين للإنجليز، لكن "إيرين" لم تقاطعهم ولم تستطع ذلك!

فى ذلك الوقت كان ابن"وينستون تشرشل" واسمه"راندولف" وهو ضابط شاب يزور القاهرة ومعه نخبة من القوات العسكرية البريطانية، وكان «فاروق»متجاهلا تماماً لابن" تشرشل" الذى كان قد تعرف على"إيرين" وفى عيد ميلادها الـ ٢١ أهداها علبة سجائر ذهبية فاخرة.

وعرف فاروق بأمر هذه الهدية وطلب أن يراها، وقالت إيرين بوقاحة وجرأة:

ـ ليس أنت أيها المريض بداء السرقة، فلو رأيتها فلن أراها مرة أخرى!!

ورد الملك عليها قائلا: بشرف الملوك لن آخذها!!

وتعلق"إيرين" على هذه الواقعة بقولها: وثقت فيه، وبالطبع لم أرها مرة أخرى، إلا بعد سنوات طويلة فى باريس عندما أقام الضباط الأحرار عام ١٩٥٤ معرضاً لمقتنيات قصر عابدين فى مزاد علني!

وفى نهاية عام ١٩٤٣ انتهى تهديد الجيش الألمانى فى شمال أفريقيا ، وهنا أصبحت مهمة "إيرين" الغرامية غير ضرورية، ولكن"إيرين" استمرت على هذا الوضع كاستمرارية لوضعها الأول وليس للضرورة.

ويروى "ويليام ستاديم" قصة النهاية فى هذه العلاقة المثيرة بقوله:

"جاءت النهاية فى رحلة الصيد فى الفيوم التى رتبتها "إيـرين" ودعت لها "همفرى باتلر" والتى وصفته بأنه "الابن المخادع لملك إنجلترا".

جاء "همفرى باتلر" فى الموعد إلى منـزل الصيد الخاص بفاروق فى واحة تقع على أطراف الصحراء جنوب القاهرة، ولم يكن وحده بل كـان بصحبته سكرتيرة إنجليزية جميلة هي "بربارا سكلتون".

كانـت "إيرين" تـظن أن هـذه السكـرتيرة هـى صديـقة "باتـلر"، ولكـن فى المـساء ولدهشتها رأت باتلر يشرب الخمر بمفرده، ولعب الفأر في "عبها".

ذهبت "إيرين" فـوراً إلى غرفة نوم فاروق فى الطابـق الثاني، وكانت الغرفـة مغلقة فأخذت تطرق البـاب بعنف وشدة، وقام الملك فاروق بفتـح باب غرفة النوم، ورأت "إيرين" الفتاة الإنجليزية مستلقية على فراش الملك فاروق!

ابتلعت إيرين الصدمة والدهشة وقالت لها:

ـ أتمنى أن تكونى مستريحة فى فراشي!!

وعادت إيرين بسرعة إلـى البار حيث كان يجلس "باتلر" وظـلت تشرب البراندى معه حتى الثمالة!!

والأكثر مـن هذا ومن أجل إغاظـة الملك فاروق، قـررت إيرين" أن تنام فـى نفس الغرفة التى ينام فيها "باتلر" مع جنرال بريطانى آخر!!

وفى ساعة متأخرة مـن نفس هذه الليلة جاء فاروق يبحث عنـها، واعترض "باتلر" طريقه وأفهمه أن إيرين "كانت مريضة وأنه أعطاها الدواء المناسب تماما!!

ومن شدة ذهول الملك لم يستطع الرد!!

وفى تلك الليلة لم تنم "إيرين" عـلى الإطلاق ووصلت إلى اقتناع قوى لا يتزعزع مؤداه أن هـذه الفتـاة الإنجلـيزية الـرومانسـية قد دبـر أمرها "كـريم ثابـت" المستـشار

الصحفى لفاروق، الـذى أراد أن يستخـدم الجمال الإنجلـيزى لينـهى ارتباط "إيـرين" بفاروق!!

كانت إيـرين تكره تماما كـريم ثابت وتطلـق عليه: المتـملق الخائن، الموالـى للألمان، الوحش!!

■ ■

فى صباح اليـوم التالى تظاهرت "إيريـن" بالامتثال والخضوع للأمـر الواقع الجديد لكنها كانت تدبر أمراً آخر!!

طلبت "إيرين" من الخدم أن يقدموا إفطاراً فخماً لثلاثة أشخاص : فاروق وإيرين وهذه السيدة الإنجليزية!

وفى نفس اللحظة التى كان طعام الإفطار يـصل فيها إلى غرفة الملك، كانت إيرين قد أصدرت أوامرها إلى الخدم بجمع حقائب السيدة الإنجليزية وإرسالها إلى السيارة الملكية!

وبينما كان الجميع يتناولون الإفطار نظرت "إيرين "إلى الإنجليزية الحسناء قائلة:

ـ لسوء الحظ إنك لـن تستطيعى أن تكمـلى الإفطار، لقد طلبـت فوراً الرجوع إلى القاهرة!!

كان الموقف برمته مثيراً وغريباً!!

غضب فاروق وقال لإيرين: ما هذا الذى فعلته، إنها امرأة رائعة، لا تقاوم!!

وحتى نهاية هذا اليوم رفضت إيريـن أن تتحدث مع "فاروق"، لقد كانت هذه هى القشة التى قصمت ظهر البعير!!

وفى ساعة مبكرة غادرت "إيرين" الفيوم عائدة إلى القاهرة، وذهبت من فورها إلى منزل "هيلين موصيري" !! التى كانت السبب المباشر فى معرفتها بالملك قبل عامين!

وعندما اكتشف "فاروق" خروج "إيرين" صرخ بجنون:

سأجعلك ملكة مصر.. ستكونين أماً لابني"!!

وبسرعة وعن طريق الجواسيس استطاع "فاروق" أن يعثر على "إيرين"، كانت كما توقع تماما، قد ذهبت إلى جناح"همفرى باتلر" فى فندق شبرد!!

وفى ثوان كان الملك هناك وهو يرتدى الشورت الحربى الكاكي، وكان يبكى مثل طفل ضاعت منه لعبته!!

واندفع "فاروق" إلى غرفة الطعام الرئيسية، واعترض "باتلر" طريقه محاولاً أن يجعل "فاروق "يحتفظ بوقاره وقال له:

ـ يبدو أنك أصبت بالبرد!!

وفى السبعين من عمرها، وكان قد مضى نصف قرن على ذلك، قالت "إيرين نجار":

على الرغم من أننى فى البداية لم أكن أهتم بفاروق إلا أننى أحببته، كان حبوباً مثل الطفل الشقي. لا يمكن لأحد أن يقاومه، ولذلك أحببته، ولكن لم يكن ذلك حباً رومانسياً ولكن فى النهاية فقدت صبري.

■ ■

كان هناك شيء ما يجرى فى الخفاء ولا تدرى عنه"إيرين" أى شيء!!

كان هذا الشيء هو"بربارا سكلتون" السكرتيرة الإنجليزية الجميلة التى ظنت "إيرين" أنها كانت صديقة أو عشيقة الجنرال البريطاني"باتلر"!!

لقد اعترفت "بربارا سكلتون" أنها أخذت مكان "إيرين" فى غرفة نوم فاروق، بل واعترفت أيضا دون خجل وفى جرأة أنها أصبحت خليلته فى عام ١٩٤٣ ولعدة أشهر!!

فى عام ١٩٣٦ رأت بربارا" فاروق لأول مرة على ظهر سفينة، وكان عمره وقتها ١٦ سنة، وكان قادماً من لندن إلى الإسكندرية بعد وفاة والده الملك فؤاد مباشرة!

وبعد ست سنوات ـ وفى عام ١٩٤٢ ـ عادت بربارا إلى مصر ـ أثناء الحرب ـ كموظفة شفرة فى مكتب الخارجية، وكان ضامنها هو الدبلوماسى " رونالد ماكلين".

فى أوبرج الهرم تقابلت "بربارا" مع فاروق، وفى اليوم التالى دعيت للجلوس إلى مائدة الملك.

ثم جاء نفس الموظف الذى دعاها للجلوس إلى مائدة الملك وهو يحمل بطاقة مكتوبة بزيارة إلى الفيوم فى نهاية الأسبوع فى رحلة صيد، وتحكى "بربارا" كيف أن فاروق قد أحضر بوقاً ليجمع ضيوفه فى بدء رحلة الصيد فى الصباح.

وتذكر إيرين قصة غريبة وقعت لها مع الملك فى الفيوم فتقول:

إن ما لفت نظره لها فى البداية كان قرطاً رخيصاً على شكل سمكة اشترته من سوق الموسكى وأخذه فاروق منها وأخبرها أنه سيقدم لها مفاجأة، وبعد أسبوع وجدت صندوق جواهر تحت وسادتها ووجدت فيه القرط السمكة، وقد صنع مثله ذهبا وعيونا من الزمرد.

وهكذا أصبحت تراه مرة كل أسبوع ولعدة أشهر. و"فى بعض الأحيان كانت تسبح وفاروق جالس فى الماء، ولكن فى أغلب الأحيان كان يلعب ألعابا جنسية تحت الماء فى الحمام الملكي، فيما عدا ذلك كان اهتمامه بالجنس ضئيلا، كنا نتعانق وتتماسك أيدينا عند مشاهدة الأفلام الجنسية ، ولكن لم نصل إلى درجة الإثارة. لقد كان مثلى تماماً."

وبعد فترة أسكنها فاروق فى فيللا تطل على نادى الجزيرة فى المنطقة التى كان يسكنها الإنجليز فى القاهرة وهى منطقة الزمالك ، كما أمدها بخط تليفونى مباشر مع قصر عابدين.

كانت" بربارا"تهتم بمظهرها لحضورها حفلات الرقص الفاخرة والأوبرا ومسابقات الخيل.

في ذلك الوقت كانت كل هذه الأشياء غائبة عن بال "إيرين لجار"!!

لم تكن "إيرين" تعرف على وجه اليقين ماذا ينوى الملك أن يفعله مع "بربارا"؟!

■ ■

وقررت "إيـرين" أن تـترك الـقاهـرة وتعـود إلى الإسكـندريـة لتـعيـش هنـاك مع أصدقائها اليهود!

وهناك قـابلت ضابطا إنجـليزياً عمـره ثلاثة وعشرون عـاما فى حفل أقامـه أدميرال بريطاني. كان اسم هذا الضابط " برسيفيل فال بيلي"!

ولـم يكـن "فاروق" بعيداً عن"إيـرين"، كان لا يزال يتـتبع أخبارها، دون أن يـظهر، ولكنها كانت تشعر بوجوده!!

ذات مرة كانـت"إيرين" ترقص مع هـذا الضابط الإنجليـزي، وبعد انتهاء الـرقصة عادت إلى المائدة مع الضابط لتجد إحدى خوذ فاروق وعصاه على كرسى "فال".

لقد اعتبرت "إيرين" أن غرامها مع هذا الـضابط الشاب هروباً لها من مصر وسوء سمعتهـا الذى يلاحقها كخلـيلة للملك. كمـا أن هذا الزواج سيمكنهـا من الحصول على جواز سفر بريطـانى وتأشيرة دخول إنجلترا، لأنها إذا استمرت كـمواطنة مصرية فلن يعطيها فاروق هذا الحق إطلاقاً.

وبعـد حوالى شـهر ونصـف من بدايـة علاقة "إيـرين" "بفـال" تزوجا فـى كنيـسة إنجليزية بالإسكندرية!

وبدأت إيرين تعـد خطة السفر إلى إنجلتـرا، حيث ستقيم فى المنـزل الخاص بعمة زوجها" فال " دوقة هولندا..

وقبل سـفرها فوجئـت"إيرين" بزيارة "بـوللي" الذى تـقول عنه إيريـن كان فاروق يحب رجـلا واحداً وهو"بولـلي" وكان يحـب امرأة واحدة ،وللأسـف هـذه المـــرأة كانت أنا.»

قال "بوللي":

مدام "إيرين" إنـه يموت، لقد ظل فى الفـراش ستة أيام كاملة، لا يـأكل، لا يذهب إلى البرلمان. لا يقابل الوزراء، أرجوكِ يجب أن تأتى لرؤيته ، ولو لمرة واحدة!!

وذهبت "إيرين" إلى قصر عابدين، وكان فـاروق راقدًا فى فراشه الكبير الذى طالما ناما فيه عاريين طوال عامين، وقالت إيرين للملك:

ـ إننى الآن متزوجة، وسأسافر إلى إنجلترا للأبد!!

ونهض الملك وقد انتابته ثورة غضب وقال لها:

ـ" إذا سافرت لـن تضعى قـدمك على الأرض المصرية، لن نسـمح لك بتـأشيرة دخول سـوف تكونـى فى القـائمة الـسوداء، وبالـنسبـة لى سوف أعـلن الحرب عـلى اليـهود، سـوف أفقـد شعـورى وأفقـد نظـري، سوف أذهـب فقـط إلى الـعاهـرات وسأقضى بقية عمرى فى القمار."!

وببرود شديد ردت إيرين على كلمات الملك بقولها:

ـ ياعزيزى لن يستطيع أن يمنعك أحد من الانتحار!

ومع ذلـك تعترف إيـرين ـ حسـب كتاب ويلـيام ستاديم ـ بـأنها تـركته ولم تـكن تصدق كـلمة واحدة ممـا قال، ولكن لأول مـرة فى حياتـه كان فاروق يقـول الصدق، والصدق الحقيقي.

وإذا كان خروج " إيرين" من حياة فاروق قد تم رغم أنفه!!

فقد خرجتْ"بربارا" بـحسب رغبة الإنجليز أنفسهم، فـقد أحسوا بمرور الوقت أن موظفة الشفرة قد اقتربت جدًا من فاروق، وكان ذلك فى غير صالحهم.

وتحلل "بربارا" الموقف برمته فتقول:

"كنت أعمل فى مكان حساس، وكانوا مقتنعين أن فاروق يقربنى منه ليحصل منى على معلومات، ولـم يدركوا أبدًا أن "فاروق لم يكن يهتم بأى شـىء من هذا القبيل.

والاتصـالات الوحيدة الـتى كانت تـهمه هـى طلباتـه بالتـلكس لشـراء أربطة العـنق الحريرية من"هوزوكوريتس"، ولم يكن يهتم بأى شىء سياسى على الإطلاق، ولذلك استغنت السفارة عنى في النهاية لعدم اقتناعهم بمبرراتي."

■ ■

لم تنته قصة "الملك فاروق " و"اليهودية " إيرين" عند هذا الحد!!

كان واضحاً أن هـناك عشرات التفـاصيل والحكايات التـى لم يكن يعلـم بها أحد سوى"فاروق" و"إيرين" فقط !!

لم يكن معروفاً مثلاً أن اليهودية"إيرين نجـار" تخلت عن ديانتها اليهودية وأشهرت إسلامها!!

ولم يكن معروفاً أيضاً أنها تخلت عن اسم "إيرين" وأصبح اسمها"فتحية"!!

كان الملك "فاروق"مثل والده الملك "فؤاد" عاشقا لحرف "الفاء"!!

وكتبت مجلة المصور عن شقيقات الملك فاروق تقول:

"كان جلالة الملك الـوالد ـ رحمه الله ـ يتفاءل دائما بحرف الفـاء الذى يبتدىء به اسم جلالته، واسم صاحـبة السمو الأميرة والدته "فريال هانم" ولـذلك اختار لذريته جميعاً أسماء مبتدئة بهذا الحرف السعيد.

وقد أعـقب جلالـته ـ أى الملـك فؤاد ـ لجلالـة الملك فـاروق خمس أخـوات هن صاحبات السمو الملكي:

الأميرة فوقية ، الأميرة فوزية، الأميرة فائزة، الأميرة فائقة، الأميرة فتحية.

وهـكذا ورث فـاروق عن والـده تفـاؤله وعـشـقه لحـرف الفـاء، وعنـدما تـزوج من"صافى ناز ذو الفقار "أصبح اسمها"فريدة "!!

وأطلق الملك فاروق على بناته أسماء «فريال وفوزية وفادية».

وعندمـا أحب الملك النبـيلة "فاطمـة طوسون" وقرر أن يتـزوجها قـال ضــمن ما قـالـه لها:

إنه مسرور أن اسمها فاطمة!

وسألته لماذا؟!

فقال الملك - حسب رواية مصطفى أمين - لأننى أتفاءل بحرف الفاء، ولو كنت تزوجتك لما اضطررت أن أغير اسمك كما فعلت مع "صافيناز" وغيرت اسمها إلى فريدة!!

وبنفس الطريقة أيضا تغير اسم "إيرين" إلى "فتحية"!!

لقد اعتمد "وليام ستاديم" فى كتابه" على ما ذكرته له "إيرين" عندما ما قابلها عام ١٩٨٨ أى بعد حوالى ٤٥ سنة كاملة على انتهاء علاقتها بفاروق، وكان كل شيء قد تغير تماما، وفى المقدمة "إيرين" نفسها!!

كانت "إيرين" فى حوالى السبعين من عمرها تزوجت خمس مرات، من مصرى وثلاثة من الإنجليز وبرازيلي:

لقد روت "إيرين" الكثير، لكنها أيضا أغفلت الكثير والكثير جداً!!

ولعل أخطر وأبرز وأهم ما أغفلته "إيرين لجار" عندما روت حكايتها مع الملك فاروق هو قصة رسائلها وخطاباتها المتلهبة بالحب والغرام إلى الملك!!

■ ■

وبعد سنوات كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ قد قامت وطردت الملك فاروق وبدأت تظهر أسرار جديدة فى حكاية الملك وإيرين!!

كان عنوان التحقيق الصحفى الذى كتبه الأستاذ "حلمى سلام" [رئيس تحرير مجلة التحرير] تحت عنوان: عشيقات فاروق من رسائلهن، وكان موضوع التحقيق "فاروق أحمد فؤاد كان اسمه بوتشي»!!

وبعد مقدمة طويلة روى "حلمى سلام" حكاية "إيرين" و"فاروق" على صفحات عدد المجلة الصادر فى [٢٤ نوفمبر ١٩٥٣] ما يلى وبالحرف الواحد:

"فى صباح يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٣، دخلت إلى قاعة الجلسة بمحكمة عابدين الشرعية سيدة فاتنة، رشيقة أنيقة، فتطلعت إليها العيون، وتعلقت بها الأبصار حتى وقفت أمام فضيلة القاضي، وقد دهش المتقاضون حين سمعوا اسم السيدة، أنه يدل على أنها"مسلمة" وليس فى شكلها ولا فى مظهرها ما يدل على الإسلام!

وبدأ القاضى يناقشها فيما أبدته من رغبة الدخول فى دين الإسلام، وبعد الأسئلة التقليدية شهر إسلام الغادة الفاتنة وتحول اسمها من"أ.أ. ن" إلى "فتحية .ن" وهو اسم إسلامى له نظير بين شقيقات فاروق اللواتى كن يتسمين بأسماء لابد أن تبدأ بحرف الفاء.

وهكذا دخلت "الغادة الفاتنة" قاعة المحكمة يهودية. وخرجت منها مسلمة وشهر إسلامها بإعلام أخذ رقم ١١٢ لسنة ٤٣ ـ ٤٤.

ولم يكن هناك من يعرف سر اعتناق اليهودية الحسناء للإسلام غير أفراد قلائل، فى مقدمتهم"بوللي" مدير الشئون الخاصة لأنه إيطالي، واليهودية الحسناء كانت إيطالية، ولكنها قضت معظم حياتها فى مصر!

وكان "بوللي" وفياً لمواطنته الحسناء، وكان أيضا يعرف تاريخ حياتها.. فرأى أن يأخذ بيدها إلى المجد الذى كانت تطمع فيه.

كانت"أ.ن" متزوجة فى عام ١٩٣٥ من شاب إيطالى أنجبت منه طفلة واحدة، وفى يناير ١٩٤٠ التحق زوجها كضابط بالجيش البريطاني، على الرغم من أن إيطاليا كانت فى حرب مع إنجلترا.. وفى غيبة الزوج بدأ"بوللي" يقودها إلى طريق المجد المفروش بالأوحال.

كان منتهى أملها أن تصبح كوكباً من كواكب الكباريهات.. وكانت تصبو إلى أن تنقلها الكباريهات إلى مصاف ممثلات السينما المشهورات، ولكن"بوللي" كان واسع الخطى إلى أهدافه" فأمسك بيد "أ.ن: وخطا بها خطوة واحدة صارت بعدها بين يدى"فاروق"!!

وشوهدت الإيطالية الحسناء مع الملك السابق مراراً فاتجهت إليها الأنظار وتملقها بعض الكبار، والتف حولها الأصدقاء، ولكنها لم تتخذ غير نوع معين من الأصدقاء، الضباط الكبار من قادة جيوش الحلفاء. حتى أطلق عليها البعض لقب "صديقة القيادة" قيادة الحلفاء!

وانهالت على اليهودية الحسناء ألوان من الهدايا الفاخرة كانت تتقبلها من هؤلاء الضباط الكبار شاكرة.. وكان أصدقاؤها الضباط الذين يعرفون علاقتها بفاروق يظنون أنه يغدق عليها المجوهرات والأموال والعمارات والسيارات، ولكن الواقع أن"أ.ن" كانت تستدين لتظهر بالمظهر اللائق بصديقة الملك، أو بمظهر السيدة التى كانت ترشح نفسها لتكون السيدة الأولى، ومن أجل هذا أسلمت. (!!)

وكانت "أ.ن" كمعظم الإسرائيليات مقامرة من الطراز الأول، فكانت تربح دائما.. تارة لحسن حظها، وتارة لصلتها المعروفة بفاروق!

■ ■

ثم يروي"حلمى سلام" خطة الملك فاروق لامتلاكها - أى إيرين لجار - حتى لا يكون لزوجها الغائب سلطان عليها إذا ما عاد فى إجازة مفاجئة.

وهنا تجلت عبقرية مدير الشئون الخصوصية "بوللي"إذ أخذ على عاتقه ترتيب هذا الشأن الخاص فأوعز إلى"م.ن" بشهر إسلامها ليصيب هدفين:

الأول: أن يسقط سلطان الزوج(!!)

والثانى أن يُكسب "أ.ن" الجنسية المصرية وهى خطوة نحو الأمل الذى كان يراود جفنيها فى أن تصبح السيدة الأولى، وهو أمل فاتحت به"فاروق" فى إحدى رسائلها!!

كان هذا يدور فى قصر الملك السابق فى حين كان كل ركن فى مصر يئن من ظلام الحرب!!

كانت مصر واقعة تحت رحمة القنابل، فى حين كان فاروق واقعاً تحت قدمى "أ.ن".

وكانت "أ.ن" ساذجة يوم ظنت أنها احتلت مكانا فى قلب "فاروق"، فإن قلب "فاروق" كان كالمرآة لا ينطبع عليه غير آخر وجه يصادفه، فبدأ يستبد بها، وبدأ يذلها!!

وبلغت به شهوة الاستبداد والتحكم أن أمرها بأن تنقص وزنها مع أنها كانت تتمتع بأرشق قوام، وأطاعت المسكينة، ومع هذا فقد أعرض عنها وتحول إلى غيرها!!

وبدأت ترسل إليه الرسائل، تحمل توسلاتها ودموعها، وتذكره بأنها لم تضن عليه بشىء، ولم تعص أمره فى شىء، ولكن توسلاتها لم تستطع أن تشق أكداس اللحم والشحن المتراكمة فوق قلبه، فلم يستمع لها، ولم يرق لدموعها وكانت الطريقة التى هجرها بها طريقة قذرة حقيرة كما قالت هى فى إحدى رسائلها له.

ظلت "أ.ن" معذبة لا تعرف لنفسها قراراً ولا مصيراً، ورأت نفسها بعد أن كانت على أبواب وظيفة السيدة الأولى، قد أصبحت لا تجد ظلا خفيفاً من رحمة الحبيب الغادر، وأرغمتها الحاجة على أن تقبل الزواج من رجل إنجليزي.. أخذها من مصر التى كانت تحلم بأن تصبح بها "كيلوباترا" الثانية إلى إنجلترا.. حيث تعيش تلذعها برودة الجو وبرودة قلبها الذى مات.

■ ■

إن قراءة الرسائل التى بعثت بها إيرين لجار إلى فاروق تكشف عن عدة ملاحظات هامة ومثيرة فى نفس الوقت!

وقبل الكشف عن هذه الملاحظات من المهم متابعة ما جاء فى الرسائل والتى وصفها الكاتب الصحفى "حلمى سلام" بقوله" هذه الرسائل الرائعة التى تعتبر من أجمل ما كتبت العاشقات، عاشقات التاريخ.

كانت الرسالة الأولى التى كتبتها إيسرين بعد ٢٤ ساعة بالضبط من حادث القصاصين الذى تعرض له الملك فاروق!

فى هذه الرسالة يبدو "قلق وانزعاج" إيسرين على حياة الملك صادقاً وحقيقياً،

صحيح أنها تنهى الرسالة بتوقيعها "إيريـن" لكنها حريصة على أن تذكر الملك باسمها الذى سبق وأن اختاره لها ويبدأ بحرف الفاء" "فتحية" وتقول له:

١٦/ ١٠/ ١٩٤٣

حبيبى الوحيد

ماذا حـدث ياغرامـي؟ إنى أكاد أجـن. وحرام ألا أعرف أخـبارك أولا بأول. لـقد قرأت كل الصحف. ولكنهـا جميعا لم تشبع لهفتى على أنبائك، هـل تتألم يا حبيبي؟ كم كنـت أتمنى أن أسهر عـلى راحتك، وأقوم بتـمريضك. لقـد اتصلت بى "هـيلين" مرتين صبـاح اليوم فتعمدت ألا أبـدى حقيقة شعوري، وقـد أخبرتنى بكل مـا عرفته وبذلت كل جهدها لتطمئنني

بوتشي..

عندما علمت بالخبر سقطت على مقعد كان لحسن الحظ بجواري، ولو لم أكن فى محل عام لأغـمى علىَّ. على الـرغم أنى كنت أتوقع كـارثة تحل بي، فقد كـنت أشعر بضيق يجـتاح صدرى طوال الأمس، وكان نومى مـضطربا.. وفى الصباح اسـتيقظت وأنـا أشعـر بـأن هذا الـضيـق قد شـمـلنـى .. فـلم أكـلـم أحـدا، وعنـدمـا ذهبـت إلى"سقراط"الحلاق رأيت هناك بـاقة زهور كبيرة، فسألت عمن سيحتـفل بعيد ميلاده اليوم فقيل لى إنهـا لك، وهنا أحسست أن قلبى قد توقف، وأن رجلـى لم تعد تقويان على حـملى، فتهاويـت على المقعد، وشـعرت بالدموع تمـلأ جفنى . ولكنـى ـ لحسن الحظ ـ كنت ألبس منظارك يا حبيبي، فساعدنى هذا على ستر أمري. وقد تركت المحل بعد دقـائق قليلـة وألقيت بنفـسى فى أول "تاكسي" وذهبت إلى المنـزل، وكان أول ما فعلته أن أرسلت الخادم ليشترى لى كل الجـرائد والمجلات الموجودة فى البلد، فقرأتها جميعاً. هل حالتك مطمئنة حقيقة؟.

هل تتـألم يا حبـيبي؟ إنى لا أكاد أتـصور أنك تتعـذب، كم أتمنى أن أكـون معك، ولكنى هنا لا حول لى ولا قوة على الرغم من حبى الجارف.

إنى أخر لله ساجدة شاكرة إذ لطف بك، داعية إياه أن يعجل بشفائك. وتذكر يا حبيبى أن بين الرعية التى وجهت إليها رسالتك لتطمئنهم ـ امرأة اسمها فتحية ـ برح بها الحزن، وأدمى البكاء جفونها، وصدعت الصدمة قلبها، إلا أنها حاولت أن تطمئن كما طلبت فى رسالتك، ولكنها لم تنجح.. وكيف تنجح وسيدها وحبيبها مصاب؟.

إنك فى حاجة إلى حبيب يرعاك ولعل أمك تتمكن من مواساتك .

بوتشى... إن شعبك قلق عليك، وهو فى حزن شديد.. ولكن عزاءهم أنك بخير.. إنهم يحبونك، وقد برهنوا اليوم على ذلك.. وهذا ما أثر فى نفسى فانهمر الدمع من عينى.

ليحفظك الله ويباركك. وإنى لأقبل جروحك، ففى قبلاتى بلسم. كم أتمنى أن أكون فداءك. وأتحمل آلامك، فهذا يسعفنى. إنك لن تبعد عن مخيلتى، وأطلب من الله أن يتقبل صلاتى ودعائى لشفاك..

«حبيبتك»

«إيرين»

■ ■

وفى اليوم التالى مباشرة تكتب «إيرين» للملك خطاباً آخر، تبثه حبها وغرامها وتنهداتها، وتشكو له حالتها بعيداً عنه!.

ولأول مرة نعرف من رسالاتها أن لها ابنة من زوجها، وأنها قررت أن تتركها عند جدتها، وأنها لن تعود ثانية إلى زوجها!!.

وفى نهاية خطابها تؤكد لفاروق أنها «فى أشد الحاجة إلى قبلاته»!!.

ومضى خطاب «إيرين» لفاروق على هذا النحو المثير:

الأحد ١٧ أكتوبر ١٩٤٣

لو لم أعرفك لما استحققت الحياة أن أعيشها.. إنى متعبة، والمشاكل تحوطنى من كل جانب، والسعادة تأبى أن تلازمنى إلا لفترات متقطعة، لماذا كتب علىّ الشقاء؟! وإلى متى سأستمر فى هذا الكفاح المضنى؟!.

أواه ياحبيبى.. لو أنك كنت بجانبى لأسندت رأسى على كتفك، ونسيب كل شئ.. إنى أستحق العطف.. وفى حاجة إلى شخص يكون رحيما بى!.

أرجو ألا أكون قد أزعجتك بأخبارى، ولكن لاتقلق، فكفانـــى أنت- أما أنا فقد تعودت على ذلك منذ كنت فى السابعة عشرة من عمرى.. إلا أن مشكلتى الكبرى الآن هى : ماذا أفعل فى مسألة مسكنى.. فالشقة التى أشغلها حاليا سيأتى أصحابها أول الشهر من جنوب أفريقيا، والبحث عن شقة أخــرى صار الآن من، أعقد المشاكل، وهذا معناه أننى سأضطر إلى العودة إلى منزل أهلى وهو مالا يمكننى عمله!!.

إننى لم أذق طعم الراحة طوال العام الماضى، إننى أتنقل من مكان الى آخر دون أن أعرف لى مستقرا أعيش لأنى من الأحياء، أواه ياحبيبى لقد كانت حياتى فارغة لاطعم لها، ولكننى عوضت عن كل ذلك بك وهذا خير عزاء!.

فعندما أفكر فيك تملأنى السعادة. وهذا يغير كثيرا من حالتى التعسة، خصوصا عندما أستقبل بعض الأصدقاء الأعزاء.. وقد حضر بالأمس بعضهم، وتناولنا بعض الخمر ثم ذهبنا الى الأوبرا للعشاء، ورقصنا وفى صباح السبت، بينما كنت أرتب الأزهار إذ برسولك يحضر لاستلام الخطاب، فسررت جدا.. والحقيقة أننى لم أكن أتوقع حضوره بهذه السرعة.. وبعد انصرافى تناولت غدائى مع بات «وبات هى كلبتى» ثم ذهبت لأنام وأحلم بحبيبى بوتشى، وفى السابعة مساء بدأ بعض الأصدقاء فى الحضور، وبقوا حتى منتصف الليل بعد أن قطعوا أوتار «البيانو» ولو كنت أعرف ما للويسكى من تأثير، ومايتتج عنه من خسائر لما سمحت لهم بالإفراط فى شربه!!.

وفى صباح اليوم حضرت ابنتى فأخذتها إلى سيدى بشر، ولكنى لم أستحم.. وكنت أحس بضيق طوال الوقت، وبعد الظهر حضر والدها، فأكثر من ثرثرته الفارغة.. وكاد أن يحطم رأسى بخزعبلاته عن الطلاق، والعودة إليه مرة ثانية.. إلا أننى أفهمته أننى لن أعود إليه.. أما بخصوص ابنتى، فأنا لا أقدر أن أهيئ لها حياة مريحة، ولذا، فقد قررت أن أتركها عند جدتها، فهى غنية، وسوف تعطيها كل شئ.

أننى أشعر برغبة أكيدة فى شئ واحد وهو أن أكون وحدى لأحبك بطريقتى التى أرضاها، وهى أن أعطيك كل شئ.. أريد أن أكون لك، فتملأ على حياتى وهذه هى السعادة.

أخشى أن أكون قد أطلت فى الكتابة، وأخشى ألايكون لديك الوقت لقراءته .

حبيبى بوتشى:

كم أفتقد حديثنا التليفونى ورنين ضحكتك الرائعة.

إننى أعبدك.. وكم أتمنى أن أبرهن لك على ذلك، لأنى أشعر أنك لاتقدر حقيقة عواطفى نحوك، فقد فعلت من أجلك ما لم أفعله لمخلوق فى الدنيا يا بوتشى.

فى استطاعتى أن أستمر أكتب دون نهاية ولكن لايصح أن أكون أنانية، ولابد أن أفكر فى وقتك، فإلى لقاء ربما يكون خطابى مضايقا ولكنى تعمدت أن تعرف كل شئ.

ضمنى بين ذراعيك، يابوتشى فى أشد الحاجة إلى قبلاتك..

«إيرين»

وتتوالى رسائل «إيرين» إلى الملك فاروق، وهذه رسالة تفيض هياماً ولهفة تقول فيها: حبيبى بوتشى: لقد تركتك وأنا فى غاية السعادة، فقد كان قلبى فرحا بعد أن تأكدت مما يكنه كلانا للآخر من حب عميق.. وبدلاً من أن تنتابنى الهواجس، حتى أستسلم لحلم جميل ، أفكر فيك وحدك.. وهل هناك سعادة أكثر من هذا؟!.

بوتشـي: إني سعيدة، والـفضل في ذلك يـرجع لك. فشكـراً. عندما عدت الـيوم إلى المنزل علـمت أن هناك من اتصل تـليفونيا، فهـل كنت أنت هذا الشخـص؟ على كل فإني أحب أن أوهم نفسي أنـك كنت هو حبيبي.. كم كانت الليلة التي قضيناها سويا رائعة، وسأظل أذكرها ولن أنساها أبدا، فقد كان كل شئ فيها جميلا، إني أكتب إليك وصورتك في مخيلتي، وذكرى الليلة مازالت تؤنسني.

سوف أكون مشـغولة طوال الغد ، ولـكنني لن أغفل الـتفكير فيـك لحظة واحدة. ذلك لأني كلما انسقـت وراء تفكيري أتبين أني عملت ماطلبت منـي، لن بل وعملته بكل سرور وإني أرجو أن تفهم الشئ الذي يهمـك كثيرا في المرة القادمة، وتأكد أنني أفعل كل ذلك لأني أريده مـثلك، ولأنك أنت الذي تطلبه.. فلو أنـك طلبت مني أن ألقي بنفـسي في البحر لفعلـت مسرورة .. وقد يبدو ذلك جنونـا، ولكن.. ألا تعرف من هـو مرافـق الحب؟! الـذي يزامـله دائـما؟ إذا كـنت لـم تعـرف، فاسـمع هـذه الأقصوصة:

كان الحب والجنون يلعبان سويا فحدث بينهما حادث ما فـاندفع الجنون فأصاب الحب بـالعمـى. ولما عرض أمـرهما عـلى «جوبـيتر» رأى أن الحـل الوحيـد لإصلاح ماحدث هو أن يقود الجنون الحب أينما ذهب، بعد أن أصبح أعمى!!.

ولكن حبنا ليس أعمى إلى هذا الحد ، أرجو ألا تتغالى وتوافقني على رأيي...

لست أدري متى سأراك ثانـية.. إلا أنني سأصبر هادئة لمدة أسبوع، ولـكنني سألقي بنفسي فـي أول طائرة تبرح الإسكندريـة بعد ذلك لأحضر إليك، الـلهم إلا إذا كنت ستتمكن مـن الحضور بعد يومين.. وتأكد أنك لن تنـدم!! إذا حضرت، سأريك أين يكمن الحب جميعه.

أحس بشعور خفي أنك لن تقرأ خطابي حتى نهايته، ولكنك إن فعلت فستجد في آخره آلاف القبلات لك .. ياحبيبي.

«إيرين»

ملحوظة : لا أعتقد أنك تسلمت خطابى الأول، فإن كنت لم تتسلمه، فذلك لأنى وضعت عليه طابع بريد من فئة الستة مليمات ونسيت أن السعر قد ارتفع إلى قرش صاغ!!.

١٩٤٣/١٠/٢٤

من مكان ما بالإسكندرية:

هالو ! مولاى وسيدى.. هالو!

كيف حالك ياحبيبى؟ لقد وصلت الآن فقط، واكتشفت كم هى جميلة الإسكندرية خصوصا عندما أعيش فى منزل ليس فيه والداى، إنى أحس الآن بالسعادة. لقد شعرت بغلطتى معك صباح الأمس عندما كلمتك بالتليفون، ولكن مادفعنى على الإلحاح لرؤيتك إلا حبى لك، والحب لا يستطيع أن يقدر أنك مشغول بملايين المسائل، كم كنت أتمنى أن تحضر اليوم إلى الإسكندرية، ولكن أحلامى تبخرت بعد أن طالعت صحف الصباح.

وأنا متأكدة من أنك ستتمتع كثيرا بما ستشاهده فى الأوبرا، ولكن أرجو أن أراك فى اليوم السادس من الشهر القادم، وحتى يأتى هذا اليوم، سأروض نفسى على الصبر .. ولعلى أنجح .

بوتشى

لقد اكتشفت أمراً مضحكاً. هل تعرف أن «بوتشى جام» معناها غجرية؟ وألا تتفق معى فى أن الاسم يناسبنى تماماً؟.

لقد عرفت ذلك عندما كنت أتكلم مع صديقة لى بالتليفون ، وأخبرتها أنى مسافرة، فقالت إنى كثيرة الترحال، ووصفتنى بأى «بوتشى جام» وأصارحك الحقيقة أنى ذهلت من هول المفاجأة ، فكيف تسنى لها معرفة الاسم؟ ولكن عندما أوضحت المعنى تنفست الصعداء .. ولكن ، ياله من توارد خواطر غريب!.

وعندما كنت أفكر سريعا فى القطار، وفى السفر، انتابنى تفكير غريب.. فقلت لنفسى: «يالك من فتاة تعسة، تكادين تفقدين صوابك، ما الذى جعلك تقعين فى حبه، وهناك ملايين الرجال يتمنون منك نظرة واحدة، بل إنهم نسوا ربهم وعبدوك .. فلم أوقعك سوء طالعك فى حبه هو، دون أحد سواه؟.

«مسكينة أنت يا إيرين.. فأنت تعرفين تماما أنك تلعبين بالنار، وسوف تحرقين نفسك بها، فلِمَ هذا الاستمرار؟.

«أنت فى الحضيض وهو فى القمة، ولست المرأة التى يمكنها أن تتمتع معه دون أن يلحقها ضرر؟ ابتعدى عن طريقه قبل أن يلفظك؟».

حبيبى بوتشى

إن مجرد التفكير فى هذا، يجعلنى أفقد صوابى ، إنى لا أقدر أن أقاوم سحر عينيك.. ولا أستطيع أن أنسى أنك صنعت منى سيدة فى نواح كثيرة.

لو أنك رجل عادى، لكانت سعادتنا لاتقدر حينما نكون دائما سويا ولكن.. ما فائدة هذه الأحلام الجميلة؟ إنها تجعلنى أكثر تعاسة حينما أفيق منها.

«إيرين»

كلمات إيرين وسطورها إلى الملك فاروق تلمس فيها الحيرة والقلق!!.

إنها تناديه دائما، وفى كل الرسائل «حبيبى بوتشى» ، ولاتدرى أين يستقر: هل فى القاهرة ؟! هل فى الإسكندرية.

إنها تحاول فى رسالتها إحياء الحب الذى تحول إلى جثة هامدة، ولهذا تؤكد له: إننى أحبك، أما الأخريات فهن لسن أكثر من أصفياء.

وإيرين تملك الجرأة «الشجاعة» ربما بحكم ماكان ودار بينهما أن تقول للملك أيضا:

هاأنا لك صغيرة، موفورة الصحة، مغرية، وأحبك!.

وتعالوا نقرأ رسالة «إيرين» كاملة لفاروق والتى تجئ على النحو الآتى:

٢٥/ ١٠/ ١٩٤٣

حبيبى بوتشى

أين أنت ياحبيبى؟ فى القاهرة؟ أم فى الإسكندرية؟ أشعر أنك هنا فهلا تفضلت بالاتصال بى تليفونيا غدا؟ سأصلى هذا المساء ليتحقق حلمى.

إنك لاتتصور روعة المكان المحيط بى فى هذه الساعة. فالهدوء شامل، ولا أسمع إلا أصواتا غريبة خافتة. لعلها أصوات طيور أو قطط، أو صوت غصون الأشجار.

إن الجو يميل إلى البرودة قليلا، ولكن لا بأس.. فبجانبى زجاجة الويسكى. فأنا كما تقول عنى دائما «صاحبة كيف».

كم يكون رائعا ، لو أنك كنت بجانبى الآن على هذا المقعد المريح.. تدخن غليونك، وأنا أقص عليك الكثير من الطرائف التى تحبها، وأجعلك تشعر بالراحة. إنى أتخيلك وأنت ممسك بغليونك فى يد ، بينما يدك الأخرى تعبث بشعرى وأنا جالسة على البساط ، ورأسى بين ركبتيك.. أحكى لك « القصص الحشاشى» التى تفضلها، فأنتزع بها ضحكاتك الرائعة، فأحس أنى أسعد امرأة فى العالم.

الحمد لله. فعندى المقدرة على التخيل، وربما كان للويسكى الفضل الأكبر فى ذلك.. فإنى أشعر بأن روحى عالية.. وليس ذلك بغريب. فالويسكى مشروب روحى !!.

كيف حال صديقتك الفرنسية؟! هل تمتعت بتمثيلها؟ لو أنك سألتنى رأيى لأشرت بإرسال من ينوب عنك، خصوصا بعد التصرف الأحمق الذى تجرأت وتصرفته معك.. وعلى كل، فلا تهتم كثيرا بما أقول، فإنى أشعر بأنى أتدخل فى خصوصياتك كثيرا.. ولكن عندما تحب المرأة فلا نهاية لفضولها.. وأنا أحب بوتشى.

لقد قلت لى إنك أحببت يوما، ولذا فأنت تفهم حقيقة شعورى..أما أنت، فلست إلا معجباً. إنى سعيدة بحبى، وهو وإن كان مؤلما إلا أنه جميل.

استمع إلىّ يا بوتشى إنى أحبك. أما الأخريات فهن لسن أكثر من أصفياء .. وسترى حقيقة ما أقول بنفسك، وستبرهن لك الأيام. إنك إنسان شاذ لأنك كثير الشك. إنك لاتثق فى أحد، وهذا ما يجعلك تحس بربع السعادة التى كان يمكنك أن تحسها، لولا شكوكك... فها أنا لك: صغيرة موفورة الصحة، مغرية، وأحبك بجنون.. ولكنك تعاملنى بحذر كما لو أنى غير مخلصة لك!.

كم تمنيت لو أنك كنت شخصا عاديا، ولست بملك، ولكن لسوء حظى أنك كذلك.

لماذا أتكلم عن هذا الآن، ما فائدته؟ إنى أحبك.. فهل تحبنى؟ هل ستنظم حياة تكفل لكلانا السعادة؟ وهل أنت ترغب فى هذا؟.. إننى لست إحدى العابرات فى حياتك. لا .. إنى أهبك حبى ، وهذا أثمن ما عندى .. فهل تريده؟. وهل تعرف قيمته فتبقى عليه دائما؟ أم تلقى به من النافذة بعد أن تزهده؟.

إنى أحبك.. وإنى أعنى ما أقول. فإن قلبى هو الذى يتكلم.

«إيرين»

■ ■

ولم تمض أربعة أيام على هذه الرسالة إلا وأرسلت رسالة أخرى حرصت فى بدايتها على إثبات أنها كتبتها فى الساعة الرابعة وخمس دقائق بعد الظهر(!!) كما حرصت أيضا على أن تخبره «أن لى الكثير من الأصدقاء» و «دعوات وحفلات وسهرات».

وفى الرسالة نفسها نقرأ باقى التفاصيل كما يلى:

١٩٤٣/١٠/٢٨

الساعة الرابعة وخمس دقائق بعد الظهر.

هالو بوتشى

لقد انتهيت لتوى من مؤتمر خطير!! ماذا أسمع؟ هل هبطت أسهمى؟ يالى من فتاة شقية.

لقد عقد هذا المؤتمر من والدى وزوجى السابق وأنا.. لقد أفهمونى أن العمر يتقدم بى، وأنى أكاد أفقد رونقى، وأن زوجى هو الفرصة الوحيدة التى بقيت لى لو عدت إليه!!.

لقد تحمل والدى الحضور من القاهرة ليقول لى ذلك!!.

ألا ترى أن الأمر جد مضحك؟ ومع هذا فإن قلبى الطيب جعلنى أقدم لهما الغداء وملأت بطنهما بالخمر التى جعلتهما يكثران من الثرثرة. وفى تمام الرابعة قلت لهما بكل لياقة: مع السلامة من غير مطرود فلا يمكن عمل أى شئ «بالزور».

لم ينقطع رنين جرس التليفون هذا الصباح، فقد علم كل أصدقائى بوجودى هنا، ودعواتهم تنهال علىَّ وهذا يجدد حياتى السابقة: دعوات وحفلات، وسهرات من الصباح حتى صباح اليوم التالى. كم كنت أتمنى أن نذهب سويا!.

أما يوم السبت القادم فعندما تكون أنت متمتعا بحفلة الباليه، وتوزع نظراتك بالعدل على كل النساء الموجودات، أكون أنا الأخرى متمتعة بكل وقتى فى الإسكندرية، فلقد شعرت الآن، وياله من شعور جميل، إن لى الكثير من الأصدقاء!! ففى وقت من الأوقات قامت المشاكل الكثيرة بخصوص زوجى، ثم أخذ اللغط يكثر حولنا، فظننت أن أصدقائى سينفضون من حولى، ورحت أتحاشى لقاءهم .. ولكن ما قاموا به أخيرا جعلنى أتأكد من رغبتهم الصادقة فى مقابلتى، وهذا مما يزيد من تعلقى بالحياة.. جميل أن يحس الإنسان أنه محبوب لذاته فى السراء والضراء.

حبيبى .. إنى لا أقرأ الصحف كثيرا، ولذا فليس عندى فكرة عما يحدث. ولكنى سمعت قصة لطيفة عنك. قصة تقول إنك كنت ذات يوم فى نادى اليخت الملكى تلقى نظراتك على القوارب، فرأيت ولدا صغيرا سألته عن اسمه، وعما إذا كان الرجل الذى معه هو والده، وطلبت من الصبى دعوة والده لتتعرف عليه، فحضر الوالد يرتعش كورقة الشجر فى مهب الريح من فرحته بمقابلتك، وطلب الرجل من ابنه أن يقبل يدك، لأنك الملك .. ولكن الولد رفض قائلا: «لا.. ليس هذا هو الملك.. إنه رجل عادى».

وتقول القصة بعد ذلك إنك أعجبت بإجابة الصغير، ولكنى أشك كثيرا فى ذلك، ولو سألتنى رأيى لقلت إنك ما دعوت الوالد إلا لإعجابك بالوالدة!!.. فهى معروفة بجمالها!!.

الساعة ٣٠ر٢ صباحا.

لقد عدت الآن من الحفلة. كان كل شئ فيها رائعا.. من الزهور إلى العشاء.. كان الجميع فى مرح وسرور، وقد ضحكت كما لم أضحك من قبل.

لقد علمت أنك لن تحضر هذه الأيام، وبودى لو عرفت ماذا تعمل؟ لقد تصفحت جرائد اليوم فألقيت عليها نظرة وأنا فى الحمام. ولكنى لم أجد فيها ما يثير. لماذا لم تكتب لى .. أليس لديك حبر؟ إن القلم الرصاص يصلح!!.

والآن ياحبيبى بوتشى. عم مساء. إن الوقت متأخر جدا، وأرجو أن أتمتع بحلم طويل أراك فيه.

إنى أغطى وجهك بقبلاتى

حبوبتك الصغيرة

إيرين

■ ■

وفى رسالة هذه المرة تقول إيرين لفاروق «سأصبح مسلمة فى القريب العاجل» ثم

تسألـه بكل جرأة عن أخبـار صديقته «كـاميليا» ولاتـتورع أن تقول لفاروق فـى نفس الرسالة «أنت لى ولى وحدى وسأحتفظ بك».

وجرت باقى سطور «إيرين» إلى «الملك فاروق» على النحو التالى:

٢٩/١٠/١٩٤٣

معبودى بوتشى

إن الأيام تمـر علىّ ثـقيلـة، على الـرغم مـن كثرة الحـفلات التـى أحضرهـا، وقد خسرت كـثيرا فى آخر مـرة فى البوكر .. إلا أنـنى سأجرب حظـى مساء غد فى لـعبة الباكاراه.. فإذا خسرت، سأصبح فى موقـف لا أحسد عليه.. ولن يكون لى مخرج إلا أن أفعل كما فعـل الكثيرات من كبار السيـدات فى حياتهن السابقة. سـأعمل راقصة فى كبـاريه. فمن هنـاك تصيدن أزواجـا أغنياء يشـغلون مراكز مـرموقة ! لو أنـنى فى الحقيقة أفضل أن أكون نجمة سينمائية. إلا أن هـذا من المحال بالنسبة لفتاة مثلى نشأت فى بيئة لاتسمح لبنـاتها باحتراف التمثيل، خصوصا أننى سأصبـح مسلمة فى القريب العاجل.

أظن أننى أكثر من الهراء.. إلا أننى متفقـة مع نفسى على أن روحى مرحة تميل إلى الدعابة.. وهذا ما يـجعلنى أنسى حقيقة مـا أنا فيه، فان موقفى لا أحسد عـليه، ولكنى سأجد مـخرجا.. وسأنجـح فى إيجاد هذا المخـرج.. والآن فلنتكـلم فى موضـوع أكثر تسلـية. لا. دعنى أنـهى أولا كل أحزانـى فقد فقـدت اليوم كلـبى العزيـز. أف.. إنى كارهة الحـياة كلهـا يابوتشـى.. وهذا ما لا يجـب أن أشعر به لأنـى ما زلت صغـيرة، جذابـة، موفـورة الصـحة.. ولـى أصدقاء كـثيـرون.. وفوق ذلـك كلـه، فإنـى أحب «بوتشى» .. هل سبق أن قـلت لك ماهو «بوتشى» بالنسبة لـى؟ أنه كل شئ.. نعم إنى أحبه بكل جوارحى.. إنى عبدك. إنى مجنونة بك. أظن أنه لايصح أن أصارحك بكل هذا ، ولكنـى أضعف من أن أملك زمـام نفسى . إن هذا يجعـلنى سعيدة وسـأستمر أكرره.

بوتشي... كيف حال صديقتك العزيزة جدا كاميليا؟! هل تشرب الكثير من الشمبانيا بعد أن تركتها بالقاهرة؟ إذا كانت قد فعلت فأرجو أن يكون كثرة الشراب قد سممها.. أعتقد أنها ستذهب إلى حفلة الباليه، وأحب أن تطمئنها أننى سأكون هناك أيضاً!! مهما كلفنى هذا من ثمن، وهذا القول ليس مقصورا عليها فقط، بل هو يسرى كذلك على جميع صاحبات السمو اللاتى يعشن تحت الشمس.. أنت لى، ولى وحدى، وسأحتفظ بك. هى تسمع ما أقول؟ هذه أوامرى لا تحاول أن تنظر إلى امرأة أخرى وإلا فلن ترانى مطلقا.

بوتشي ياحبيبى

لقد واتتنى فكرة بالأمس.. لاتذهب إلى الأقصر هذا الشتاء، ولقد دعانى بعض الأصدقاء لقضاء أسبوعين هنا. إنها فرصة طيبة، وأنا متأكدة أنك يمكن أن تذهب لو أردت. إن اللحظات التى اختلسها معك لاتكفى تلهفى على أن أكون بجانبك دائما فإذا قضينا هذه الفترة سويا، فإنها ستمدنى بالصبر إلى حين.

بوتشي

أريد أن أقبلك ياحبيبى . لقد دق جرس التليفون، وكاد قلبى أن يتوقف لمجرد تفكيرى فى أن تكون أنت المتكلم، ولكنه كان «فردى» لقد قلت لك كم يحبنى .. وإنى أشعر بالأسف لحاله. كيف عرف رقم تليفونى؛ لست أدرى . ولكن، عندما يحب الإنسان يفعل المحال!!.

إذا أردت مقابلتى قبل يوم ٦ فسأنتظرك بجوار التليفون رقم ٥٩٠٢٤ ما بين الساعة الثالثة والخامسة من بعد ظهر يوم الثلاثاء. فسأكون هناك لأجمع بعض حاجاتى.

والآن إلى اللقاء ياحبيبى وأرجو أن أراك قريبا..

«إيرين»

وتنتهى رسائل إيرين إلى «فاروق» وكما نشرتها مجلة التحرير!!.

خرجت من حياة فاروق اليهودية الفاتنة «إيرين» لتدخلها اليهودية المثيرة «كاميليا»!!.

كانت إيرين لجار خليلة فاروق المفضلة جداً، ولذلك فقد استاء عندما تركته وتزوجت جنديا بريطانيا، وعندما لم يستطع استرجاعها، ولكى ينساها بدأ فاروق علاقة مع يهودية من الإسكندرية «ليليان كوهين» واسمها الفنى المسرحى «كاميليا»!!.

■ ■

ولم يكن اليهودى الغامض «إلياهو ساسون» بعيداً عن مغامرة «إيرين لجار» فقد كان يتابعها بشغف واهتمام لاحدود لهما!!

وماخفى كان أعظم.

ولم تكن كل الصفحات السابقة عن إسرائيل الأمس- إلا محاولة متواضعة لفهم إسرائيل اليوم!!!

رشاد كامل

الفهــرس

الصفحة

عربية للطباعة والنشر
١٠٠٧ شارع السلام ــ أرض اللواء المهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨



البحث عن السلام بالجنس

لم تتغير إسرائيل اليوم عن إسرائيل الأمس البعيد أو القريب !!

نحن العرب الذين تغيرنا كثيراً، كانت إسرائيل «تهرول» نحونا باحثة عن الصلح والسلام بأى ثمن حتى لو كانت فاتورة هذا الصلح والاعتراف هى اللقاءات والمفاوضات أو حتى الجنس !! .. الآن صار العرب يهرولون نحو إسرائيل باحثين عن صلح وسلام وبأى ثمن أيضا !!

هذا الكتاب عن قضية يهودى غامض اسمه «إلياهو ساسون» زار مصر وغيرها والتقى بعشرات الأسماء السياسية، ولم يكن له من هدف إلا تحقيق الصلح بين مصر والعرب وإسرائيل وبأى ثمن يمكن أن يدفع !!

ستقرأ عن علاقات «إلياهو ساسون» مع الملك فاروق والملك عبد الله وإسماعيل صدقى باشا، وحسين هيكل باشا، وآخرين أيضا.

أما حكاية اليهودية الحسناء الغامضة "إيرين" مع الملك فاروق فقد فاقت الخيال .. ولم يكن صدفة أن يصبح "موشيه" ابن "إلياهو" بعد سنوات طويلة هو ثانى سفير لإسرائيل فى مصر !!

الناشـــر

دار الخيال ـ القاهرة